

الإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٦

الجزء السادس

أسد حيدر

هوية الكتاب

آية

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

آل عمران: ١٠٣

تقديم وتمهيد

- ١ -

في آخر الجزء الخامس من هذا الكتاب وعدت القراء بأن نلتقي في هذا الجزء وهو السادس لمواصلة البحث عما يتعلق في بقية أبواب الفقه.

وقد تعرضت هناك - بعرض سريع وبيان موجز - لبعض المسائل من كتاب الطهارة، ومقدمات الصلاة إذ لم يتسع المجال لأكثر من ذلك.

وكنتم مصمماً على المضي في إكمال الموضوع بدراسة مستفيضة تكشف عن كثير من الخلافات الحاصلة في أكثر المسائل من حيث الاختلاف في المباني والآراء.

وحيث كان الموضوع له أهمية فقد توسّعت في البحث ممّا أدى إلى الخروج عن دائرة الاختصار التي نهجتها في أول البحث. وبهذا فإنّ هذا الجزء لم يتسع نطاقه لذكر جميع الأمور التي يلزم ذكرها فنتجاوز حدود سلسلة الكتاب بتعدد أجزائه، أو أن نهمل كثيرًا من الأبحاث التي لا يمكن إهمالها.

ولهذا فإنّي قد ارتأيت بأن أقصر هنا على إكمال ما يتعلق بمسائل الصلاة وكيفيةها، وما يتعلق بها كمسألة القصر والإتمام، والجمع والتفريق؛ لنعرف مدى الخلاف الحاصل في هذه المسائل بين المذاهب بعضها مع بعض، وبينها وبين مذهب الشيعة.

أمّا بقية أبواب الفقه فإنّي قررت - بعون الله - بأن أبرز فيها كتاباً مستقلاً ليعمّ نفعه ويسهل تناوله.

- ٢ -

ونحن نأمل أن نوقّق إلى إيضاح ما أحاط بهذه الأمور من غموض، وما اكتنفها من سوء فهم بحقيقة الأمر، مما أدّى بالبعض إلى حصر الفقه الإسلامي بجهة دون أخرى، أو بمذهب دون غيره.

أمّا ما يتعلق بفقه الشيعة فقد جهلوا حقيقته، وأساءوا فيما وصفوه بما لا يليق به، وما تقولوه عليه بدون دراية.

وقد أعطينا فيما مضى صورة - موجزة - عن الفقه الشيعي، ومقارنة فقه بقية المذاهب به، من حيث الاتفاق والافتراق.

وسنعود إن شاء الله بعد إكمال هذه السلسلة إلى دراسة واسعة توضح لنا جانباً كبيراً عما أدى إليه سوء الفهم من الحكم على الشيء قبل معرفته.

وسنتعرض به إلى الحديث والمحدثين، وبيان أثر الشيعة في ذلك، وذكر رجال الحديث منهم، ممن أصبحوا أئمة في الحديث ومرجعاً في الفقه وأساتذة لكبار العلماء وأعيان المحدثين.

- ٣ -

كما وإنني لم أستوفِ الغرض في بحثي حول المستشرقين في الجزء الخامس وما ارتكبه من جنابة في أبحاثهم التي يحورّون بها الحقائق، ويبدّلونها لتلبس تلك القوالب التي يفرضونها فرضاً، وهي قوالب أفكار لا تمت إلى الواقع بشيء بل هي تخيلات وهمية، ترسم لنا صورة الاندفاع وراء مضللات العاطفة ومرديات التعصّب الأعمى.

وقد سلكوا في كثير من أبحاثهم ما يكدر الصفو من إبراز الخلافات المذهبية بإطارات يروق لهم إبرازها فيها، من حيث التشويه والتحويل، كما أنهم خلقوا خلافات أخرى.

ولهذا رأيت نفسي مضطراً لأن أعود إلى الحديث عن عظيم جنائتهم على الأمة الإسلامية، بكثير من أبحاثهم التي لم يقصدوا بها إلا إثارة الفتنة وخلق عقبات في طريق وحدة الصف، وتأليف القلوب، وجمع الكلمة.

ولم أنفرد بهذا الرأي بل هناك جمع غير قليل من قادة الفكر ورجال الأدب قد استشهدت بأقوالهم، وإن كان أمر أولئك الكتاب من المستشرقين لا يحتاج إلى أكثر من مراجعة أقوالهم، وتصفح بحوثهم، فهي تعطي تلك الحقيقة التي نقولها ويقرّرونها بأقوالهم، فهم مدفوعون بدافع الحقد على الإسلام ليشفوا غليلهم بإثارة الفتن بين أبنائه لتفريق صفوفهم.

تمهيد

تقدّم البحث عن مقدمات الصلاة وما يتعلق بها من خلاف بين المذاهب في تلك المسائل، وقد أوضحنا عن مذهب الشيعة في كثير ممّا ينفردون به للأدلة التي تأولها غيرهم فذهبوا إلى خلاف ما ذهبوا إليه.

ونحن هنا نذكر بقية ما يتعلق بأحكام الصلاة من أفعال وغيرها، كمسألة القصر والإتمام، والجمع والتفريق، مع استعراض يسير للأدلة، ومناقشات علمية لا تتعدى حدود إظهار الحقيقة، وبيان ما هو الواقع.

وقد سلكت في بحثي هنا - وفيما سبق - طريق النقل عن أهل المذاهب من كتبهم الخاصة، دون اعتماد على نقل الغير عنهم، إلا فيما هو مشهور لا يحتمل الخطأ في النقل، وذلك لأني وجدت كثيراً من النقل لا يستند إلى صحة، إما عن اشتباه أو غير ذلك.

كما وإني لم أقف موقف نقد ورد، وإثماً كان عرضاً لإيضاح المسألة دون ترجيح لرأي على رأي، أو تقديم قول على آخر، لأنني لم أقصد الإحاطة بجميع ما يتعلق بموضوع الخلاف، وإثماً هي مسائل أردت بها تصوير الخلاف الحاصل بين المذاهب أجمع، وقرب بعضها من بعض مرة وبعدها أخرى، وأنّ الخلاف لم يقتصر بين الشيعة والسنة فحسب - كما يتوهمه البعض - بل هو حاصل بين جميع المذاهب السنية نفسها.

وإننا لعلّ يقين من أنّ القارئ الكريم يستطيع أن يتبين بهذا النزر القليل، خطأ أولئك الذين نظروا لفقه الشيعة من زاوية الجهل، فحكموا عليه بالشذوذ والانفراد، أو أنه لا يلتقي مع بقية المذاهب بقليل ولا كثير، ويذهب إلى اتصاله بالمذهب الشافعي دون غيره؛ وكلّ ذلك لا نصيب له من بالواقع وحكم على الشيء بدون معرفة، والحكم على الشيء قبل معرفته خطأ لا يغتفر، وجناية على العلم.

وقد مرّت الإشارة إلى بعض تلك الأخطاء التي ارتكبتها البعض في نقل أشياء ليس لها نصيب من الصحة.

كما أشرنا إلى خطأ من جعل الفقه الشيعي مستمداً من الفقه الشافعي، وقد أوضحنا أنّ ذلك ناشئ عن جهل أو اشتباه إلى غير ذلك.

ولسنا الآن في معرض ما توالى على المذهب الشيعي من حملات، وما تعرض له من طعون نتيجة للتعصب الأعمى يوم كانت الأمور تسير على نهج التضليل والخداع، والمكر والتمويه، لتسود الفرقة ويعظم التباعد بين المسلمين الذين هم كجسم واحد إن تألم البعض تألم الكل فقد أشرنا إليها عبر الأجزاء السابقة كلها.

ونتيجة لتلك الخلافات، قد تبدّلت الوحدة بالفرقة، والمحبة بالبغضاء ونمت بينهم روح التباغض ولم يشعروا بخطر ذلك إلا بعد أن أثر أثره، وضرب العدو ضربته. وإنّ ما ترتب على ذلك التفرق من الضرر الذي أفضى إلى ضعف المسلمين، وتمكّن الأجانب من الاستيلاء على بلادهم، وإغراء عوامل نفور بعضهم من بعض إنّما هو نفع للعدو الذي يتربص بهم الدوائر.

ويجب أن نتساءل عن الفائدة التي حصلنا عليها من الفرقة والخلافات، ولحساب من يكون ذلك؟ كما يجب أن نتساءل عن عواملها وأسباب اتساعها؛ وننظر بعين الحقيقة إلى الأضرار الناجمة من ورائها، وهناك يتّضح لنا الطريق إلى الحلول الجذرية التي يجب أن تتخذ لرفع

أثرها، ولا يكون ذلك إلا أن نفهم الأمور عن طريق الواقع، والتماس الحلول على ضوء الواقع لتزول الشوائب التي تطمس معالم الحق، وتضلّل من ينشدونه.

وبدون شك أنّ الأمور إذا سارت في طريقها الصحيح ارتفع الالتباس وحلت جميع المشاكل، وإننا نودّ أن نوّكد هنا بأنّ دراسة الفقه الشيعي من قبل من يتعاملون عليه لم تكن دراسة صحيحة كاملة، بل هي دراسة ناقصة، لأنّهم لم يأخذوا عنه من مصادره، أو لم يفهموا أصوله ومبانيه، فكان تعاملهم عاطفياً خالصاً والعاطفة عمياء كما تحكّمت فيهم آراء مسبقة ووجهات نظر مغرضة.

وإنّنا لنأمل أن تتوسّع دائرة دراسة الفقه المقارن بين المذاهب فيعمّ الانتفاع، وتتجلّى الحقيقة التي طالما حجبته سحب الأباطيل.

كما نأمل أن تزول أشباح المآسي الهائلة التي وقفت في طريق وحدة المسلمين، وأدّت إلى ذلك التفكك في الرابطة الإسلامية، فنحن اليوم نمرّ في مرحلة حاسمة ومعركة خطيرة، ولا نكسب المعركة إلا بوحدة الصف، وجمع الكلمة، ونبذ أحقاد الماضي، والالتقاء على صعيد تعاليم الإسلام الصحيحة، فإنّ خطر الموقف بتدخل دعاة الفرقة وذوي الغايات الاستعمارية، وذلك يدعو إلى طرح الخلافات، والاعتصام بحبل الله وما النصر إلا من عند الله.

أَفْعَالُ الصَّلَاةِ

وَاجِبَاتُهَا - مُسْتَحَبَّاتُهَا - مُبْطَلَاتُهَا

أفعال الصلاة: واجباتها - مستحباتها - مبطلاتها

النّية

وقع الخلاف في النية ووجوبها، فهل هي شرط في الصلاة أم ركن؟ وهل يشترط التلفظ بها أم يكفي الإخطار في القلب؟

أمّا وجوب النية فلا خلاف فيه، لأنّ الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، ولكنهم اختلفوا في أمور تتعلق بها من حيث أنّها شرط أم ركن؟ وهل يجب موافقة نية المأموم للإمام وهل يجب تعيين الفرض أم مطلق النية بإتيان الصلاة يكفي، إلى غير ذلك من موارد الخلاف، مما يطول شرحه ونبعد عن الاختصار في بيانه.

وكيف كان فإنّ النية هي القصد إلى الفعل بعنوان الامتثال والقربة، ولا يجب التلفظ بها بل يكفي إحضار صورة الفعل في أول الصلاة، واستدامة حكمها، بمعنى أنّه لا ينوي قطعها، وإذا تردّد بين المضي والقطع بطلت الصلاة وإن لم يقطعها كما هو مذهب الشيعة ووافقهم الحنابلة والشافعية.

قال ابن قدامة: وإذا دخل الرجل في الصلاة بنية مترددة بين إتمامها وقطعها لم تصح، لأنّ النية عزم جازم، ومع التردد لا يصح الجزم، وإن تلبّس بها بنية صحيحة ثم نوى قطعها والخروج منها بطلت، وبهذا قال الشافعي؛ وقال أبو حنيفة: لا تبطل بذلك لأنّها عبادة صحّ دخوله فيها فلم تفسد بنية الخروج منها كالحج^(١).

وقال أبو إسحاق الشافعي: ولو نوى الخروج من الصلاة، أو نوى أنّه سيخرج، أو شك يخرج أم لا، بطلت صلاته، لأنّ النية شرط في جميع الصلاة؛ وقد قطع ذلك بما أحدث كالطهارة؛ إذا قطعها بالحدث^(٢).

ويشترط في النية أن تكون مقارنة لتكبيرة الإحرام فلا تصح أن يفصل بينها وبين التكبيرة بشيء، كما لا يصح الإتيان بها بعد التكبير وعلى هذا اتفاق الشيعة^(٣)، والمالكية^(٤)، والشافعية^(٥).

(١) انظر المغني في الفقه الحنبلي ج ١ ص ٤٦٦.

(٢) انظر المذهب ج ١ ص ٧٠.

(٣) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ١٠٦ مسألة ٢٠٤.

(٤) أسهل المدارك ج ١ ص ١١٩.

(٥) كتاب الأم ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠ المذهب للشيرازي ج ١ ص ٧٧ الوجيز ج ١ ص ٤٠.

أما الحنفية فإنَّ الأفضل عندهم المقارنة للتكبير ولو نوى قبله حين توضأ ولم يشغل بعده بعمل يقطع نيته جاز^(٦).

قال في الغنية: روي عن محمد بن الحسن: أنَّ المصلي لو نوى عند الوضوء أن يصلي الظهر أو العصر مع الإمام ولم يشغل بعد النية بما ليس من جنس الصلاة يعني سوى المشي إلا أنه لما انتهى إلى مكان الصلاة لم تحضر النية جازت صلاته بتلك النية، ومثله عن أبي حنيفة وأبي يوسف رحمه الله فعلم بهذا جواز الصلاة بالنية المتقدِّمة^(٧)، وذهب الكرخي من الحنفية إلى جواز الاعتداد بالنية المتأخرة.

وكذلك يجزي عند الحنابلة إن تقدَّمت النية قبل التكبير وبعد دخول الوقت لأنها عبادة فجاز تقديم النية عليها كالصوم وتقديم النية على الفعل لا يخرجها عن كونه منوياً... الخ^(٨).

قال الشافعي وابن المنذر: يشترط مقارنة النية للتكبير لقوله تعالى: (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)^(٩) فقله مخلصين حال له في العبادة فإنَّ الحال وصف هيئة الفاعل وقت الفعل والإخلاص هو النية. وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنَّما الأعمال بالنيات»، ولأنَّ النية شرط فلم يجز أن تخلو العبادة منها كسائر شروطها.

وقال الشيخ الطوسي في الخلاف: وقت النية مع تكبيرة الافتتاح لا يجوز تأخيرها ولا تقديمها عليها.... إلى أن يقول - : دليلنا أنَّ النية إنَّما يحتاج إليها ليقع الفعل على وجه دون وجه، والفعل في حال وقوعه يصح ذلك فيه، فيجب أن يصاحبه ما يؤثر فيه حتى يصح تأثيره فيه؛ لأنها كالعلة في إيجاد معلولها فكما أنَّ العلة لا تتقدم على المعلول فكذلك ما قلناه، وأيضاً فإذا قارنت صحت الصلاة، وإذا تقدمت لم يقدِّم دليل على صحتها^(١٠).

تكبيرة الاحرام

وهي التي يحصل الدخول بها في الصلاة ويحرم ما كان محلاً قبلها من الكلام وغيره، ويجب التلفظ بها باللفظ العربي وهو: «الله أكبر» فلا يجزي غيره، كما لا يجزي غير لفظ «الله أكبر» من سائر ألفاظ التعظيم، لأنه

(٦) انظر المبسوط للسرخسي ص ١ - ١٠.

(٧) غنية المتملي ١٢٧.

(٨) المغني ١ - ٤٦٩.

(٩) البيِّنة ٥.

(١٠) الخلاف ج ١ ص ٣١٢ مسألة ٦١.

الوارد عن صاحب الشرع فلا تجوز مخالفته. هذا هو مذهب الشيعة.
وعليه إجماعهم^(١١).

ووافقهم مالك وذهب إلى أنه لا يجزي غير هذا اللفظ^(١٢). وكذلك أحمد بن حنبل فإن الصلاة لا تنعقد عنده إلا بلفظ: «الله أكبر»^(١٣).
أما الشافعي فهو موافق في الجملة، وأن الصلاة لا تنعقد عنده إلا بلفظ: «الله أكبر». ولكنه جوز أن يقال: «الله الأكبر»، لأن الألف واللام عنده لم تغيره عن بنيته ومعناه، وإنما أفادت التعريف^(١٤).

أما أبو حنيفة فقد ذهب إلى انعقاد الصلاة بكل اسم على وجه التعظيم كقول: الله العظيم، أو كبير، أو جليل، أو سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله ونحوه، ووافقه صاحبه محمد بن الحسن الشيباني.

أما أبو يوسف فإنه يوافق بقية المذاهب في اشتراط لفظ: «الله أكبر»، إلا أنه يجيز قول: الله الأكبر أو الكبير وزاد في الخلاصة جواز الله الكبار^(١٥).

وأجاز أبو حنيفة إتيان التكبيرة بالفارسية نحو «خداية بزرگست»، كما أجاز الاكتفاء عن التكبير بقول: الله أجلّ أو أعظم، أو رحمن أكبر أو لا إله إلا الله أو تبارك الله أو غيره من أسماء الله وصفاته أجزأ^(١٦) ووافقه محمد بن الحسن.

والحنابلة يوافقون الشيعة في تعيين صيغة التكبير وهي: الله أكبر، ولا يجزي غيرها من أسماء الله وصفاته^(١٧).

قال في المغني: (لنا) إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «تحريمها التكبير» رواه أبو داود، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): للمسيء في صلاته - إذا قمت إلى الصلاة فكبر. متفق عليه^(١٨).

وفي حديث رفاعة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا يقبل الله صلاة امرئ حتى يضع الوضوء مواضعه، ثم يستقبل القبلة، فيقول: الله أكبر، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفتح الصلاة بقوله: الله أكبر، ولم ينقل عنه عدول عن ذلك، حتى فارق الدنيا، وهذا يدل على أنه لا يجوز العدول

(١١) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ١١١ مسألة ٢٠٨.

(١٢) شرح الموطأ للباقي ج ١ ص ١٤٢.

(١٣) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٤٦٠.

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) انظر غرر الحكام في شرح در الأحكام للقاضي محمد بن فراموز الحنفي ج ١ ص ٦٦.

(١٦) غنية المتملي ص ١٢٨.

(١٧) الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت ج ١ ص ٣٢٢، صفحة تكبيرة الاحرام.

(١٨) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٠٦، سنن أبي داود ج ١ ص ٢٢٤ ح ٨٥٦.

عنه، وما قاله أبو حنيفة يخالف دلالة الأخبار، فلا يصار إليه ولا يصح القياس على الخطبة، لأنه لم يرد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها لفظ بعينه في جميع خطبه ولا أمر به ولا يمنع من الكلام فيها والصلاة بخلافه (١٩).

والتكبيرة ركن عند الشيعة فتبطل الصلاة بالإخلال بها عمداً أو سهواً، ووافقهم مالك وأحمد والشافعي؛ وبهذا قال أكثر العلماء كالثوري وربيعه وإسحاق وأبي ثور وابن المنذر وغيرهم (٢٠).

وذهب الحنفية إلى أن تكبيرة الافتتاح شرط حتى لو كان حاملاً للنجاسة عند ابتداء التكبير أو مكشوف العورة أو منحرفاً عن القبلة أو قبل دخول الوقت فألقاها (أي النجاسة) واستتر بعمل يسير واستقبل ودخل الوقت مع انتهائه جاز وصح شروعه (٢١).

وذهب مالك بن أنس إلى استئناف الصلاة لمن نسي تكبيرة الافتتاح (٢٢). والذي يظهر أن النسيان عمداً أو سهواً للتكبيرة مبطل للصلاة عندهم، وقد أشار لذلك أبو الوليد بقوله: لأن تكبيرة الإحرام ركن من أركان الصلاة فإذا أسقطها الإمام ساهياً أو عامداً لم تصح صلاته وتعدى فساد ذلك إلى صلاة المأموم كما لو ترك الركوع والسجود (٢٣). وكذلك عند الحنابلة أن الصلاة لا تنعقد إلا بتكبيرة الإحرام سواء تركها عمداً أو سهواً (٢٤). وقال الشافعي: فيمن أغفل التكبيرة فصلّى فأتى على جميع أعمال الصلاة منفرداً أو إماماً أو مأموماً أعاد الصلاة... الخ (٢٥).

وبهذا يظهر الاتفاق بين الشيعة وبقية المذاهب في ركنية التكبيرة للصلاة - ما عدا الحنفية - وإن تركها عمداً أو سهواً مبطل للصلاة؛ وعلى ذلك إجماع الشيعة. سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن رجل سها خلف الإمام فلم يفتتح الصلاة، قال (عليه السلام): يعيد ولا صلاة بغير افتتاح. وغير ذلك من الأخبار المستفيضة، كصحيح زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) عن الرجل ينسى تكبيرة الافتتاح. قال (عليه السلام): يعيد الصلاة (٢٦).

(١٩) المغني ج ١ ص ٤٦٠.

(٢٠) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ١١١ مسألة ٢٠٨.

(٢١) غنية المتملّي ١٢٨.

(٢٢) شرح الموطأ للباقي ص ١ - ١٤٦.

(٢٣) شرح الموطأ للباقي ص ١ - ١٤٦.

(٢٤) المغني لابن قدامة ١ - ٤٦١.

(٢٥) كتاب الأم ص ١ - ١٠١.

(٢٦) التهذيب ج ٢ ص ١٤٣ ح ٥٥٧.

أما رفع اليدين في تكبيرة الإحرام فهو مستحب عند الشيعة ^(٢٧) ووافقهم مالك، وادعي الإجماع على استحبابه، حكاه النووي، وابن حزم، وابن المنذر ^(٢٨).

وذهب بعضهم إلى الوجوب، ولكن لا تبطل الصلاة بتركه، كما عن أحمد ابن حنبل، وداود الظاهري. ونقل عن أبي حنيفة ذلك. وبعضهم يذهب إلى بطلان الصلاة بتركه، أما القول بحرمة وعدم جوازه فلا قائل به وما يدعى عن الزيدية بأنهم يحرّمونه فغير صحيح وادعاء باطل.

وذهب جمهور من العلماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم: يستحب أيضاً رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه وهي رواية عن مالك... الخ ^(٢٩). وبهذا يحصل الاتفاق بين الشيعة وبين سائر المذاهب؛ لأنّ ذلك هو الثابت من فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وروى معاوية بن عمار قال: «رأيت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يرفع يديه إذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع وإذا سجد وإذا رفع رأسه من السجود وإذا أراد أن يسجد الثانية» ^(٣٠).

القيام

لا خلاف بين المسلمين في وجوب القيام وهو عند الشيعة ركن في حال تكبيرة الإحرام، وعند الركوع وهو المعبر عنه بالقيام المتصل بالركوع، فمن كبر للافتتاح وهو جالس بطلت صلاته، أو ركع لا عن قيام فكذاك.

أما في حال القراءة، فهو واجب غير ركن وكذلك هو بعد الركوع، ويجب فيه الاعتدال والانتصاب عرفاً.

ولا خلاف في ركنية القيام عند جميع المذاهب على تفصيل عندهم، فلا تجوز الصلاة بدونه من غير عذر عند الجميع، إلا أبا حنيفة فقد أجاز الصلاة في السفينة قاعداً بدون عذر، وخالفه أصحابه أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وقالوا: لا تصح إلا من عذر، لحديث ابن عمر: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل عن الصلاة في السفينة؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): صلّ فيها قائماً إلا أن تخاف الغرق ^(٣١).

(٢٧) ذكرى الشيعة ج ٣ ص ٢٥٨.

(٢٨) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٩٨.

(٢٩) شرح صحيح مسلم للنووي ج ٤ ص ٩٥.

(٣٠) التهذيب ج ٢ ص ٧٥ ح ٢٧٩.

(٣١) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩.

واستدل أبو حنيفة لرأيه بفعل أنس إذ صلى في السفينة جالساً من دون عذر. ولا حجة في فعل صحابي بعد ورود الأمر من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإن قوى بعض الحنفية هذا القول على قول أبي يوسف (٣٢) فلا وجه لذلك، والأكثر على خلافه.

* * *

فإن عجز المكلف عن القيام أصلاً ولو منحنيّاً أو مستنداً إلى شيء صلى قاعداً، ويجب الانتصاب والاستقرار، والطمأنينة، والاستقلال، هذا مع الإمكان وإلا اقتصر على الممكن، فإن تعدّد الجلوس حتى الاضطرابي صلى مضطجعاً على الجانب الأيمن ووجهه إلى القبلة كهيئة المدفون، ومع تعذره فعلى الأيسر عكس الأول، وإن تعدّر صلى مستلقياً ورجلاه إلى جهة القبلة كهيئة المحتضر.

هذا ما عليه مذهب الشيعة (٣٣)، ووافقهم جميع المذاهب، فالمالكية يذهبون إلى هذه الكيفيات مع اختلاف يسير، كمن عجز أن يصلي على جنبه الأيمن فهل يصلي على جنبه الأيسر أو على ظهره؟ قال ابن القاسم: يصلي على ظهره وقال ابن المواز: يصلي على جنبه الأيسر (٣٤).

وكذلك عند الشافعية في العجز عن الجانب الأيمن يصلي مستلقياً على ظهره وأخصاه للقبلة (٣٥).

أما الحنفية فالفرض عندهم أنه إذا عجز عن الصلاة قاعداً فإنه يستلقي على ظهره، وجعل رجليه إلى القبلة فأولاً بهما، وإن استلقى على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة جاز. والاستلقاء أفضل عند القدرة عليه (٣٦).

والحنابلة يوافقون الشيعة في الانتقال عند العجز عن الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر، وعن أحمد رواية في صحة صلاة من صلى على ظهره مع إمكان الصلاة على جنبه لأنه نوع استقبال.

قال ابن قدامة الحنبلي: والدليل يقتضي أنه لا يصح لأنه خالف أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «فعلى جنب» (٣٧) ولأنه نقله إلى الاستلقاء عند عجزه عن

(٣٢) انظر مراقي الفلاح ص ٧٦.

(٣٣) ذكرى الشيعة ج ٣ ص ٢٧١.

(٣٤) شرح الموطأ لابن الباجي ١ - ٢٤٢.

(٣٥) انظر مغني المحتاج للشربيني ١ - ١٥٥.

(٣٦) الغنية - ١٣١.

(٣٧) الحديث أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وهو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) - لعمران بن حصين - «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب» وزاد النسائي «فإن لم تستطع فمستلقياً».

الصلاة على جنبه، فيدل على أنه لا يجوز ذلك مع إمكان الصلاة على جنبه، ولأنه ترك الاستقبال مع إمكانه (٣٨).

* * *

وعلى أي حال فالاتفاق حاصل في هذه المسألة في الجملة، وقد وردت أحاديث عن صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك.

أما الصلاة في السفينة فإن العلماء أجازوا القعود فيها للضرورة، وذلك لخوف الغرق، أو لدوران الرأس، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يقل أحد بجوازها مطلقاً إلا أبو حنيفة وقد مر ذلك.

القراءة

اختلف المسلمون في القراءة هل تتعين الفاتحة في كل الركعات؟ أم في الركعتين الأوليين فقط؟ أو لا تتعين في شيء من ذلك؟ وهل البسمة جزء منها أم لا؟

أما تعيين الفاتحة دون غيرها في الصلاة فذهب إلى ذلك الشيعة (٣٩)، والمالكية (٤٠) والشافعية (٤١)، والحنابلة (٤٢)، وعن أحمد بن حنبل رواية بعدم التعيين والاجتزاء بآية من القرآن من أي موضع كان (٤٣)، وهذا مذهب أبي حنيفة كما سيأتي.

وقد وردت أحاديث عن صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعيين قراءة الفاتحة دون غيرها فمنها ما رواه عبادة بن الصامت أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب»، رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (٤٥)، وأصحاب السنن (٤٦)، وهو متفق عليه.

وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج (٤٧). رواه أحمد وابن ماجه، وعن أبي هريرة، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمره أن يخرج فينادي لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب، رواه أحمد وأبو داود. وإن كان حديث

(٣٨) المغني لابن قدامة ٢ - ١٤٦.

(٣٩) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ١٢٨ مسألة ٢١٨.

(٤٠) بداية المجتهد ج ١ ص ١٢٦ بلغة السالك ج ١ ص ١١٢.

(٤١) كتاب الأم ج ١ ص ١٠٧ فتح العزيز ج ٣ ص ٣٠٨.

(٤٢) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٢٠ مغني المحتاج ج ١ ص ١٥٦.

(٤٣) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٤٧٦.

(٤٤) صحيح البخاري ج ١ ص ١٩٢.

(٤٥) صحيح مسلم ج ١ ص ٢٩٥ ح ٣٩٤.

(٤٦) مثل سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٧٣ ح ٨٣٧.

(٤٧) سنن النسائي ج ٢ ص ١٣٧، سنن الدار قطني ج ١ ص ٣٢١، سنن أبي داود ج ١ ص ٢١٤ ح ٨٢١.

أبي هريرة لا يصح الاستدلال به، ولكن شواهد كثيرة، وفي حديث أبي هريرة هذا من لا يعتمد على روايته^(٤٨).

وكيف كان فإن الأحاديث متواترة في تعيين فاتحة الكتاب في الصلاة، وأنه لا يجزي غيرها؛ وقد ذهب علماء المسلمين من الصحابة، والتابعين، فمن بعدهم إلى ذلك.

أما أبو حنيفة فذهب إلى عدم التعيين، والاكتفاء بقراءة آية واحدة، ودليله في ذلك قوله تعالى: (فَاقرءُوا مَا نيسرَ مِنَ القرآن) ^(٤٩) وهو أمر بمطلق القراءة من دون تعيين للفاتحة «وليس في شيء من الصلوات قراءة سورة بعينها»^(٥٠).

ولا حجة فيما احتج به، وقد أبطله علماء المذاهب بأدلة كثيرة^(٥١)، يطول التعرض لها، والأحاديث النبوية شاهدة على التعيين بالفاتحة.

واختلف مشايخ الحنفية في الآية القصيرة كقوله تعالى: «ثم نظر» فعند أبي حنيفة - في أظهر الروايات عنه - أنها تجزي. وعند صاحبيه: أبي يوسف ومحمد لا يجزي إلا ثلاث آيات قصار نحو (ثُمَّ نَظَرَ* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ)^(٥٢)، أو آية طويلة هو مقدار ثلاث آيات قصار.

أما الآية التي هي حرف واحد أو كلمة واحدة مثل «ق»، «ص»، «ن» فإن كل حرف منها آية عند بعض القرّاء، أو كلمة «مدهامتان». فمنهم من جوز ذلك، ومنهم من لم يجوز. وكذلك اختلف الحنفية في الآية الطويلة، كآية المداينة وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ...الآية). فلو قرأ المصلي نصفاً منها في ركعة، والبعض الآخر منها في الركعة الأخرى. فقال بعضهم: لا يجوز لأئها دون آية. وقال بعضهم: بالجواز على قول أبي حنيفة^(٥٣).

وجوب القراءة بالعربية

تجب القراءة باللغة العربية، ولا يجزي غيرها من اللغات، ويجب التعلم على ما لا يحسنها، هذا ما عليه مذهب الشيعة^(٥٤)، ووافقهم الشافعية والحنابلة^(٥٥) وهو قول مالك.

(٤٨) نيل الأوطار ج ٢ ص ٢١٤.

(٤٩) المزمّل: ٢٠.

(٥٠) الهداية ج ١ ص ٣٦.

(٥١) نيل الأوطار ج ٢ ص ٢١٤.

(٥٢) انظر الغنية ص ١٣٧ و ١٣٨.

(٥٣) انظر الغنية ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٥٤) ذكرى الشيعة ج ٣ ص ٣٠٢ - ٣٠٥.

أمّا الحنفية فقد أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية مطلقاً، كما أجاز بها الأذان، والتلبية، والتسمية في الذبح^(٥٦).

وأجاز أبو حنيفة قراءة التوراة في الصلاة، إذا كان ما يقرؤه موافقاً لما في القرآن، لأنّه يجوز عنده قراءة القرآن بالفارسية وغيرها من اللّسنه، فيجعل كأنّه قرأ القرآن بالسريانية فتجوز الصلاة عنده لهذا^(٥٧).

وخالفه أبو يوسف ومحمد، لأنّ القرآن اسم لمنظوم عربي، كما نطق به النص. إلا أنّه عند العجز يكتفي بالمعنى كالإيماء^(٥٨).

ولا يسع المقام استيفاء جميع موارد الخلاف في المسألة، لأنّ فيها مسائل كثيرة وقع الاختلاف بها.

وقد أجمع الشيعة على وجوب الفاتحة في صلاة الصبح والركعتين الأوليين من سائر الفرائض، وقراءة سورة كاملة غيرها بعدها، إلا في المرض، والاستعجال، وضيق الوقت، فيجوز الاقتصار على الحمد.

ولا يجوز تقديم السورة على الحمد، ولا يجوز قراءة السور الطوال التي يفوت الوقت بقراءتها.

وبسبب ذلك جزء من كل سورة، فيجب قراءتها إلا سورة براءة، وتجب القراءة بالعربية ولا يجوز غيرها، كما تجب عليه القراءة الصحيحة بأداء الحروف وإخراجها من مخارجها على النحو اللازم من لغة العرب، وأن تكون هيئة الكلمة موافقة للأسلوب العربي من حركة البنية وسكونها، وحركات الإعراب والبناء وسكناتها، والحذف والقلب، والإدغام، والمد الواجب فإذا أخلّ بشيء بطلت^(٥٩).

ويجب على الرجال الجهر في الصبح والأوليين من المغرب والعشاء، والإخفات في الظهر والعصر.

ويتخير المصلي في ثلاثة المغرب وأخيرتي الرباعيات بين الفاتحة والتسبيح وصورته: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ويجزي مرّة واحدة وقيل ثلاثاً وتجب المحافظة على العربية فيها.

(٥٥) انظر المذهب ج ١ ص ٧٣، والمغني لابن قدامة ج ١ ص ٤٨٧ .

(٥٦) المبسوط ج ١ ص ٣٧ .

(٥٧) انظر المبسوط ج ١ ص ٢٣٤ .

(٥٨) الهداية ج ١ ص ٣٠ .

(٥٩) ذكرى الشيعة ج ٣ ص ٢٩٧ و ٣٠٤ .

وأما الخلاف في: «بسم الله الرحمن الرحيم» هل هي آية من الفاتحة فقط؟ أو هي آية من كل سورة؟ أو أنها ليست بقرآن؟ وهل قراءتها سرّاً أم جهراً؟

وقد كثر الخلاف بين الطوائف، حتى أفرد بعض العلماء هذه المسألة في التصنيف، فصنف فيها أبو أسامة المقدسي مجلداً ضخماً، وقبله سليم الرازي، وابن عبد البر وغيرهم، وصنّف الدار قطني بمصر كتاباً في الجهر بالبسملة، وأورد في سننه للاستدلال على الجهر بها عدة أحاديث (٦٠).

وقد ذهب العلماء فيها إلى مذاهب: فأبو حنيفة ومالك وأحمد - في رواية عنه - أنّ بسم الله الرحمن الرحيم ليست بآية في الفاتحة ولا أوائل السور (٦١).

وقال الشافعي: هي آية في أول الفاتحة قولاً واحداً، وأنّ من تركها في الصلاة أو حرفاً واحداً منها لم تجزه الركعة التي تركها فيها (٦٢). واختلف قوله في غيرها من السور (٦٣).

وكان مالك يستفتح القراءة بالحمد دون البسملة، ويقرأها بعد ذلك بين كلّ سورتين إلا سورة براءة، وأصحابه يقرؤونها في النوافل (٦٤).

وأما كيفية قراءتها على جهة الوجوب أو الاستحباب؟ فقد اختلفوا في ذلك أيضاً فذهب أبي حنيفة وأحمد: أنّ قراءتها سرّاً لا جهراً، ومذهب الشافعي الجهر بها في الجهرية، ومذهب مالك عدم قراءتها سرّاً وجهراً.

وذهب ابن أبي ليلى وإسحاق والحكم، إلى التخيير فمن شاء جهر، ومن شاء خافت (٦٥). وعند الشيعة هي جزء من كلّ سورة، فيجب قراءتها عدا سورة براءة. ووافقهم الشافعية، فإنّ الصحابة أجمعوا على إثباتها في المصحف بخطه في أوائل السور سوى براءة فلو لم تكن قرآناً لما أجازوا ذلك لكونه يحمل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً، ولو كانت لمجرد الفصل لاثبتت أول براءة.

ولا حجة للنافين بحديث أنس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله ربّ العالمين.

وفي رواية عنه: صليت مع أبي بكر، وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (٦٦).

(٦٠) كتاب الأم ج ١٤ ص ١٠٧، ومختصر المزني ص ١٤.

(٦١) نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٢٤.

(٦٢) العدة ج ٢ ص ٤١٠.

(٦٣) أحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٢ - ٣.

(٦٤) المنتقى ج ١ ص ١٥١.

(٦٥) المجموع ج ٣ ص ٣٤٢، نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٢٤.

وفي رواية عنه أيضاً: لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءتها ولا في آخرها (٦٧).

فهذه الروايات لا تدل على شيء يصح الاستدلال به هذا بالإعراض عن مناقشتها سنداً. قال ابن عبد البر في الاستذكار بعد سرده روايات حديث أنس ما لفظه: هذا اضطراب لا يقوم معه حجة لأحد الفقهاء الذين يقرأون «بسم الله الرحمن الرحيم» والذين لا يقرأون بها وقد سئل أنس عن ذلك فقال: كبرت ونسيت (٦٨).

وعن أبي سلمة سعيد بن زيد قال: سألت أنس بن مالك أكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستفتح بالحمد لله رب العالمين أو بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: إنك تسألني عن شيء لا أحفظه، ولا سألني عنه أحد قبلك (٦٩).

وقد روى البخاري عن قتادة قال: سئل أنس كيف كانت قراءة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: كانت مدأ، ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم... الخ» (٧٠). وفي هذا دلالة على مشروعية البسملة، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمدّ قراءته بها، وقد استدل به القائلون باستحباب الجهر بقراءة البسملة في الصلاة.

وأما ما ذكروه عن ابن مغفل ونهي أبيه له عن قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم. فلا حجة فيه لجهالة الراوي وضعف الحديث وطعن الحفاظ بصحته.

وإن الأحاديث التي وردت عن قراءة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لها وإنها من القرآن كثيرة منها:

حديث أم سلمة عندما سئلت عن قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت: كان يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين».

رواه أحمد وأبو داود ومنها حديث ابن عباس قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يفتتح: ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الترمذي (٧١). وغير ذلك من الأحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد جاء من طريق أهل البيت ما يؤيدها ويدل دلالة صريحة على أنها جزء من كل سورة.

(٦٦) سنن الدار قطني ج ١ ص ٢٤٩ ح ١١٨٧.

(٦٧) نيل الأوطار ج ١ ص ٢٢٣.

(٦٨) انظر سبل السلام في شرح بلوغ المرام للكلاني ج ١ ص ١٨٢.

(٦٩) العدة للسيد محمد بن اسماعيل الصنعاني ج ١ ص ٤١٠.

(٧٠) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٢٥ ح ٤٧٥٩.

(٧١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٤ ح ٢٤٥.

قال الشوكاني وذكر البيهقي في الخلافيات أنها أجمع آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. ومثله في الجامع الكافي وغيره من كتب العترة، وقد ذهب جماعة من أهل البيت إلى الجهر بالبسملة (٧٢).

وقد أنكر الصحابة على معاوية عندما ترك قراءة البسملة قبل السورة وقالوا: سرقت الصلاة أم نسيت؟ ! وبهذا استدل الشافعي وبغيره من الأحاديث (٧٣).

قال الشيخ محمد رشيد: فالحق الصريح مع القائلين بأن البسملة آية من الفاتحة، وأن قراءتها واجبة، فإنه لا يوجد في ديننا ولا في شيء مما تناقله البشر خلفاً عن سلف أصح من نقل هذا القرآن بالكتابة، ثم بحفظ الألف له، ولا سيما فاتحته في عصر التنزيل، ثم حفظ كل ما دخل في الإسلام لها جيلاً بعد جيل.

وأظهر ما قيل في الأحاديث النافية لقراءة بسملتها في الصلاة أن المراد عدم الجهر بها، وعدم سماع الراوي، وأكثر الناس لا يسمعون أول قراءة الإمام لاشتغالهم بالتكبير ودعاء الافتتاح، ولأن العادة الغالبة على الناس أن القارئ يرفع صوته بالتدريج. ثم إن هذا النفي معارض بإثبات قراءتها وسماع المأمومين لها ومنهم أنس (٧٤) الذي اعتمد النافون على روايته. وهذه المسألة من المسائل التي كثر فيها الخلاف حتى قالوا: هل يكفر من يقول بجزئيتها أو نفيه، لأنه إثبات ما ليس من القرآن أو نفي ما هو منه؟ ولكنهم نقلوا الإجماع على عدم التكفير لكثرة الخلاف.

الركوع

وهو التواضع والتذلل وفي الصلاة الانحناء بصورة مخصوصة، وقد اتفق المسلمون على وجوبه في الصلاة واختلفوا في مقدار الواجب منه والطمأنينة وهي السكون واستقرار جميع الأعضاء حين الركوع.

وهو ركن عند الشيعة تبطل الصلاة بزيادته ونقصته عمداً أو سهواً عدا صلاة الجماعة فلا تبطل بزيادته للمتابعة؛ بمعنى لو رفع رأسه قبل الإمام ظاناً أنه رفع رأسه ثم عاد للركوع.

وكذلك النافلة فلا تبطل بزيادته سهواً، ويجب فيه أمور:

١ - الانحناء بقصد الخضوع قدر ما تصل أطراف الأصابع إلى الركبتين.

(٧٢) انظر نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٠٠.

(٧٣) انظر كتاب الأم ج ١ ص ١٠٨.

(٧٤) انظر المغني لابن قدامة ج ١ ص ٤٧٨ تعليقة.

٢ - الذكر، ويجب منه سبحان ربّي العظيم وبحمده، أو سبحان الله ثلاثاً، ويشترط فيه العربية.

٣ - الطمأنينة كما تقدم.

٤ - رفع الرأس منه حتى ينتصب قائماً.

٥ - الطمأنينة حالة القيام.

ويستحب فيه التكبير، ورفع اليدين حال التكبير، ووضع الكفين على الركبتين، اليمنى على اليمنى، واليسرى على اليسرى، ممكناً كفيه من عينيها وردّ الركبتين إلى الخلف، وتسوية الظهر؛ ومد العنق موازياً للظهر، وأن يكون نظره بين قدميه، وأن يجنح بمرفقيه وتكرار التسبيح ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، وأن يدعو بالمأثور: اللهم لك ركعت... الخ، وأن يقول بعد الانتصاب: سمع الله لمن حمده.

ويُكره فيه أن يطأطئ رأسه أو يرفعه إلى فوق ويضم يديه إلى جنبه، وأن يقرأ القرآن فيه وأن يجعل يديه تحت ثيابه فيه (٧٥).

* * *

ولا خلاف بين المذاهب في ركنية الركوع، وركنيته عند أبي حنيفة ومحمد متعلقة بأدنى ما يطلق عليه اسم الركوع، وعلى هذا فلا يشترط الطمأنينة (٧٦).

وبهذا يظهر خلاف أبي حنيفة لبقية المذاهب في اشتراط الطمأنينة؛ لأنها عنده سنة وعند الشيعة والمالكية والشافعية والحنابلة الطمأنينة فرض (٧٧).

وعند أبي يوسف الطمأنينة مقدار تسبيحة واحدة فرض (٧٨).

أمّا رفع الرأس من الركوع والاعتدال فهو واجب عند الشيعة وبه قال الشافعي، وأحمد، وهو المشهور والمعول عليه من مذهب مالك (٧٩).

وقال أبو حنيفة: لا يجب بل يجزي أن ينحط من الركوع إلى السجود (٨٠).

وأمّا الذكر فهو واجب عند الشيعة ووافقهم الحنابلة في وجوبه.

وصورته عندهم: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثاً، وهي أدنى الكمال وإن قال مرة أجزاءه (٨١).

(٧٥) ذكرى الشيعة ج ٣ ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(٧٦) الغنية ص ١٣٩.

(٧٧) الرحمة في اختلاف الأئمة لعبد الرحمن دمشقي ج ١ ص ٤٥.

(٧٨) بدائع الصنائع ج ١ ص ١٦٢.

(٧٩) بداية المجتهد ج ١ ص ١٣٥ حلية العلماء ج ٢ ص ٩٩.

(٨٠) بدائع الصنائع ج ١ ص ٧٥.

(٨١) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠.

وعند الشافعية أنّ ذلك على الاستحباب^(٨٢) وليس بواجب، وقال مالك: ليس عندنا في الركوع والسجود شيء محدود، وقد سمعت أنّ التسبيح في الركوع والسجود^(٨٣).
وقد ذهب إلى وجوب التسبيح إسحاق بن راهويه وعنده: أن تركه عمداً موجب للإعادة^(٨٤).

وقال الظاهري: إنّه واجب مطلقاً^(٨٥).

واحتجّ الحنابلة للوجوب برواية عقبة بن عامر قال: لما نزلت (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)^(٨٦) قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اجعلوها في ركوعكم^(٨٧).

وعن ابن مسعود أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إذا ركع أحدكم فليقل ثلاث مرات: سبحان ربي العظيم» وذلك أدناه؛ أخرجهما أبو داود وابن ماجه^(٨٨).

وروى حذيفة أنّه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول إذا ركع: «سبحان ربي العظيم» ثلاث مرات؛ رواه الأثرم ورواه أبو داود ولم يقل ثلاث مرات، ويجزيء تسبيحة واحدة لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بالتسبيح في حديث عقبة، ولم يذكر عدداً، فدل على أنّه يجزي أدناه... الخ^(٨٩).

وقال الشوكاني: والحديث - أي حديث حذيفة - يدل على أنّ التسبيح في الركوع والسجود بهذا اللفظ فيكون مفسراً لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث عقبة: اجعلوها في ركوعكم، اجعلوها في سجودكم، وإلى ذلك الجمهور من أهل البيت وبه قال جميع من عداهم.
وقال الهادي والقاسم والصادق: إنّه سبحان الله العظيم وبحمده في الركوع وسبحان الله الأعلى وبحمده في السجود، واستدلوا بظاهر قوله تعالى: فسبح باسم ربك العظيم وسبح باسم ربك الأعلى... الخ^(٩٠).

أقول: والصحيح هو قول سبحان ربي العظيم وبحمده وسبحان ربي الأعلى وبحمده، كما هو المشهور عند الشيعة والمروي عن أهل البيت وعليه العمل.

(٨٢) المذهب ج ١ ص ٧٥.

(٨٣) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٤٢.

(٨٤) نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٧٣.

(٨٥) نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٧٣.

(٨٦) الواقعة: ٧٤.

(٨٧) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٤٢، مسند أحمد ج ٤ ص ١٥٥.

(٨٨) سنن أبي داود ج ١ ص ٢٣٢ ح ٨٨٦، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٥٨ ح ٨٩٠.

(٨٩) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٠١.

(٩٠) نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٤٥.

وقد وافقهم أحمد بن حنبل بذلك وأنه لا بأس به، وقد سأله أحمد بن نصر عن تسبيح الركوع والسجود أيهما أحبّ أو أعجب إليك؟ سبحان ربي العظيم أو سبحان ربي العظيم وبحمده؟.

فقال أحمد بن حنبل: قد جاء هذا وجاء هذا وما أدفع منه شيئاً. وقال أيضاً: إن قال - المصلي - : وبحمده في الركوع والسجود أرجو أن لا يكون به بأس، وذلك لأنّ حذيفة روى في بعض طرق حديثه أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم وبحمده، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى وبحمده، وهذه زيادة يتعيّن الأخذ بها ... الخ^(٩١).

السجود

وهو سجدتان في كل ركعة وهما ركن من أركان الصلاة ولا خلاف بين المسلمين في وجوبهما ولكنّ الخلاف في الكيفية.

وقد اتفق علماء الإسلام على وجوب السجود على الجبهة ووضعها على الأرض ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة فإنه ذهب إلى التخيير بين الجبهة والأنف^(٩٢).

أمّا بقية أعضاء السجود وهي الكفان والركبتان وإبهاما الرجلين، فقد اختلفوا في وجوب السجود عليها، فعند الشيعة والحنابلة والشافعي في أحد قوليه أنه واجب، وعند مالك أن الفرض يتعلق بالجبهة والأنف فإن أخل به أعاد في الوقت^(٩٣).

وعند الحنفية أنّ وضع اليدين والركبتين في السجود ليس بواجب بل يجب وضع القدمين أو أحدهما، فلو سجد ولم يضع قدميه أو أحدهما على الأرض لا يجوز سجوده، ولو وضع أحدهما جاز كما لو قام على قدم واحدة^(٩٤).

والأحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تدل على وجوب وضع الأعضاء السبعة على الأرض، منها قوله (صلى الله عليه وآله): أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: اليدين، والركبتين، والقدمين، والجبهة، وهذا الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري ومسلم والجماعة^(٩٥).

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا سجد العبد سجد معه سبعة أرباب: وجهه، وكفاه وركبته وقدماه. رواه الجماعة^(٩٦) إلا البخاري.

(٩١) المغني ج ١ ص ٥٠٢.

(٩٢) المجموع للنووي ج ٣ ص ٤٢٤.

(٩٣) المجموع ج ٣ ص ٤٠٠، المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٥٥، نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٨٨.

(٩٤) الغنية ص ١٤٠.

(٩٥) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٠٦، صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٤ ح ٤٩٠، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٨٦ ح ٨٨٣.

(٩٦) صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٢، باب أعضاء السجود باختلاف يسير، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٨٦، ح ٨٨٥، سنن الترمذي ج ١

ص ١٧٠ ح ٢٧١، سنن النسائي ج ٢ ص ٢١٠، السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠١، سنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٤ ح ٨٩٢، نيل

الأوطار ج ٢ ص ٢٨٦، كتاب الأم للشافعي ج ١ ص ١٣٦.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): السجود على سبعة أعظم: الجبهة، واليدين، والركبتين؛ والإبهامين من الرجلين، وترغم أنفك إرغاماً، أمّا الفرض فهذه السبعة وأما الإرغام بالأنف فسنة (٩٧).

وأما ما روي من أحاديث فيها ذكر الأنف كحديث عكرمة (٩٨) فهو لا يصح الاستدلال به لإرساله، ولا يقاوم الأحاديث الصحيحة، وحمل ورود السجود على الأنف في بعض الأخبار على الاستحباب.

وقد تمسك أبو حنيفة ببعضها، ولعله ذهب إلى أن الجبهة والأنف عضو واحد ولم يذهب إلى ذلك أحد.

قال ابن المنذر: لا أعلم أحداً سبقه إلى هذا القول ولعله ذهب إلى أن الجبهة والأنف عضو واحد، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما ذكر أشار إلى أنفه، والعضو الواحد يجزئه في السجود على بعضه، وهذا قول يخالف الحديث الصحيح والإجماع الذي قبله فلا يصح (٩٩). وقد نقل ابن المنذر إجماع الصحابة على أنه لا يجزي السجود على الأنف وحده، وخالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد الشيباني فقالا: لا يجوز إلا من عذر (١٠٠).

وأما مباشرة الجبهة للأرض فهو واجب عند الشيعة (١٠١) وقال النووي: إن العلماء مجمعون على أن المختار مباشرة الجبهة للأرض، وأمّا المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه سجد على كور عمامته فليس بصحيح، قال البيهقي: فلا يثبت في هذا شيء، وأمّا القياس على باقي الأعضاء أنه لا يختص وضعها على قول، وإن وجب ففي كشفها مشقة بخلاف الجبهة (١٠٢) وعلى أي حال فإن عمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقواله تدلّ على ذلك، وكان الصحابة يسجدون على الأرض، وشكوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرّ الرمضاء فلم يشكهم وكانوا يسوون التراب للسجود عليه (١٠٣) وكان بعضهم إذا خرج يخرج بلبنة يسجد عليها في السفر (١٠٤).

وقد تقدّم الكلام في هذا الكتاب (١٠٥) حول موضع الجبهة في السجود فلاحاجة إلى الإطالة. أمّا واجبات السجود عند الشيعة فهي:

(٩٧) التهذيب ج ٢ ص ٢٩٩ ح ١٢٠٤.

(٩٨) سنن البيهقي ج ٢ ص ٤٣٧ ح ٢٧٠٨.

(٩٩) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥١٧.

(١٠٠) الاختيار لتعليل المختار ج ١ ص ٥٠.

(١٠١) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ٢٠٤ مسألة ٢٧٥.

(١٠٢) المجموع ج ٣ ص ٤٢٦.

(١٠٣) شرح صحيح مسلم ج ٥ ص ٣٧.

(١٠٤) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٧٩ ط ٢.

(١٠٥) انظر ج ٥ ص ٢٨١ من هذا الكتاب.

- ١ - وضع المساجد السبعة على الأرض كما تقدّم الكلام فيه.
- ٢ - الذكر الواجب والكلام فيه كالركوع.
- ٣ - الطمأنينة بمقدار الذكر الواجب وخلاف المذاهب كالخلاف في الركوع.
- ٤ - رفع الرأس ثم الجلوس بعده مطمئناً ثم الانحناء للسجدة الثانية^(١٠٦).
- ووافقهم الشافعي ومالك وأحمد^(١٠٧)، وقال أبو حنيفة: لا يجب ذلك بل هو سنة^(١٠٨).
- ٥ - كون المساجد السبعة في محالها إلى تمام الذكر الواجب فلو رفع بعضها بطل وأبطل إن كان عمداً، ويجب تداركه إن كان سهواً.
- ٦ - مساواة موضع الجبهة للموقف بمعنى عدم علوّه وانخفاضه أزيد من مقدار لبنة أو أربعة أصابع. وعند الحنفية مقدار ارتفاع لبنتين منصوبتين والمراد بهما لبنة بخارى وهي ربع ذراع عرضه ستة أصابع فمقدار ارتفاع اللبنتين المنصوبتين نصف ذراع إثننا عشرة إصبعاً.
- ٧ - وضع الجبهة على ما يصح السجود عليه من الأرض وما نبت منها غير المأكول والملبوس، وقد تقدم الخلاف فيه.
- ٨ - طهارة موضع الجبهة^(١٠٩).
- ٩ - المحافظة على العربية، والموالاة في الذكر.

التشهد

- واختلفوا في التشهد الأوّل فقال الشيعة بوجوبه^(١١٠) ووافقهم أحمد بن حنبل^(١١١)، وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي باستحبابه^(١١٢).
- وصورة التشهد الواجب عند الشيعة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ على محمد وآل محمد.
- أمّا غيرهم فاتفقوا على أنّه يجزي كلّ واحد من التشهد الوارد من طريق الصحابة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس.

(١٠٦) ذكرى الشيعة ج ٣ ص ٣٩٠.

(١٠٧) الوجيز ج ١ ص ٤٤، المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٤١.

(١٠٨) حلية العلماء ج ٢ ص ١٠٢، المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٤١.

(١٠٩) انظر الجزء الخامس ص ٣٨٨.

(١١٠) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ٢٢٧.

(١١١) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٧١.

(١١٢) المصدر السابق.

فاختار الشافعي وأحمد تشهد ابن عباس^(١١٣)؛ وأبو حنيفة تشهد ابن مسعود^(١١٤) ومالك تشهد ابن عمر^(١١٥).

فتشهد ابن عباس صورته: التحيات المباركات الصلاة الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، رواه مسلم في صحيحه^(١١٦).

وأما تشهد ابن مسعود: التحيات لله والصلاة والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، إلى آخر ما رواه البخاري^(١١٧).

وتشهد ابن عمر: بسم الله التحيات لله الصلوات لله الزاقيات لله السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، شهدت أن لا إله إلا الله، شهدت أن محمداً رسول الله. يقول هذا في الركعتين الأوليين^(١١٨).

التسليم

اختلفوا في وجوب التسليم فهو عند الشيعة واجب وجزء من الصلاة فيجب فيه جميع ما يشترط فيها، وبه يخرج المصلي من الصلاة وتركه عمداً مبطل^(١١٩)، ووافقهم في الوجوب مالك، والشافعي، وأحمد^(١٢٠).

وقال أبو حنيفة: هو سنة لو تركه صحت صلاته، ولو فعل فعلاً منافياً للصلاة من حدث وغيره في آخرها صحت صلاته^(١٢١).

وصورة التسليم عند الشيعة، أن يقول المصلي - بعد أن يفرغ من صلاته ويشهد الشهادتين ويصلي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما في التشهد الأول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والواجب منه إحدى الصيغتين، فإن قرأ الصيغة الأولى - وهي السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين - كانت الثانية مستحبة، وإن قرأ الثانية وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١١٣) نيل الأوطار ج ٢ ص ٣١٣.

(١١٤) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٧٣.

(١١٥) نيل الأوطار ج ٢ ص ٣١٣.

(١١٦) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٠٢ ح ٤٠٣.

(١١٧) صحيح البخاري ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢.

(١١٨) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ١٨٨.

(١١٩) رياض المسائل ج ٣ ص ٢٤١.

(١٢٠) نيل الأوطار ج ٢ ص ٣٤٠، المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٨٨.

(١٢١) بدائع الصنائع ج ١ ص ١٩٤، المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٨٨.

اقتصر عليها، وأما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فليس من صيغ السلام بل هو من توابع التشهد وليس واجباً بل هو مستحب، وقيل: إنه واجب.
ويجب فيه المحافظة على أداء الحروف والكلمات على النهج الصحيح مع العربية والموالاة^(١٢٢).

واختلفوا في الواجب من السلام فقال أبو حنيفة وأحمد: هو تسليمتان^(١٢٣)، وقال مالك: واحدة. وللشافعي قولان أصحهما تسليمتان، وقال مالك: التسليمة الأولى فرض على الإمام والمنفرد، وزاد الشافعي وعلى المأموم، وقال أبو حنيفة: ليست بفرض. وعن أحمد روايتان المشهور منهما أن التسليمتين جميعاً واجبتان، والتسليمة الثانية سنة عند أبي حنيفة^(١٢٤).

نية الخروج من الصلاة

اختلفوا في نية الخروج من الصلاة، فالشيعة لم يشترطوا ذلك لأنّ السلام هو المخرج قهراً، إذ الصلاة تحريمها التكبير وتحليلها التسليم^(١٢٥)، ووافقهم الشافعي في أصح الأقوال عنه^(١٢٦).

وعند أبي حنيفة: الخروج من الصلاة بفعل المصلي فرض، وخالفه أصحابه^(١٢٧) ومراده بفعل المصلي: هو كلّ فعل اختياري بأيّ وجه كان من قول، أو فعل ينافي الصلاة بعد تمامها، أو يضحك قهقهة، أو يحدث عمداً، أو يتكلم أو يذهب^(١٢٨).

واختلف الحنفية في فرضيته فذهب البردعي إلى ذلك، وتبعه كثير منهم، وإذا قعد المصلي قدر التشهد فأحدث عمداً، أو تكلم أو عمل عملاً ينافي الصلاة، كالأكل والشرب تمتّ صلاته بالاتفاق عندهم، لتمام جميع فرائضها، وإن سبقه الحدث من غير تعمد منه في هذه الحالة فكذلك تمتّ صلاته عند أبي يوسف ومحمد.

وقال أبو حنيفة: يتوضأ، ويخرج عن الصلاة بفعله قصداً، فلو لم يتوضأ ولم يخرج بصنعه تبطل صلاته^(١٢٩).

وهذه المسألة عندهم أصل تبتني عليه مسائل تلقب بالإثني عشرية^(١٣٠).

(١٢٢) العروة الوثقى ج ١ ص ٤١٥.

(١٢٣) نيل الأوطار ج ٢ ص ٣٣٣.

(١٢٤) مغني المحتاج ج ١ ص ١٧٧، القوانين الفقهية ص ٦٨.

(١٢٥) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ٢٤٧ مسألة ٣٠٢.

(١٢٦) كفاية الاختيار ج ١ ص ٦٩، فتح العزيز ج ٢ ص ٥٢٠، مغني المحتاج ج ١ ص ١٧٧.

(١٢٧) الغنية ص ١٤٤.

(١٢٨) انظر ضوء الشمس لأبي الهدي ج ١ ص ١٧٥.

(١٢٩) الغنية ص ١٤٤.

(١٣٠) المصدر السابق.

الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وأما وجوب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الصلاة فقد أوجبته الشيعة كما تقدّم في التشهد، والتسليم، ووافقهم الشافعية والحنابلة^(١٣١).

قال الشافعي: فرض الله الصلاة على رسوله فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)^(١٣٢). فلم يكن فرض الصلاة عليه أولى منه في الصلاة... الخ^(١٣٣).

وقال أبو إسحاق في المذهب: فإذا فرغ المصلي من التشهد صلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو فرض في الجلوس، لما روت عائشة رضي الله عنها: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا يقبل الله صلاة إلا بطهور وبالصلاة علي^(١٣٤). والأفضل عندهم أن يقول: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١٣٥).

وأما الحنابلة فيوجبون هذه الصورة، وهي التي رواها كعب بن عجر^(١٣٦). وممن قال بوجوب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد التشهد: عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وابن مسعود وجابر بن زيد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم^(١٣٧). وذهب الشافعي وأحمد في قوله الأخير إلى بطلان الصلاة بتركه في التشهد وقال: كنت أنهيب ذلك فإذا الصلاة واجبة^(١٣٨).

وقد اختلفوا في صورة الصلاة على النبي؛ فمنها ما رواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة ما صورته عن كعب بن عجر قال: قلنا يا رسول الله، قد علمنا - أو عرفنا - كيف السلام عليك فكيف الصلاة؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... الخ؛ وهي الصورة المتقدمة التي اختارها الشافعي وأحمد.

ومنها ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٦٣ من طريق أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

(١٣١) الشرح الكبير ج ١ ص ٦١٣ و ٦١٤.

(١٣٢) الأحزاب: ٥٦.

(١٣٣) كتاب الأم ج ١ ص ١١٧.

(١٣٤) سنن الدار قطني ج ١ ص ٣٥٥ ح ٤.

(١٣٥) المذهب ج ١ ص ٧٩.

(١٣٦) انظر عمدة الفقه ص ١٩.

(١٣٧) نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٨٥.

(١٣٨) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٥٤٢.

(١٣٩) أخرجه الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٣٠٥.

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وترحم على محمد وآل محمد كما تحرمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم شهدت له يوم القيامة بالشهادة وشفعت له .

ومنها: ما رواه أبو بكر قال: كيف يصلى عليك يا رسول الله؟ قال: يقول: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد في الأولين والآخرين وفي الملاء الأعلى إلى يوم الدين^(١٤٠).

ومنها: عن زيد بن خزيمة قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف الصلاة عليك؟ قال: صلوا واجتهدوا ثم قولوا: اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد^(١٤١).

ومثله عن بريدة الخزازي، وطلحة بن عبيد الله أخرج ذلك أحمد في مسنده، وكثير من الأخبار في ذلك مع اختلاف في الألفاظ.

وذكر الفيروز آبادي في سفر السعادة قول الإمام إبراهيم المروزي أن أفضلها اللهم صلّ على محمد وآل محمد^(١٤٢).

وهذا ما اختارته الشيعة، ونحن لا نقف هنا طويلاً حول بيان المقصود من الآل المشمولين لهذا الحكم، فإن ذلك يستوجب نقاشاً طويلاً، إذ البحث يدعو إلى استعراض الأقوال الشاذة التي نجمت عن التعصّب، وظهرت على صفحة الأغراض السياسية، والمطامع الدنيوية، في تحريف لفظ الآل عن مصداقه الصحيح، وانطباقه الحقيقي على أهل البيت الذين أنزل الله فيهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) وقد بيّن (صلى الله عليه وآله وسلم) المقصود منهم في عدة بيانات وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وقد تقدّم بيان ذلك^(١٤٣).

مستحبات الصلاة

أمّا مستحبات الصلاة فهي كثيرة، ولا يسعنا بسط القول فيها، ونحن هنا نذكر مستحبات الصلاة عند كلّ مذهب من المذاهب، إتماماً للفائدة؛ فقد ذكرنا الواجبات قبلها - التي مرّ بعضها - على سبيل الاختصار وبعدها المستحبات ليطلع القارئ على المفارقات بين كلّ مذهب، أمّا الواجبات عند الحنفية فاقترنا على ذكر الأركان منها لكثرة الخلاف فيها، واكتفينا بما ذكرناه مفصلاً في فصل البحث عن الواجبات.

* * *

الشيعة

(١٤٠) كشف الغمّة للشعراني ج ٢ ص ٢٢٠.

(١٤١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٦٢ ط ٢.

(١٤٢) سفر السعادة ص ١٧٥.

(١٤٣) تقدّم البحث حول آية التطهير في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١١٤.

واجبات الصلاة عند الشيعة أحد عشر:
النّيّة، والقيام وتكبيرة الإحرام، والركوع، والسجود، والقراءة، والذكر، والتشهد،
والتسليم، والترتيب، والموالاة.
منها أربعة هي أركان تبطل الصلاة بتركها عمداً أو سهواً وهي: تكبيرة الإحرام، والقيام،
والركوع، والسجود. والباقي أجزاء غير ركنية تبطل الصلاة بتركها عمداً.
وفي ضمن هذه الواجبات، واجبات يجب الإتيان بها، والإخلال بها عمداً مبطل، كوجوب
الطمأنينة في أداء الأفعال من ركوع وسجود وغيرها، وقد تقدّم ذلك.
وكذلك واجبات القراءة، وتكبيرة الإحرام، ممّا لا حاجة لإعادته.

المستحبات

وهي كثيرة منها ما يأتي في كلّ فعل من أفعال الصلاة.
ومنها ما هو مستقل كالقنوت في كلّ ثانية قبل الركوع وبعد القراءة.
ومنها التوجّه بست تكبيرات مضافة إلى تكبيرة الإحرام، بأن يكبر ثلاثاً، ثم يدعو، ثم يكبر
إثنتين، ثم يدعو، ثم يكبر اثنتين، ثم يدعو ويتوجه.
ومنها شغل النظر في حال قيامه إلى موضع سجوده، وفي حال القنوت إلى باطن كفيه،
وفي حال الركوع إلى ما بين رجليه، وفي حال السجود إلى طرف أنفه، وفي حال التشهد إلى
حجره.
ومنها شغل اليدين: بأن يكونا في حال قيامه على فخذه بحذاء ركبتيه، وفي حال القنوت
إلى تلقاء وجهه، وفي حال الركوع على ركبتيه، وفي حال السجود بحذاء أذنيه وفي حال
التشهد على فخذه.
ومنها التعقيب بالأدعية والأذكار الواردة، وتسبيح الزهراء صلوات الله عليها^(١٤٤).
وأما بقية المستحبات التي هي في ضمن الأفعال فكثيرة وقد ذكرنا بعضاً منها.

الحنفية

أركان الصلاة عندهم ثمانية، ستة على الوفاق بين أئمتهم، وإثنان على الخلاف بينهم.
أما المتفق عليها فهي: تكبيرة الافتتاح. وهي شرط لا ركن، ولكنها عُدت مع الأركان لشدة
اتصالها بها، والقيام، والقراءة، والركوع، والسجود والقعدة الأخيرة مقدار قراءة التشهد.

أما المختلف فيها فهي: الخروج من الصلاة بصنعة، والطمأنينة في الصلاة، فذهب أبو يوسف إلى أنها فرض، وعند غيره أنها ليست بفرض، إذ المقصود إيجاد مسمى الركوع أو السجود وغيره.

وأما السنن فهي كثيرة لأن أكثر أفعال الصلاة مستحبة غير واجبة، بمعنى يجوز تركها، وليس عليه شيء في عدم فعلها، وقد ذكر بعضهم أنها خمسون، ولكن الصحيح أن أكثرها ليست سنناً، ولكثها آداب كما يقولون، وذكر صاحب المنية أنها عشرون وهي: الأذان، ورفع اليدين عند تكبيرة الافتتاح مع التكبير، ونشر الأصابع عند التكبير، وجهر الإمام بالتكبير، والثناء وهو قول: سبحانك اللهم... الخ والتعوذ، والتسمية، والتأمين، والاختفاء بهن، ووضع اليمين على الشمال، وكون ذلك الوضع تحت السرة للرجل وعلى الصدر للمرأة، والتكبيرات التي يؤتى بها في خلال الصلاة، وتسبيحات الركوع والسجود، وأخذ الركبتين باليدين في الركوع واقتراش الرجل اليسرى والقعود عليها، والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد التشهد في القعدة الأخيرة، والدعاء في آخر الصلاة بما يشبه القرآن، والإشارة بالمسبحة (وهي السبابة) عند الشهادتين.

واختلفوا في قراءة الفاتحة في الركعتين الأخيرتين. فقل سنة، وقل واجب، وكذلك الخروج من الصلاة بلفظ السلام، وقد تقدم، والسلام عن اليسار سنة. ومن السنن رفع الرأس من الركوع، والقيام بعده مطمئناً وغير ذلك. وذكرها بعضهم وبلغ عددها إلى خمسين أو أكثر ولكن في ضمنها آداب لا سنن^(١٤٥).

الشافعية

فروض الصلاة عند الشافعية أربعة عشر:

النية، وتكبيرة الإحرام، والقيام، وقراءة الفاتحة، والركوع مطمئناً، والرفع من الركوع معتدلاً، والسجود مطمئناً والجلوس بين السجدين كذلك، والجلوس في آخر الصلاة، والتشهد فيه، والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتسليم الأولى، ونية الخروج، وترتيب أفعالها.

السنن

وسنن الصلاة عندهم خمس وثلاثون: رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الركوع، والرفع منه، ووضع اليمين على الشمال، والنظر إلى موضع السجود، ودعاء الاستفتاح

والتعوذ، والتأمين، وقراءة السورة بعد الفاتحة والجهر والإسرار، والتكبيرات، سوى تكبيرة الإحرام، والتسميع والتحميد في الرفع من الركوع، والتسبيح في الركوع، والتسبيح في السجود، ومجافاة المرفق عن الجنب في الركوع والسجود، وإقلال البطن عن الفخذ في السجود والدعاء في الجلوس بين السجدين، وجلسة الاستراحة، ووضع اليدين على الأرض عند القيام والتورك في آخر الصلاة، والافتراش في سائر الجلسات ووضع اليد اليمنى على الفخذ اليمنى مقبوضة، والإشارة بالمسبحة - وهي السبابة ووضع اليد اليسرى على الفخذ اليسرى مبسوطة، والتشهد الأول، والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه، والصلاة على آله في التشهد الأخير، والدعاء في آخر الصلاة، والتسليمة الثانية (١٤٦).

المالكية

وعند المالكية فروض الصلاة ثلاثة عشر وعدّها بعضهم خمسة عشر وهي: النية، وتكبيرة الإحرام، والقيام لها، وقراءة الفاتحة، والقيام لها، والركوع، والرفع منه، والسجود، والرفع منه، والجلوس بقدر السلام، والسلام المعرّف بالألف واللام، والطمأنينة، والاعتدال في الفصل بين الأركان، ومنها نية الصلاة المعينة، ونية الاقتداء، وترتيب الأداء، يعني أداء الأفعال بأن يأتي بالنية قبل الإحرام، والإحرام قبل القراءة، وهكذا (١٤٧).

السنن

وأما السنن فهي اثنتا عشرة: السورة بعد الفاتحة، والقيام لها، والسر فيما يسر فيه والجهر فيما يجهر فيه وهو الصحيح، وأولتا المغرب وأولتا العشاء، وكلّ تكبيرة سنة إلا تكبيرة الإحرام، وقول سمع الله لمن حمده للإمام والمفرد والجلوس الأول على المشهور وقيل: واجب، والزائد على قدر السلام من الجلوس الثاني ورد المقتدي على إمامه السلام، وكذا رد السلام على من على يساره إن كان على يساره أحد، والسترة للإمام والفذ، وأمّا المأموم فالإمام سترته (١٤٨).

الحنابلة

(١٤٦) نهاية المحتاج ج ١ ص ٥٤٦ - ٥٥٣.

(١٤٧) أسهل المدارك ج ١ ص ١١٩ - ١٢٧.

(١٤٨) بلغة السالك ج ١ ص ٢١١ - ٢١٦.

وعند الحنابلة فروض الصلاة أربعة وعشرون، خمسة عشر منها أركان والباقي واجبات وعددها في العمدة إثنا عشر والواجب سبعة وفي غاية المنتهى الأركان أربعة عشر، أما الأركان فهي:

القيام مع القدرة، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع والطمأنينة فيه، والرفع منه، والسجود على سبعة أعضاء، والجلوس عنه، والطمأنينة في هذه الأركان، والتشهد الأخير، والجلوس له، والتسليمة الأولى، وترتيبها على ما ذكر.

فهذه الأركان لا تتم الصلاة إلا بها ولا تسقط عمداً أو سهواً أو جهلاً.

والواجبات سبعة وقيل: تسعة وهي: التكبير غير تكبيرة الإحرام، والتسبيح في الركوع والسجود مرة مرة، والتسميع، والتحميد في الرفع من الركوع وقول ربي اغفر لي بين السجدين، والتشهد الأول، والجلوس له والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في التشهد الأخير.

فهذه الواجبات إن تركها بطلت صلاته، وإن تركها سهواً سجد لها وما عدا هذا فسنن وهي:

الاستفتاح، والتعوذ، وقراءة: بسم الله الرحمن الرحيم، وقول آمين، وقراءة السورة، وبعد الفاتحة، وقول ملء السماء بعد التحميد، وما زاد على التسبيحة الواحدة على الركوع، والسجود على أنفه، وجلسة الاستراحة على إحدى الروايتين فيها، والدعاء في التشهد الأخير، والقنوت في الوتر (١٤٩).

مبطلات الصلاة

وهي أمور كثيرة متفق عليها ومنها مختلف فيها، ونحن نتعرض هنا للبعض اختصاراً للموضوع، ثم نفرد لكل مذهب ما يذهبون إليه في ذلك مقتصرين على نقل عبارة كتب المذاهب:

١ - الكلام: وأقله ما كان مركباً من حرفين ولو مهملين غير مفهمين للمعنى، أو بحرف واحد مفهم للمعنى إن كان عن عمد هذا ما عليه الشيعة (١٥٠)، ووافقهم الشافعي، وأحمد، ومالك (١٥١).

أما الحنفية فلم يفرقوا في الحكم ببطلان الصلاة بالكلام بين صدوره عمداً، أو سهواً (١٥٢).

(١٤٩) الكافي في فقه الإمام أحمد ج ١ ص ٢٦٣.

(١٥٠) العروة الوثقى ج ١ ص ٥٢٨.

(١٥١) المجموع ج ٤ ص ٨٠ - ٨١، الوجيز ج ١ ص ٤٩، كفاية الأخيار ج ١ ص ٦٠ و ٦٧، أسهل المدارك ج ١ ص ١٧٥.

(١٥٢) المبسوط للسرخسي ج ١ ص ١٧٠ و ١٧١، الكفاية ج ١ ص ٣٤٥.

٢ - كلّ فعل ماح لصورة الصلاة، وهذا مبطل بالاتفاق ومنهم قيده بالكثرة، ومنهم من قيد العمل باليدين كبعض الحنفية.

٣ - الأكل والشرب بالاتفاق، ولكنّ الخلاف في المقدار المبطل منهما والسهو والعمد.

٤ - الحدث الأكبر والأصغر باتفاق، أينما وقع، ولو قبل الأخير بحرف من غير فرق بين العمد والسهو والاضطرار عدا المسلوس، وللشافعي قولان في الاضطرار، والأصح البطلان.

وعند الحنفية أنّ الحدث إذا حدث قبل القعدة بقدر التشهد وإذا طرأ بعده فلا. واختلفوا هل يقتضي الإعادة من أولها إذا كان قد ذهب منها ركعة أو ركعتان قبل طروء الحدث؟ أم يبني على ما قد مضى؟ وإليك تفصيل ذلك عند كلّ مذهب .

الحنفية

ويفسد الصلاة عندهم أمور هي:

التكلم بحرفين أو حرف مفهم، عمدته وسهوه قبل قعوده قدر التشهد، ورد السلام بلسانه لا بيده.

والتتحنح بلا عذر بحرفين، أو غرض صحيح كتحسين صوته أو للإعلام والدعاء بما يشبه كلام الناس، والأنين، والتأفیف، والبكاء إلا لذكر جنة أو نار. ويفسدها تسميت العاطس لغيره، وجواب خبر سوء بالاسترجاع، وكذا كل ما قصد به الجواب أو الخطاب (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)^(١٥٣). وفتحته على غير إمامه، بخلاف فتحته على إمامه.

والأكل والشرب مطلقاً، إلا إذا كان بين أسنانه مأكول فابتلعه، والقراءة في المصحف، وكلّ عمل كثير، والسجود على نجس، وعند أبي يوسف أنّ الصلاة لا تفسد بل تفسد السجدة، فلو أعاد السجدة على طاهر لم تفسد، ويفسدها أداء ركن، أو تمكنه منه مع كشف عورة، أو نجاسة عند أبي يوسف.

وأن يصلي على مصلى مضرب نجس البطانة بخلاف غير مضرب، ومبسوط على نجس، إن لم يظهر لون أو ريح، وتحويل صدره عن القبلة بغير عذر، والمشى الكثير، ولو كان معه حجر فرمى به طائراً لم تفسد، ولو رمى إنساناً تفسد، وارتداد بقلبه، وموت، وجنون، وإغماء؛ وكل موجب لوضوء وترك ركن بلا قضاء، وشرط بلا عذر، ومسابقة المؤتم بركن لم يشاركه فيه إمامه، كأن ركع ورفع رأسه قبل إمامه ولم يعد معه^(١٥٤).

(١٥٣) مريم: ١٢.

(١٥٤) انظر حاشية ابن عابدين شرح تنوير الأبصار ج ١ ص ٦٤١.

الشافعية

مبطلات الصلاة عندهم هي :

النطق بحرفين أو حرف مفهم ، وكذا مدّة بعد حرف في الأصحّ والتتحنح، والضحك، والبكاء، والأنين، إن ظهر به حرفان وإلا فلا، ويعذر في يسير الكلام، إن سبق لسانه أو نسي الصلاة، أو جهل تحريمه؛ إن قرب عهده بالإسلام لا كثيره في الأصح، ولو أكره على الكلام بطلت في الأظهر، ولو نطق بنظم القرآن بقصد التفهيم، كـ «يا يحيى خذ الكتاب»، إن قصد معه قراءة لم تبطل، وإلا بطلت ولا تبطل بالذكر والدعاء، إلا أن يخاطب كقوله للعاطس: يرحمك الله، ولو سكت طويلاً بلا غرض لم تبطل في الأصح.

ويسنّ لمن نابه شيء كتنبيه إمامه، وإذنه، وإنذاره أعمى أن يسبح وتصفق المرأة بضرب اليمين على ظهر اليسار، ولو فعل في صلاته غيرها، إن كان من جنسها بطلت إلا أن ينسى وإلا فتبطل بكثيره لا قليله، والكثرة بالعرف، فالخطوتان أو الضربتان قليل والثلاث كثير إن توالى، وتبطل بالوثبة الفاحشة، لا الحركات الخفيفة المتوالية، كتحريك أصابعه أو حك في الأصح.

وسهو الفعل الكثير كعمده في الأصح، وتبطل بقليل الأكل إلا أن يكون ناسياً أو جاهلاً تحريمه، فلو كان بفمه سكرة فبلغ ذوبها بطلت في الأصح... الخ^(١٥٥). وقال أبو إسحاق الشيرازي: إذا قطع شرطاً من شروطها كالطهارة والستار وغيرهما بطلت صلاته، فإن سبقه الحدث ففيه قولان قال في الجديد: تبطل صلاته، لأنّه حدث يبطل الطهارة. وقال في القديم: لا تبطل صلاته، بل ينصرف ويتوضأ ويبني على صلاته... الخ^(١٥٦).

المالكية

والمبطلات عند المالكية هي:

ترك ركن من أركانها عمداً، وترك ركن من أركانها سهواً، ولم يتذكر حتى سلّم معتقداً الكمال وطال الأمر عرفاً.

أما إذا سلّم معتقداً الكمال ثم تذكر عن قرب فإنّه يلغي ركعة النقص، ويبني على غيرها، وتصح صلاته، وأما إذا لم يسلم معتقداً الكمال بأن لم يسلم أصلاً أو سلّم غلطاً؛ فإن كان الركن المتروك من الركعة الأخيرة فإنّه يأتي به ويتمّ صلاته، وإن كان من غير الأخيرة إن

(١٥٥) انظر منهاج الطالبين للنووي ص ١١.

(١٥٦) المهذب ج ١ ص ٨٨.

لم يعقد ركوع الركعة التالية لركعة النقص فإن عقد ركوع الركعة التالية ألغى ركعة النقص، ولا يأتي بالركن المتروك، وعقد الركوع يكون برفع الرأس منه مطمئناً إلا في ترك الركوع فإن عقد التالية يكون بمجرد الانحناء في ركوعها.

ومنها: رفض النية وإلغاؤها، وزيادة ركن، والقهقهة عمداً أو سهواً، والأكل والشرب عمداً، والكلام لغير إصلاح الصلاة عمداً، فإن كان الكلام لإصلاحها فإن الصلاة تبطل بكثيره دون يسيره، وتعتمد النفخ بالفم، والتصويت والقيء عمداً ولو كان قليلاً، والسلام حال الشك في تمام الصلاة، وطروء ناقض للوضوء، وسقوط النجاسة على المصلي أو علمه بها أثناء الصلاة وفتح المصلي على غير إمامه، والعمل الكثير الذي ليس من جنس الصلاة، وطروء شاغل عن إتمام فرض كاحتباس بول يمنع من الطمأنينة مثلاً. وترك ثلاث سنن من سنن الصلاة سهواً^(١٥٧) مع ترك السجود لها حتى سلم وطال الأمر عرفاً.

الحنابلة

تبطل الصلاة عندهم بأمور هي:

من زاد فعلاً من جنس الصلاة عمداً بطلت، وسهواً يسجد له، وإن قام لزائدة جلس متى ذكر وتشهد إن لم يكن تشهد وسجد وسلم، وإن نبهه ثقتان فلم يرجع بطلت صلاته إن لم يجزم بصواب نفسه، وصلاة من تبعه عالماً لا جاهلاً أو ناسياً، ولا من فارقته، وعمل متوال مستكثر عرفاً من غير جنسها بلا ضرورة سهواً، ولا تبطل بيسير أكل وشرب سهواً، ولا نفل بيسير شرب عمداً.

وإن سلم قبل اتمامها عمداً بطلت، وسهواً فإن ذكر قريباً ولو خرج من المسجد أو شرع في أخرى، وبقطعها تكلم يسير لمصلحتها أتمها وسجد، وإن أحدث أو قهقه بطلت كفعلها في صلبها، وإن نفخ أو انتحب لا من خشية الله تعالى أو تتحنح بلا حاجة فبان حرفان بطلت، ومن ترك ركناً غير تكبيرة الإحرام فذكره بعد شروعه في قراءة ركعة أخرى بطل المتروك فيها، وصارت التي شرع في قراءتها مكانها، وإن قبله يعود فيأتي به وبما بعده وبعد سلامه فكثر ركعة ما لم يكن تشهداً آخر، وكره إن استتم قائماً، وحرّم رجوعه، وبطلت إن شرع في القراءة لا أن نسي أو جهل تحريم رجوعه، ويجب السجود لذلك السهو مطلقاً.

ويبني على اليقين من شك في ركن أو عدد، ولا سجود لشك في ترك واجب أو زيادة، إلا إذا شك في وقت فعلها، ولا على مأموم إلا تبعاً لإمامه، لكن لو ترك الإمام السجود المترتب

(١٥٧) انظر مختصر خليل في الفقه المالكي ص ٢٤، والجواهر الزكية في حل ألفاظ العشماوية ص ١٥١، والفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٢٢٢.

عليه سجد المأموم وهو لما تبطل بعمده واجب، وكذا اللحن في السورة يحيل المعنى سهواً أو جهلاً.

وتبطل بترك ما قبل السلام إن كان واجباً، ما لم يأت به مع قرب، ويكفي لجميع السهو سجدتان، ومحلّه قبله (أي قبل السلام) ندباً، إلا إذا سلم عن نقص ركعة فأكثر، فالسجود بعد السلام ندباً، ومتى سجد بعده، كبر وسجد ثم جلس فتشهد وجوباً وسلم، وقبله يسجد بعد التشهد الأخير ويسلم^(١٥٨).

الشيعة

مبطلات الصلاة عندهم هي:

فقد بعض الشرائط في أثناء الصلاة كالستر، وإباحة المكان، واللباس ونحو ذلك وقد تقدّم بيانه.

الحدث الأكبر والأصغر فإنّه مبطل أينما وقع فيها ولو قبل الآخر بحرف، من غير فرق بين أن يكون عمداً أو سهواً أو اضطراراً، عدا المسلوس والمبطون والمستحاضة. تعمّد الالتفات بتمام البدن إلى الخلف أو اليمين أو اليسار بل وإلى ما بينهما على وجه يخرج عن الاستقبال.

تعمّد الكلام بحرفين ولو مهملين غير مفهمين للمعنى أو بحرف واحد بشرط كونه مفهماً للمعنى نحو «ق» فعل أمر من وقى.

ويجوز رد التحية في أثناء الصلاة، بل يجب، ويكون الرد بمثل ما سلم، ولو سلم على جماعة منهم المصلي فرد الجواب غيره لم يجز له الرد، ويكره السلام على المصلي. تعمّد القهقهة، وهي الضحك المشتمل على الصوت والمدّ.

تعمّد البكاء المشتمل على الصوت، إلا أن يكون من خوف الله ولأمر الآخرة. كل فعل ماح لصورة الصلاة قليلاً كان أو كثيراً مما هو مناف للصلاة، وكذا السكوت الطويل الماحي لصورة الصلاة.

الأكل والشرب عمداً كانا أو سهواً.

الشك في ركعات الثنائية والثلاثية والأوليين من الرباعية، على ما سنبينه إن شاء الله. زيادة جزء أو نقصانه عمداً، إن لم يكن ركناً ومطلقاً إن كان ركناً.

تنبيه

لم نتعرّض هنا لكثير من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين المذاهب خشية الإطالة في الموضوع، كبيان الاختلاف في وضع اليمين على الشمال في الصلاة، إذ الشيعة يرون بطلانه، أو أنّ حرمة حرمة تشريعية^(١٥٩).

كما أنّ الخلاف واقع بين المذاهب الأخرى، فمنهم من يرى استحبابه، كأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور وغيرهم^(١٦٠).

ومنهم من لا يرى استحبابه، وكان يرسل يديه في الصلاة، كالحسن البصري، والنخعي؛ وابن سيرين وغيرهم^(١٦١).

وقال الأوزاعي بالتخيير، وروى ابن القاسم عن مالك: الإرسال وهو الأشهر وعليه جميع أهل المغرب من أصحابه، واحتجوا بحديث المشي صلاته وبأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علمه الصلاة ولم يذكر اليمين على اليسار^(١٦٢).

وقال ابن المنذر في بعض تصانيفه: لم يثبت عن النبي في ذلك شيء فهو مخير. والمسألة تحتاج إلى نقاش للأحاديث الواردة من طريق أبي هريرة، وقد صحّ عند الشيعة من طرق أهل البيت (عليهم السلام) حرمة ذلك، وأنه لم يرد فيه عن النبي شيء.

وأما ما رواه أبو داود عن علي (عليه السلام) أنّ من السنة في الصلاة وضع الأكف على الأكف في الصلاة، فإنّ هذا لم يوجد إلا في نسخة ابن الأعرابي دون غيرها^(١٦٣)، ومع ذلك فإنّ الراوي لا يعتمد على حديثه، وقد ورد عن الإمام (عليه السلام) ما يدل على حرمة^(١٦٤) ولنترك هذا لمناسبة أخرى.

كما إنّنا لم نتعرّض للحديث حول كلمة «آمين» بعد الفاتحة وأنها مستحبة للإمام أو المأموم أو للجميع والأحاديث الواردة لا تصلح للمشروعية، فذهب الشيعة إلى البطلان^(١٦٥)؛ وحكى المهدي في البحر عن العترة جميعاً: أنّ التأمين بدعة واستدل بحديث معاوية بن الحكم السلمي^(١٦٦).

(١٥٩) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ٢٩٥ مسألة ٣٣٠.

(١٦٠) بدائع الصنائع ج ١ ص ٢٠١، عمدة القارئ ج ٥ ص ٢٧٩، المبسوط للسرخسي ج ١ ص ٢٣، رحمة الأمة ج ١ ص ٤١.

(١٦١) انظر نفس المصادر المتقدمة.

(١٦٢) المجموع للنووي ج ٣ ص ٢١٣.

(١٦٣) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٨٨.

(١٦٤) التهذيب ج ٢ ص ٨٤ ح ٣٠٩ و ٣١٠.

(١٦٥) تذكرة الفقهاء ج ٣ ص ١٦٢ مسألة ٢٤٥.

(١٦٦) نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٢٣ و ٢٢٤.

والموضوع يدعو إلى بسط القول في الدلالة، فلنترك ذلك، كما نترك كثيراً من المسائل،
ونتحول إلى البحث عن صلاة المسافر ومن الله التوفيق.

صلاة المسافر

صلاة المسافرين

صلاة المسافر

اختلف المسلمون في حكم قصر الصلاة في السفر على أقوال: أحدها: أنَّ المسافر فرضه المتعين عليه هو قصر الصلاة، وهو مذهب الشيعة^(١٦٧) ووافقهم أبو حنيفة وأصحابه^(١٦٨)، والكوفيون بأسرهم على خلاف في تحقيق المسافة الموجبة لقصر الصلاة كما سيأتي.

الثاني: أنَّ القصر والإتمام كلاهما فرض مخير له كالخيار في واجب الكفارة، وبذا قال بعض أصحاب الشافعي^(١٦٩).

الثالث: أنَّه سنة، وبه قال مالك في أشهر الروايات عنه^(١٧٠).
الرابع: أنَّ القصر رخصة، وأنَّ الإتمام أفضل، وإليه ذهب الشافعي في أشهر الروايات عنه.

الخامس: جواز القصر، وأَّه أفضل من الإتمام، وإليه ذهب الحنابلة^(١٧١).
وهذه المسألة من مهمَّات المسائل التي وقع فيها الخلاف بين السنة والشيعة حتى ظنَّ بعض الناس أنَّ ذلك من المسائل التي انفرد بها الشيعة.
ولا بدَّ لنا هنا من استعراض المسألة، لينكشف لنا كثير من المفارقات فيها باستعراض الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع في أصل هذه المسألة.
أمَّا الكتاب فقوله تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا...) ^(١٧٢).
قال يعلى بن أمية: قلت لعمر بن الخطاب: أليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، وقد أمن الناس؟!
فقال عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): صدقة تصدق بها الله عليكم، فاقبلوا صدقته ^(١٧٣).

(١٦٧) الخلاف ج ١ ص ٥٦٧ مسألة ٣١٩.

(١٦٨) المبسوط للسرخسي ج ١ ص ٢٣٩، اللباب ج ١ ص ١٠٧، المجموع ج ٤ ص ٣٣٧.

(١٦٩) كتاب الأم ج ١ ص ١٧٩، المجموع ج ٤ ص ٣٣٧.

(١٧٠) بداية المجتهد ج ١ ص ١٦١، بدائع الصنائع ج ١ ص ٩١.

(١٧١) نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٠٠.

(١٧٢) النساء: ١٠١.

(١٧٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٦ شرح النووي.

وروي أنّ زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم سألا الإمام أبا جعفر محمد الباقر (عليه السلام) فقالا له: ما تقول في الصلاة في السفر؟ كيف هي؟ وكم هي؟ قال (عليه السلام): إنّ الله سبحانه يقول: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا) فالتقصير واجب في السفر كوجوب التمام في الحضر.

قالا: إنّ الله تعالى قال: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) ولم يقل قصرُوا فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام؟ قال (عليه السلام): أو ليس قال تعالى في الصفا والمروة: (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) ^(١٧٤). ألا ترى أنّ الطواف واجب مفروض لأنّ الله ذكره في كتابه وصنعه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذا التقصير في السفر شيء صنعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكره الله في الكتاب.

قالا: قلنا فمن صلى في السفر أربعاً أيعيد أم لا؟ قال (عليه السلام): إذا كانت قرئت عليه آية التقصير وفسّرت له فصلّى أربعاً أعاد، وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه وقال (عليه السلام): الصلاة في السفر كل فريضة ركعتان، إلا المغرب فإنّها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في السفر والحضر ثلاث ركعات ^(١٧٥).

قال الشيخ الطبرسي - بعد إيراد هذا الخبر - : وفي هذا دلالة على أنّ فرض المسافر مخالف لفرض المقيم، وقد اجمعت الطائفة الشيعية على ذلك، واجمعت على أنّه ليس بقصر وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: فرض المسافر ركعتان غير قصر ^(١٧٦).

وأما السنّة

فهي كثيرة تدلّ بصراحة على وجوب التقصير، وقد رويت من طريق صحاح الجمهور ونصوص أهل البيت (عليهم السلام) .

فمن الصحاح ما أخرجه مسلم عن ابن عمر أنّه قال: صحبت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في السفر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت أبا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت عمر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، ثم صحبت عثمان فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وقد قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ^(١٧٧).

(١٧٤) البقرة: ١٥٨.

(١٧٥) مجمع البيان ج ٥ ص ٢١١ ط بيروت.

(١٧٦) مجمع البيان ج ٣ ص ١٢٧.

(١٧٧) شرح صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٨.

وأخرج عن ابن عباس أنه قال: إنّ الله فرض الصلاة على لسان نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم) على المسافر ركعتين وعلى المقيم أربعاً وفي الخوف ركعة^(١٧٨).

وأخرج البخاري عن انس قال: خرجنا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين، حتى رجعنا إلى المدينة^(١٧٩).

وقال ابن مسعود: صليت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، ثم تفرقت بكم الطرق ووددت أن لي من أربع ركعتين متقبلتين^(١٨٠).

وقال أنس: خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكة فصلّى ركعتين حتى رجع وأقمنا بمكة عشرًا نقصر الصلاة. متفق عليه^(١٨١).

وقال ابن قدامة: وشدد ابن عمر على من أتم الصلاة فروى أن رجلاً سأل عن صلاة السفر؛ فقال ابن عمر: ركعتان فمن خالف السنة كفر.

وقال بشر بن حرب: سألت ابن عمر: كيف صلاة السفر يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أما أنتم تتبعون سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبرتكم وأما لا تتبعون سنة نبيكم فلا أخبركم، قلنا، فخير ما نتبع سنة نبينا يا أبا عبد الرحمن. قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا خرج من المدينة لم يزد على ركعتين حتى يرجع إليها^(١٨٢).

وروى مسلم بسند عن يحيى الهنائي قال: سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة، فقال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ - الشك من الراوي - صلى ركعتين^(١٨٣).

وروى البخاري عن عبد الرحمن بن يزيد يقول: صلى بنا عثمان بن عفان بمنى أربع ركعات فقل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع ثم قال: صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنى أربع ركعات... الحديث^(١٨٤).

وأخرج مالك عن عمر بن الخطاب أنه صلى بالناس بمكة ركعتين، فلما انصرف قال: يا أهل مكة أتموا صلاتكم فأبأ قوم سفر^(١٨٥).

(١٧٨) المصدر السابق.

(١٧٩) صحيح البخاري ج ٢ ص ٥١.

(١٨٠) المغني لابن قدامة ج ٢ ص ٢٥٥.

(١٨١) البخاري ج ٣ ص ٥١.

(١٨٢) المغني لابن قدامة ج ٢ ص ٢٧٠.

(١٨٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٨١، ح ٦٩١.

(١٨٤) صحيح مسلم ج ١ ص ٢٠.

(١٨٥) تيسير الوصول للشيباني ج ٢ ص ٢٨٦.

وعن حارثة بن وهب قال: صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - ونحن أكثر ما كنا قط وآمنه - بمنى ركعتين. أخرجه مسلم^(١٨٦) وأصحاب السنن.

وعن ابن عباس قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا ربّ العالمين فصلى ركعتين ركعتين. أخرجه الترمذي وصحّحه النسائي^(١٨٧).

وأخرج مسلم عن حفص بن عاصم عن ابن عمر قال: صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنى صلاة المسافرين وأبو بكر وعمر وعثمان ثمانين سنين أو قال ست سنين وهو قيد لصلاة عثمان

قال حفص: وكان ابن عمر يصلي بمنى ركعتين ثم يأتي فراشه، فقلت: أي عم لو صليت بعدها ركعتين. قال: لو فعلت لأتممت الصلاة^(١٨٨).

وعن كعب بن عجرد قال: قال عمر بن الخطاب صلاة الأضحى ركعتان وصلاة الفطر ركعتان وصلاة المسافرين ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وقد خاب من افتري^(١٨٩).

وعن محمد بن المنكدر وإبراهيم بن ميسرة سمعا أنس بن مالك يقول: صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين^(١٩٠).

وأخرج الدارمي في سننه عن أنس قال: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة أربعاً وبذي الحليفة ركعتين^(١٩١).

وأخرج عن سالم عن أبيه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى بمنى ركعتين وأباً بكر ركعتين، وعمر ركعتين، وعثمان ركعتين صدرأ من إمارته ثم أتمّها بعد ذلك^(١٩٢).

وأخرج مالك في الموطأ عن ابن شهاب، عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجد صلاة الخوف، وصلاة الحضر في القرآن، ولانجد صلاة السفر. فقال ابن عمر: يابن أخي إن الله عزّ وجلّ بعث إلينا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا نعلم شيئاً فإنّما نفعل كما رأيناه يفعل^(١٩٣).

(١٨٦) انظر صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٠٥ .

(١٨٧) سنن النسائي ج ٣ ص ١١٧ .

(١٨٨) المصدر السابق ص ٢٠٤، وصحيح البخاري ج ٢ ص ٥١ .

(١٨٩) انظر المحلى لابن حزم ج ٤ ص ٢٦٥ .

(١٩٠) أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ٢٧٤، والدارمي ج ١ ص ٣٥٤ .

(١٩١) سنن الدارمي ج ١ ص ٣٥٤ .

(١٩٢) المصدر السابق .

(١٩٣) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٢٩٥ .

وعلى هذا فإنّ صلاة السفر في نظر ابن عمر هي ثابتة بالسنة لا بالقرآن وهو خلاف ما يذهب إليه الصحابة، ومنهم أبوه وقد تقدّم جوابه ليعلى بن أمية قريباً.

وكيف كان فالأحاديث متواترة من صحاح الجمهور، ونصوص أهل البيت (عليهم السلام) بأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما سافر إلا صلى ركعتين إلا المغرب ولم يثبت عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه أتمّ في السفر، ولو كان هناك تخيير لما ترك (صلى الله عليه وآله وسلم) العمل به، ولاختار الإكمال في كثير من أسفاره، تعليماً لذلك في حقّ الأمة.

ولمّا صلى (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة قاصراً قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أتمّوا يا أهل مكة، فإنّما نحن قوم سفر» فلو جاز الأربع لما اقتصر على الركعتين أولاً لاغتنام زيادة العمل في الحرم، لما للعبادة فيه من تضاعفٍ؛ وثانياً أنّه كان إماماً، وخلفه المقيمون من أهل مكة، فكان ينبغي أن يتمّ كيلاً يحتاج أولئك القوم الى الانفراد وتفوتهم فضيلة الإتمام معه (١٩٤).

وأما ما يروى أنّ عثمان أتمّ في السفر، وكذلك روي عن عائشة أنّها قالت: افطرت وصمت وقصّرت واتممت.. الخ مع أنّ المشهور عنها أنّها قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرّت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر.

قال الزهري: قلت لعروة: فما بال عائشة تتم؟! قال: تأولت كما تأول عثمان رحمه الله (١٩٥).

قال القاضي أبو الوليد المالكي: وقد اختلف في تأويل ذلك. فقيل: تأول - أي عثمان - أنّه لما كان الخليفة، وأنّ كلّ موضع يمرّ فيه فهو قطره، وأنّ من فيه ملتزم لطاعته، فهو بمنزلة استيطانه فيه، فحكمه لذلك أن يتم.

وتأولت عائشة أنّها لمّا كانت أم المؤمنين وأنّ كلّ منزل تنزله فهو منزل لمن يحرم عليها بالبنوة، كان حكمها لذلك أن تتم (١٩٦).

وقال أبو الوليد: ويحتمل عندي أن يكون عثمان وعائشة اعتقدا في ذلك التخيير على ما ذهب اليه الشافعي فأثرا الإتمام، وتأولا أفعال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في القصر أنّه قصد به التخفيف عن أمته كالفطر (١٩٧).

وأنت ترى ما في هذه التأويلات من البعد عن الواقع، فلم يك عثمان أولى من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمؤمنين، ولم لم يكن أصحابه بهذه المنزلة؟ فقد كانا يقصران الصلاة في السفر.

(١٩٤) بدائع الصنائع ج ١ ص ٩٢.

(١٩٥) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٤٤٢.

(١٩٦) شرح موطأ مالك ج ١ ص ٢٦١.

(١٩٧) انظر شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٤٤٢، نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٤٠ و ٢٤١.

وقد استغرب ابن مسعود فعل عثمان، واسترجع عند ما بلغه أنّ عثمان صلى أربعاً في السفر، وقال: صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، ثم تفرقت بكم الطرق.

وأما أمّ المؤمنين عائشة فليس لها مزيد اختصاص عن سائر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهنّ أمهات المؤمنين، ولم يعرف عن واحدة منهن أنّها أتمت في السفر.

وأحسن وجه يتأوّل به فعل عثمان وعائشة في إتمام الصلاة في السفر هو: احتمال أن يكون عثمان وعائشة إنّما أتماّ بمنى بعد المقام بمكة مدة الإتمام، كما لم يكن في الخروج الى عرفة مسافة قصر لمن احتسب في القصر بالخروج خاصة دون الرجوع. كما ذكر ذلك القاضي أبو الوليد المالكي (١٩٨).

ويؤيد ذلك ما روي أنّ عثمان لمّا أتم الصلاة بمنى فأنكر عليه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قال لهم: إنّني تأهلت بمكة، وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من تأهل بقوم فهو منهم (١٩٩).

وعلى أيّ حال لا يصلح الاستدلال بفعل عثمان، فإنّ إنكار الصحابة عليه، واعتذار عثمان يدلان على أنّ الفرض هو القصر دون التمام، ولولا ذلك لما كان محلاً للإنكار، ولا موجب للاعتذار عن شيء جائز في الشرع، ومرخص على فعله.

وقد روي عن ابن عباس أنّه قال: لا تقولوا قصرأ فإنّ الذي فرضها في الحضر أربعاً هو الذي فرضها في السفر ركعتين (٢٠٠).

وروي عن عمر بن الخطاب أنّه قال: صلاة المسافر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، تمام غير قصر، على لسان نبيكم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢٠١).

حجة الشافعي

وذهب الشافعي إلى عدم وجوب القصر في السفر، وأنّ قوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) إنّما هو تخفيف من الله عزّ وجلّ عن خلقه، لا أنّ فرضاً عليهم أن يقصروا.

(١٩٨) شرح الموطأ ج ١ ص ٢٦١.

(١٩٩) بدائع الصنائع ج ١ ص ٩٢.

(٢٠٠) بدائع الصنائع ج ١ ص ٩٢.

(٢٠١) بدائع الصنائع ج ١ ص ٩٢.

وقال: فالاختيار والذي أفعل مسافراً، وأحبّ أن يفعل قصر الصلاة في الخوف والسفر، وفي السفر بلا خوف، ومن أتمّ الصلاة فيهما لم تفسد عليه صلاته، جلس في مثني قدر التشهد أو لم يجلس، وأكره ترك القصر... الخ^(٢٠٢).

وقال: وأكره ترك القصر رغبة عن السنة، فأما أنا فلا أحبّ أن أقصر في أقل من ثلاثة أيام احتياطاً على نفسي، وإن كان ترك القصر مباحاً لي قصر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأتم^(٢٠٣).

والصحيح أنّ النبيّ لم يتم في السفر ولم يرو عنه ذلك أبداً، إلا ما أخرجه الدارقطني عن عائشة أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقصر في السفر، ويتم، ويفطر ويصوم. وقد أنكر الحفاظ هذا الحديث وكذبوه، ولأنّه مخالف لما عليه فعل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع أسفاره.

وقد أجاب ابن حزم عن جميع ما احتج به الشافعية فيما ذهبوا إليه بقوله: احتج الشافعيون في قولهم: إنّ المسافر مخير بين ركعتين، أو أربع ركعات، بهذه الآية وإنّها جاءت بلفظ «لا جناح» وهذا يوجب الإباحة لا الفرض.

وبخبر رويناه من طريق عبد الرحمن بن الأسود، عن عائشة: أنّها اعتمدت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة إلى مكة، فلمّا قدمت مكة قالت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت، وأفطرت وصمت. قال: أحسنت يا عائشة. ومن طريق عطاء عن عائشة: كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يسافر فيتمّ الصلاة ويقصر.

وبأنّ عثمان أتم الصلاة بمنى بحضرة جميع الصحابة رضي الله عنهم فأتموها معه. وبأنّ عائشة - وهي روت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين - كانت تتم في السفر. قال علي بن حزم: هذا كلّ ما احتجّوا به، وكله لا حجة فيه: أمّا الآية فإنّها لم تنزل في القصر المذكور بل في غيره على ما نبّيته بعد هذا إن شاء الله. أمّا الحديثان فلا خير فيهما:

أمّا الذي من طريق عبد الرحمن بن الأسود فانفرد به العلاء بن زهير الأزدي، لم يروه غيره وهو مجهول. وأمّا حديث عطاء فانفرد به المغيرة بن زياد ولم يروه غيره، وقال فيه أحمد بن حنبل: هو ضعيف كل حديث أسنده فهو منكر.

(٢٠٢) كتاب الأم ج ١ ص ١٧٩.

(٢٠٣) مختصر المزني ص ٢٤.

وأما فعل عثمان وعائشة فإنهما تأوّلوا تأويلاً خالفهما فيه غير هما من الصحابة (٢٠٤).
ثم أورد ابن حزم أخباراً خرّجها من طريقه منها: قول صفوان بن محرز: قلت لابن عمر
حدثني عن صلاة السفر قال: أتخشى أن تكذب علي؟ قلت: لا. قال ابن عمر: ركعتان من
خالف السنة كفر.

ومنها قول ابن عباس: من صلى في السفر أربعاً كمن صلى في الحضر ركعتين.
ومنها ما أخرجه من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن
أبيه (عليه السلام) قال: اعتل عثمان وهو بمنى فأتى علي فقبل له: صل بالناس. فقال علي (عليه السلام): إن شئتم
صليت لكم صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). يعني ركعتين. قالوا لا: إلا صلاة أمير المؤمنين
يعنون عثمان - فأبى عثمان (٢٠٥) وفي نسخة «فأبى» بدون ذكر عثمان - أي فأبى علي (عليه
السلام) - وهكذا عمن بعدهم رويناه عن عمر بن عبد العزيز وقد ذكر له الإتمام في السفر لمن
شاء، فقال: لا. الصلاة في السفر ركعتان حتماً لا يصح غيرهما.
فإذا اختلفت الصحابة فالواجب ردّ ما تنازعوا فيه إلى القرآن والسنة (٢٠٦).

* * *

والحاصل أنّ القصر هو الواجب على المسلم، لأنّ فعل النبيّ كان في جميع أسفاره هو
قصر الصلاة ولم يتمّها يوماً ما ولم يثبت عنه غير قصر الصلاة في السفر البتة، ولنا في
رسول أسوة حسنة.

قال الخطابي: كان مذاهب أكثر علماء السلف وفقهاء الأمصار على أنّ القصر هو
الواجب في السفر، وهو قول علي (عليه السلام) وعمر وابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة،
وروي ذلك عن عمر بن عبد العزيز وقتادة والحسن.
وقال حماد بن أبي سليمان: يعيد من يصلي في السفر أربعاً، وقال مالك: يعيد مادام في
الوقت (٢٠٧).

حجة الحنابلة

المشهور عن أحمد بن حنبل: أنّ المسافر إن شاء صلى ركعتين وإن شاء أتمّ، وروي عنه
أنّه توقف وقال: أنا أحبّ العافية من هذه المسألة.

(٢٠٤) انظر المحلى ج ٤ ص ٢٦٩.

(٢٠٥) المصدر السابق ص ٢٧٠.

(٢٠٦) المحلى ج ٤ ص ٢٧١.

(٢٠٧) المحلى ج ٤ ص ٢٦٥.

واستدلوا على جواز الإتمام بالآية الكريمة وهي قوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا). وكذلك استدلوا بما ورد عن عائشة أنها قالت: خرجت مع رسول الله في عمرة رمضان فأفطر وصمت، وقصر وأتممت، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أفطرت وصمت، وأتممت وقصرت فقال أحسنت (٢٠٨).

رواه أبو داود الطيالسي في مسنده وقالوا: هذا صريح في الحكم، وروي أيضاً بإسناد عن عطاء عن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتم في السفر ويقصر (٢٠٩).

وكلّ هذا لا يصحّ الاحتجاج به: أمّا الآية فقد تقدّم الجواب عنها في حجة الشافعية. وأمّا ما ورد عن عائشة: فأما الحديث الأول ففيه العلاء بن زهير وهو لا يحتج بحديثه، لأنّه كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الإثبات، فبطل الاحتجاج به مع أن فيه مخالفة صريحة من عائشة لفعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والواجب يقضي عليها اتباعه، فكيف يصحّ أن النبي كان يفطر وتصوم هي، ويقصر وتتم؟! هذا من جهة ومن جهة أخرى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعتمر إلا أربع عمر ليس منهن شيء في شهر رمضان.

قال في البدر المنير: إنّ في متن هذا الحديث نكارة؛ وهو كون عائشة خرجت معه (صلى الله عليه وآله وسلم) في عمرة رمضان، والمشهور أنّه لم يعتمر إلا أربع عمر ليس منهن شيء في رمضان، بل كلّهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته فكان إحرامها - أي العمرة - في ذي القعدة، وفعلها في ذي الحجة قال: هذا هو المعروف في الصحيحين وغيرهما... الخ.

وأما الخبر الثاني: فهو كالأول لا يصلح للاستدلال لمعارضته لما في الصحاح ومخالفته لعمل النبي والصحابة، وعمل أم المؤمنين عائشة وقد طعن فيه بطعون توجب سقوطه زيادة على ما فيه من المخالفات.

يقول ابن تيمية: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع أسفاره كان يصلي الرباعية ركعتين، ولم ينقل عنه أحد أنّه صلى الرباعية أربعاً، بل وكذلك أصحابه معه، والحديث الذي يروى عن عائشة أنّها أتمّت وأفطرت حديث ضعيف، بل قد ثبت عنها في الصحيح: أن الصلاة أول ما فرضت كانت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر وأقرّت صلاة السفر.

وثبت في الصحيح عن عمر بن الخطاب أنّه قال: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، وصلاة الأضحي وصلاة الفطر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٢٠٨) سنن النسائي ج ١ ص ٢١٣.

(٢٠٩) مسند أبي داود ص ٢٠٩ ج ١٤٩٢.

وأما قوله تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا)^(٢١٠) فإن نفي الجناح بيان الحكم وإزالة الشبهة، لا يمنع أن يكون القصر هو السنة كما قال تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)^(٢١١) نفي الجناح لأجل الشبهة التي عرضت لهم من الطواف بينهما، لأجل ما كانوا عليه في الجاهلية من كراهية بعضهم للطواف بينهما، والطواف بينهما مأمور به باتفاق المسلمين، وهو إما ركن وإما واجب، وإما سنة مؤكدة، وهو سبحانه ذكر الخوف في السفر لأنَّ القصر يتناول قصر العدد، وقصر الأركان، فالخوف يبيح قصر الأركان، والسفر يبيح قصر العدد ... الخ^(٢١٢).

المسافة

وقع الخلاف بين علماء الإسلام في مقدار المسافة التي يقصر فيها الصلاة، وورد فيها نحو من عشرين قولاً.

أما الخلاف بين المذاهب في ذلك فقد ذهب الحنفية إلى أنَّ المسافة التي يصير بها المقيم مسافراً سير ثلاثة أيام سير الإبل، ومشى الأقدام، قال الكاساني:

وأما بيان ما يصير به المقيم مسافراً: فالذي يصير به المقيم مسافراً نية مدة السفر، والخروج من عمران مصر، فلا بدَّ من اعتبار ثلاثة أشياء:

أحدها: مدة السفر وأقلها غير مقدر عند أصحاب الظواهر، وعند عامة العلماء مقدر، واختلفوا في التقدير، قال أصحابنا - أي الحنفية - ثلاثة أيام سير الإبل ومشى الأقدام، وهو المذكور في ظاهر الروايات، وروي عن أبي يوسف يومان وأكثر الثالث، وكذا روى الحسن عن أبي حنيفة، وابن سماعة عن محمد الشيباني، ومن مشايخنا من قدره بخمسة عشر فرسخاً، وجعل لكل يوم خمسة فراسخ، ومنهم من قدره بثلاث مراحل^(٢١٣).

وأكثر الحنفية لا يعتبر التقدير بالفراسخ، وقدّر أبو حنيفة المسافة بالمرحل وأبو يوسف قدرها بيومين، وأكثر اليوم الثالث. ودليلهم في تقدير المسافة بثلاثة أيام بلياليها - ومنهم من

(٢١٠) النساء ١٠١.

(٢١١) البقرة ١٥٨.

(٢١٢) فتاوى ابن تيمية ج ١ ص ١٢٢.

(٢١٣) بدائع الصنائع ج ١ ص ٩٣.

حذف الليالي - هو ما ورد عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): يمسح المقيم كمال يوم وليلة، والمسافر ثلاثة أيام ولياليها^(٢١٤).

وقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاثة أيام إلا مع محرم أو زوج^(٢١٥).

وليس فيما أوردوه ما يصلح للاستدلال: فخير المسح لا يصحّ مطلقاً، وإن صح فهو بيان الفعل وليس فيه بيان لحد السفر.

وأما الدليل الثاني فإنه لم يكن لبيان مسافة السفر، بل لبيان النهي للمرأة عن الخروج وحدها، هذا إن كان بلفظ ثلاثة أيام وإلا فإنّ ألفاظ الحديث مختلفة؛ فمنها يوم وليلة كما روي عن أبي هريرة.

وفي آخر عن أبي هريرة أيضاً تسافر مسيرة يوم وفي لفظ تسافر بريداً وفي آخر لا تسافر إلا ليلة ... الخ .

فاضطراب الحديث واختلاف ألفاظه لا يصلح للاستدلال. إن كان يصحّ ذلك. وقد ورد هذا الحديث عن ابن عباس عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: لا يخلون رجل بامرأة. ألا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، بدون تقييد في مدة بل هو لعموم السفر. وكيف كان فما استدلووا به من ألفاظ حديث أبي هريرة لا يصح. وقال الشافعي: فللمرء عندي أن يقصر فيما كان مسيرة ليلتين قاصدتين وذلك ستة وأربعون ميلاً بالهاشمي ولا يقصر فيما دونها ...^(٢١٦).

ونقل النووي عن الشافعي : أنّه لا يجوز القصر إلا في مسيرة مرحلتين قاصدتين، وهي ثمانية وأربعون ميلاً هاشمية، والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعاً معترضة، والإصبع ست شعيرات معترضات معتدلات^(٢١٧).

وجاء في نهاية المحتاج أن المسافة ثمانية وأربعون ميلاً ذهاباً تحديداً لا تقريباً^(٢١٨). وقال أبو إسحاق الشيرازي: ولا يجوز ذلك - أي القصر - إلا في مسيرة يومين وهو أربعة برد وكلّ برید أربعة فراسخ فذلك ستة عشر فرسخاً، لما روي عن ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين ويفطران في أربعة برد فما فوق ذلك... الخ^(٢١٩).

(٢١٤) المصدر السابق .

(٢١٥) الهداية ج ١ ص ٥٦.

(٢١٦) كتاب الأم ج ١ ص ١٨٢.

(٢١٧) شرح مسلم للنووي ج ٥ ص ١٩٥ .

(٢١٨) انظر نهاية المحتاج ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢١٩) المهذب ج ١ ص ١٠٢.

والمشهور عن مالك أنه يوافق الشافعي في ثمانية وأربعين ميلاً.
وروي عنه مسيرة يوم وليلة، وروى ابن القاسم أن مالكا رجع عنه.
وعن مالك أنه بلغه أن عبدالله بن عباس كان يقصر الصلاة في مثل ما بين الطائف ومكة،
وفي مثل ما بين مكة وعسفان، وفي مثل ما بين مكة وجدة، قال مالك: وذلك أربعة برد،
وذلك أحب ما تقصر إلي فيه الصلاة (٢٢٠).
قال الزرقاني في شرحه: أحب عائد لاختياره يعني أنه لا يقصر في أقل منها وهي: ستة
عشر فرسخاً، ثمانية وأربعون ميلاً.
وروى أشهب عن مالك القصر في خمسة وأربعين ميلاً، وروى أبو زيد عن ابن القاسم:
أن من قصر في ستة وثلاثين ميلاً لا يعيد.
وقال ابن المواز: يعيد، وعن ابن الحكم: يعيد في الوقت فإن قصر في أقل من ذلك أعاد
أبدأ (٢٢١).
ووافقهم أحمد بن حنبل في تحديد المسافة بستة عشر فرسخاً أو ثمانية وأربعين ميلاً
بالحاشمي؛ فإنه سئل في كم تقصر الصلاة؟ قال: في أربعة برد.
قيل له مسيرة يوم تام؟ قال: لا، أربعة برد ستة عشر فرسخاً ومسيرة يومين.
قال ابن قدامة: فمذهب أبي عبدالله - أحمد بن حنبل - : إن القصر لا يجوز في أقل من ستة
عشر فرسخاً، والفرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلاً. قال القاضي والميل إثنا
عشر ألف قدم وذلك مسيرة يومين قاصدين (٢٢٢).
ولا يخفى ما في المسألة من خلاف وكثرة أقوال، فإنهم اختلفوا في تحديد المسافة بالزمن
وبالتقدير بالأميال أو الفراسخ.
أما التقدير في الزمن فهو يوم وليلة أو يومان وأكثر الثالث أو ثلاثة أيام بلياليها كما تقدّم.
وأما الاختلاف في تقدير المسافة فإن اختلافهم في الميل وتحديدده ومقداره.
فمنهم من قال: إن الميل هو من الأرض منتهى مدّ البصر، لأنّ البصر يميل عنه على
وجه الأرض حتى يفنى إدراكه.
وقيل: أن ينظر إلى الشخص في أرض مستوية فلا يدري أرجل هو أم امرأة أو ذاهب أو
أت.

(٢٢٠) موطأ مالك شرح الزرقاني ج ١ ص ٢٩٩.

(٢٢١) المنتقى ج ١ ص ٢٩٢.

(٢٢٢) المغني لابن قدامة ج ٢ ص ٢٥٥.

وقال النووي: الميل ستة آلاف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعاً متراسة معتدلة، والاصبع ست شعيرات معترضة معتدلة.

ومنهم من عبّر عن ذلك باثني عشر ألف قدم بقدم الانسان. وقيل: هو أربعة آلاف ذراع وقيل: ثلاثة آلاف ذراع وقيل خمسمائة وقيل: ألفا ذراع، ومنهم من عبّر عن ذلك بألف خطوة للجمل^(٢٢٣). وقيدوا الأميال بالهاشمية وحددوه باثني عشر ألف قدم، ستة آلاف ذراع أربعة آلاف خطوة.

أمّا الأميال الأموية فالميل منها ينقص عن الهاشمي بنسبة واحد من ستة، أي أنّ الفرسخ الأموي ميلان ونصف^(٢٢٤).

أمّا المسافة التي يجب معها القصر عند الشيعة فهي : ثمانية فراسخ امتدادية أو ملققة من أربعة ذهاباً وأربعة إياباً، والفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع بذراع اليد وهو من المرفق إلى أطراف الأصابع^(٢٢٥). وذلك هو الوارد عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من طريق أهل البيت(عليهم السلام) .

الإقامة

اختلف علماء الإسلام في تحديد المدة التي يصير بها المسافر مقيماً؛ فيجب عليه إتمام الصلاة وأداء الصيام على أقوال:

فعند الشيعة أنّ المسافر إذا عزم على الإقامة عشرة أيام متوالية في مكان واحد أو أنّه يعلم ببقائه المدة المذكورة فيجب عليه الإتمام والصيام ; لانقطاع السفر في ذلك. وكذا لو تردد في البقاء وعدمه ثلاثين يوماً فإنه يجب عليه القصر إلى نهاية الثلاثين، وبعدها يجب عليه التمام إلى أن يسافر سافراً جديداً^(٢٢٦) .

وذهب أبو حنيفة إلى أن مدة الإقامة خمسة عشر يوماً، وهو أحد قولي ابن عمر^(٢٢٧) وله قول آخر وهو: إذا أجمعت إقامة اثنتي عشرة ليلة فأنتم الصلاة، وبه قال سعيد بن المسيب في أحد أقواله، وقوله الآخر: إذا أقمت أربعاً فصل أربعاً، وله قول آخر إذا أقمت ثلاثاً فأنتم .

(٢٢٣) نيل الأوطار ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٢٢٤) غاية المنتهى ج ١ ص ١٩٥ .

(٢٢٥) العروة الوثقى ج ١ ص ٦٨٠ .

(٢٢٦) العروة الوثقى ج ١ ص ٧١١ .

(٢٢٧) المبسوط للسرخسي ج ١ ص ٢٣٦ .

وذهب مالك بن أنس إلى أن مدة الإقامة التي يباح بها التمام هي أربع ليال.
حدث يحيى عن مالك عن عطاء الخراساني أنه سمع سعيد بن المسيب قال: من أجمع إقامة أربع ليال وهو مسافر أتم الصلاة. قال مالك: وإذا أحب ما سمعت إلي^(٢٢٨).
قال ابن حزم: - بعد أن ذكر قول ابن المسيب - إذا أقمت أربعاً فصل أربعاً وبه يأخذ مالك، والشافعي؛ والليث، إلا أنهم يشترطون أن ينوي إقامة أربع فإن لم ينوها قصر حوالاً^(٢٢٩).
وقال أبو الوليد: اختلف أصحابنا - أي المالكية - فروى ابن القاسم أنه يراعى فيها أربعة أيام كاملة. قال عنه عيسى ولا يعتد بيوم دخوله إلا أن يدخل في أوله. وقال الماجشون وسحنون: إذا نوى مقام زمان تجب فيه عشرون صلاة فإنه يتم.
قال أبو الوليد: وجه رواية ابن القاسم أن الخبر المستفاد منه حكم المقام إنما ورد بلفظ الأيام، وذلك يقتضي تعلق الحكم بها.
ووجه الرواية الثانية: أن الحكم إنما يتعلق بالأيام من أجل الصلاة فوجب أن يعتبر بها^(٢٣٠).

ولا يخفى أن لفظ الخبر الوارد في قول أبي الوليد لم يكن خبراً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ ربما أن يتوهم ذلك، إذا لا خبر في الموضوع وإنما يقصد الخبر الوارد عن مالك، فليتأمل.

* * *

والشافعي يختار تحقيق الإقامة في أربعة أيام كما جاء في كتاب الأم وحكي عنه ذلك، قال في الأم:
إذا أزمع المسافر بموضع أربعة أيام ولياليهن ليس فيهن يوم كان فيه مسافراً فدخل في بعضه ولا يوم يخرج في بعضه أتم الصلاة، واستدللاً بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
يقيم المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً. وإنما يقضي نسكه في اليوم الذي يدخل فيه، والمسافر لا يكون دهره سائراً ولا يكون مقيماً مقام سفر وسائراً^(٢٣١)... الخ. وهذا عين ما استدلل به مالك.

(٢٢٨) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٠١.

(٢٢٩) المحلى ج ٥ ص ٢٣.

(٢٣٠) شرح الموطأ لابن البايجي ج ١ ص ٢٦٥.

(٢٣١) كتاب الأم ج ١ ص ١٨٦.

وأجيب عن هذا الاستدلال: بأنه لا حجة لهم فيه؛ لأنه ليس في هذا الخبر نص ولا إشارة إلى المدة التي إذا أقامها المسافر أتم، وإثما هو في حكم المهاجر، فما الذي أوجب أن يقاس المسافر يقيم على المهاجر يقيم؟! هذا لو كان القياس حقاً، وكيف وكله باطل؟! والمشهور عن أحمد بن حنبل أن المدة التي تلزم المسافر الإتمام بنية الإقامة فيها هي: ما كان أكثر من إحدى وعشرين صلاة .
وعنه أيضاً إذا نوى إقامة أربعة أيام أتم، وإن نوى دونها قصر، وهذا قول مالك والشافعي وأبي ثور .

واستدلوا له بدليل قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقيم المهاجر بعد قضاء منسكه ثلاثاً .
واستدلوا أيضاً بأن عمر لما أخلى أهل الذمة ضرب لمن قدم منهم تاجراً ثلاثاً وقال: إن الثلاث بحكم السفر وما زاد في حكم الإقامة^(٢٣٢) .

* * *

وكيف كان فقد اختلفت أقوال الصحابة والتابعين في هذه المسألة فعن ابن عباس القول بأن الإقامة عشرة أيام والمتردد إلى تسعة - عشر يقصر فإذا زاد أتم، وله قول آخر وهو: إن الإقامة خمسة عشر يوماً وله قول: بأن المتردد إلى سنة يصلي قصراً .
وقال ابن عمر بمثل قوله هذا، وله قول آخر وهو: أن الإقامة إثننا عشرة ليلة، وله قول إن المتردد إلى ستة أشهر يصلي قصراً .

وذهبت عائشة إلى أن وضع الزاد والمزاد موجب للتمام، وإليه ذهب الحسن البصري فقال: صلّ ركعتين ركعتين إلى أن تقدم مصراً فأتَم الصلاة وصم.

وقال ربيعة الرأي: إن الإقامة يوم وليلة.

وقال الأوزاعي: إن الإقامة ثلاث عشرة ليلة .

وقال سعيد بن المسيب إن الإقامة أربع. وله قول آخر: إنها ثلاث^(٢٣٣) .

وقال سعيد بن جبير إن الإقامة أكثر من خمسة عشر، وله قول آخر إن الإقامة تحصل بمجرد وضع الرحل إلى آخر الأقوال والآراء التي لا يعرف لهم فيها مستند شرعي وإثما ذلك اجتهد من أنفسهم، كما قيل عنهم ذلك .

وصفوة القول أن الأقوال في هذه المسألة مختلفة، ولا يكاد الإنسان أن يلمس منها قولاً يمكن أن يكون عمدة في الباب ولم يكن هناك أثر يدل على ما تطمئن النفس إليه وحيث كان الأمر كذلك، فلا بدّ من الرجوع إلى أهل البيت وهم أدري به، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

(٢٣٢) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٢٨٨ .

(٢٣٣) نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٣٧ .

قرنهم بكتاب الله فمن اتبعهم اهتدى، فهم أعلام الإسلام وحكام الأنام؛ ولهذا فإن الشيعة يأخذون بما ورد عنهم (عليهم السلام) ويستمدون تعاليمهم منهم .

وقد وردت في هذه المسألة نصوص عن أهل البيت أخذ بها الشيعة وعملوا بموجبها، فقد روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: يتم الذي يقيم عشراً، والذي يقول: اليوم أخرج، غداً أخرج، يقصر شهراً^(٢٣٤).

قال الشوكاني: وذهبت القاسمية والإمامية والحسن بن صالح وهو مروي عن ابن عباس أنه لا يتم الصلاة إلا من نوى إقامة عشر واحتجوا بما روي عن علي (عليه السلام) وذكر الحديث^(٢٣٥).

وقال ابن قدامة: وروي عن علي (رضي الله عنه) قال: يتم الصلاة الذي يقيم عشراً ويقصر الصلاة الذي يقول: أخرج اليوم أخرج غداً شهراً. وهذا قول محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق والحسن بن صالح^(٢٣٦).

قال الإمام الباقر (عليه السلام): وإن لم تدر ما مقامكم بها، تقول غداً أخرج أو بعد غد فقصر ما بينك وبين أن يمضي شهر فإذا تم لك شهر فأتّم الصلاة وإن أردت أن تخرج من ساعتك^(٢٣٧).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن شئت فأنو المقام عشراً وأتم، وإن لم تنو المقام فقصر ما بينك وبين شهر فإذا مضى لك شهر فأتّم الصلاة»^(٢٣٨).

وفي بعض الأخبار عنهما (عليهما السلام) تحديد مدّة التردد ثلاثين يوماً .
وروى معاوية بن وهب عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن أقمت تقول غداً أخرج أو بعد غد ولم تجمع على عشر فقصر ما بينك وبين شهر فإذا تم الشهر فأتّم الصلاة»^(٢٣٩).

وقال (عليه السلام): إذا عزم الرجل أن يقيم عشراً فليتم الصلاة، وإن كان في شك لا يدري ما يقيم فيقول: اليوم أو غداً فليقصر ما بينه وبين شهر فإن أقام بذلك البلد أكثر من شهر فليتم الصلاة .

(٢٣٤) انظر نيل الأوطار للشوكاني ج ٣ ص ٢٠٨ والمغني لابن قدامة الحنبلي ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢٣٥) نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٣٧ .

(٢٣٦) المغني ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢٣٧) التهذيب ج ٣ ص ٢١٩ ح ٥٤٦ .

(٢٣٨) المستمسك للإمام الحكيم ج ٨ ص ١٣٨ .

(٢٣٩) التهذيب ج ٣ ص ٢٢٠ ح ٥٥١ .

وبهذا أخذ الشيعة وعليه العمل، فهم يحكمون على من نوى إقامة عشرة أيام يجب عليه القصر، وإن كان متردداً فإنه يقصر حتى يمضي شهر فإذا مضى شهر أتم .

ووافقهم سفيان الثوري وجماعة آخرون، والذي يظهر من الخرقى الحنبلي اختيار القول في مدة التردد إلى شهر دون تحديد الإقامة بعشر كما جاء في مختصره قال: وإذا نوى المسافر الإقامة في بلد أكثر من إحدى وعشرين صلاة أتم، وإن قال: اليوم أخرج غداً أخرج قصر وإن أقام شهراً^(٢٤٠).

وذهبت الحنفية إلى أن المسافر الذي لم ينو إقامة خمسة عشر يوماً ويقول: غداً أخرج أو بعد غد أخرج واستمر على ذلك لا يصير مقيماً عندهم ولو بقي سنين عديدة^(٢٤١).

وللشافعية أقوال في ذلك: إنه إذا أقام في بلد على حاجة إذا تنجرت رحل ولم ينو مدة فقل: إنه يقصر سبعة عشر يوماً. وقيل يقصر أبداً. وخرج أبو إسحاق قولاً ثالثاً أنه يقصر إلى أربعة أيام^(٢٤٢).

وعند الحنابلة: أن من لم يجمع الإقامة مدة تزيد على إحدى وعشرين صلاة فله القصر ولو أقام سنين، والذي يظهر من عبارة ابن قاسم الخرقى أن مدة التردد إلى الشهر^(٢٤٣).

السفر المبيح للقصر

اختلفوا في السفر المبيح للقصر، فعند الشيعة أن سفر المعصية لا تقصر فيه الصلاة لأنه سفر محرّم، سواء أكان بنفسه حراماً كالفرار من الزحف وإباق العبد، وسفر الزوجة بدون إذن زوجها في غير الواجب، وسفر الولد مع نهي الوالدين في غير الواجب، وكما إذا كان مضراً لبدنه .

أم كان السفر غايته أمراً محرّماً: كما إذا سافر لقتل نفس محرمة، أو للسرقة أو للزنا، أو لإعانة الظالم، أو لأخذ أموال الناس ظلماً ونحو ذلك^(٢٤٤). ووافقهم الشافعي وأحمد .

قال الشافعي: وليس لأحد سافر في معصية أن يقصر، ولا يمسح مسح المسافرين، فإن فعل أعاد^(٢٤٥).

(٢٤٠) المغني ج ١ ص ٢٩٢.

(٢٤١) الغنية ص ٢٤١ .

(٢٤٢) المهذب للشيرازي ج ١ ص ١٠٣ .

(٢٤٣) المغني لابن قدامة ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(٢٤٤) العروة الوثقى ج ١ ص ٧٣٤ مسألة ٢٦ .

وقال الرملي - المعروف بالشافعي الصغير- : لا يترخص العاصي بسفره كأبق، وناشزة، وقاطع طريق ومسافر بلا إذن، إذ مشروعية الترخّص في السفر للإعانة، والعاصي لا يعان، لأنّ الرخص لا تتال بالمعاصي... الخ^(٢٤٦).

وأما أحمد بن حنبل فإنّه نصّ على عدم جواز القصر لمن كان سفره سفر معصية كإباق العبد، وقطع الطريق؛ والتجارة في الخمر والمحرمات^(٢٤٧).

وقال أيضاً: إذا خرج الرجل إلى بعض البلدان تنزّهاً وتلذّذاً، وليس في طلب حديث ولا حج ولا عمرة ولا تجارة فإنّه لا يقصر الصلاة، لأنّه إنّما شرع إعانة على تحصيل المصلحة، ولا مصلحة في هذا^(٢٤٨).

أما الحنفية فذهبوا إلى الجواز، وأنّ العاصي والمطيع في سفرهما واحد، ويستوي المقدار المفروض على المسافر من الصلاة سفر الطاعة من الحج والجهاد، وسفر المباح كسفر التجارة ونحوه، وسفر المعصية كقطع الطريق والبغي^(٢٤٩).

وعن مالك روايتان: فالمشهور من مذهبه أنّ سفر المعصية لا تقصر فيه الصلاة، لأنّ سفر المعصية ممنوع منه مأمور بالرجوع عنه، فلا يصح تناول النية الشرعية لمسألة القصر فيه.

والرواية الثانية: جواز القصر، لأنّ هذا معنى يترخص به سفر الطاعة؛ فجاز أن يترخص به في سفر المعصية.

هذا ما تعلّق الغرض ببيانه حول صلاة المسافر وأنّ فرضه المتعين هو القصر، كما أجمعت عليه الشيعة ووافقهم كثير من علماء المسلمين في ذلك، وأنّ الذي يتمّ في السفر مع حصول شرائط القصر عليه الإعادة.

وهنا لا بد أن نشير بإيجاز إلى حكم الصائم في السفر، وقد أجمع المسلمون على جواز الإفطار في شهر رمضان لكل من سافر فيه سفرأ تقصر فيه الصلاة، كما جاء في كتاب الله

(٢٤٥) مختصر المزني ص ٢٥.

(٢٤٦) نهاية المحتاج ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢٤٧) المغني لابن قدامة ج ١ ص ٢٦٢.

(٢٤٨) المغني لابن قدامة ج ٢ ص ١٠٣.

(٢٤٩) أنظر بدائع الصنائع ج ١ ص ٩٣ والهداية ج ١ ص ٥٧.

العزیز بقوله تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ... الآية) (٢٥٠).

وقد اختلفوا في الإفطار في السفر هل هو رخصة أم عزيمة؟ فذهب الشيعة إلى أنه عزيمة، ولا يصح الصوم في السفر، كما لا يصح إتمام الصلاة فيه، لأنه هو الذي شرّعه الله في دين الإسلام، وأنّ المقتضى من السفر لأحدهما هو بعينه المقتضى للآخر. كما ورد ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال: «إن الله وضع عنه الصيام ونصف الصلاة»، أخرجه النسائي عن عمر بن أمية الضمري (٢٥١).

وأخرج مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس، ثم دعا بقدر من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقليل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أولئك العصاة أولئك العصاة» (٢٥٢).

وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما هذا؟ فقالوا صائم. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ليس من البر الصوم في السفر» (٢٥٣).

وأخرج أبو داود عن قزعة قال: أتيت أبا سعيد الخدري وهو يفتي الناس وهم مكبّون عليه، فانتظرت خلوته، فلما خلا سألته عن صيام رمضان في السفر، فقال: خرجنا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في رمضان عام الفتح، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصوم ونصوم، حتى بلغ منزلاً من المنازل فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم، فأصبحنا منا الصائم، ومنا الفاطر. قال: ثم سرنا فنزلنا منزلاً فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنكم تصبحون عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا» فكانت عزيمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢٥٤).

وأخرج الترمذي عن رجل من بني عبد الله بن كعب بن مالك اسمه أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله وضع شطر الصلاة عن المسافر ورخص له في الإفطار» (٢٥٥).

(٢٥٠) البقرة ١٨٥.

(٢٥١) سنن النسائي ج ٤ ص ٤٩١ ح ٢٢٧١.

(٢٥٢) صحيح مسلم شرح النووي ج ٧ ص ٢٣٢.

(٢٥٣) صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٣.

(٢٥٤) سنن أبي داود ج ١ ص ٥٦٠.

(٢٥٥) تيسير الوصول للشيباني ج ٢ ص ٣٣٧.

وأخرج مسلم عن ابن عباس أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج عام الفتح فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر، وكان صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره^(٢٥٦) وفي لفظ وإنما يؤخذ من أمر رسول الله بالآخر فالآخر^(٢٥٧).

* * *

وكيف كان فإن الشيعة قد أجمعوا على أن الإفطار في السفر عزيمة ولا يجزي الصوم عن الفرض، بل من صام في السفر وجب عليه قضاؤه في الحضر^(٢٥٨). وقال الشوكاني: وهذا هو قول بعض الظاهرية، وحكاة في البحر عن أبي هريرة وداود والإمامية، قال في الفتح: وحكي عن عمر وابن عمر، وأبي هريرة، والزهري، وإبراهيم، والنخعي وغيرهم^(٢٥٩).

وقال ابن حزم - بعد أن استدل على وجوب الإفطار في السفر - : ولم يبق علينا إلا أن نذكر من قال بمثل قولنا لئلا يدعي علينا خلاف الإجماع، فالدعوى لذلك منهم سهلة، وهم أكثر خلافاً للإجماع..

روينا من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة عن كلثوم بن جبر عن رجل من بني عبد القيس أنه صام في السفر فأمره عمر بن الخطاب أن يعيد. ومن طريق سفيان بن عيينة عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عمر بن الخطاب أنه أمر رجلاً أن يعيد صيامه في السفر.

وروي عن عبد الرحمن بن عوف قال: نهتني عائشة أم المؤمنين عن أن أصوم في السفر. وعن ابن عمر أنه سئل عن الصوم في السفر فقال: (من كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر).

وسئل عن الصوم أيضاً فقال: إنما هو صدقة تصدق بها الله عليك، أرأيت لو تصدقت بصدقة فردت عليك؟ ألم تغضب؟

وأن امرأة صحبتته في السفر فوضع الطعام فقال لها: كلي. فقالت إني صائمة. قال ابن عمر: لا تصحبين.

وعن ابن عباس أنه سئل عمّن صام رمضان في السفر، قال: لا يجزئه. يعني لا يجزئه صيامه.

(٢٥٦) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠.

(٢٥٧) انظر نيل الأوطار ج ٤ ص ٢٢٣.

(٢٥٨) تذكرة الفقهاء ج ٦ ص ١٥١ مسألة ٩٣.

(٢٥٩) نيل الأوطار ج ٤ ص ٢٢٣.

وعن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: الصائم في السفر كالمفطر في الحضر.
وعن سعيد بن المسيب أن رجلاً سأل: أتم الصلاة في السفر وأصوم؟ قال: لا. فقال: إني أقوى على ذلك. فقال سعيد: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أقوى منك، قد كان يقصر ويفطر.

وعن الزهري قال: كان الفطر آخر الأمرين من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنما يؤخذ من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالآخر.

وعن عبدالرحمن بن عوف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: الصائم في السفر في رمضان كالمفطر في الحضر.

وعن محمد بن علي بن أبي طالب أن أباه كان ينهي عن صيام رمضان في السفر... الخ (٢٦٠).

وعلى أي حال فإن الأخبار متواترة في وجوب الإفطار على المسافر في شهر رمضان وحسبنا حجة لذلك قوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) (٢٦١).

قال سيدنا شرف الدين: فإن في الآية دلالة على وجوب الإفطار من وجوه:
أحدها: أن الأمر بالصوم في الآية إنما هو متوجه للحاضر دون المسافر، ولفظه كما تراه: فمن شهد منكم الشهر - أي حضر في الشهر - فليصمه وإذا فالمسافر غير مأثور، فصومه إدخال في الدين ما ليس من الدين تكلفاً وابتداعاً.

ثانيها: أن المفهوم من قوله تعالى: فمن شهد منكم الشهر فليصمه؛ أي من لم يحضر في الشهر لا يجب عليه الصوم، ومفهوم الشرط حجة كما هو مقرر في أصول الفقه، وإذا فالآية تدل على عدم وجوب الصوم في السفر بكل منطوقها ومفهومها.

ثالثها: أن قوله عز وجل: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) تقديره فعليه عدة من أيام أخر، هذا إن قرأت الآية برفع عدة، وإن قرأتها بالنصب كان التقدير فليصم عدة من أيام أخر، وهذا يقتضي وجوب إفطار السفر إذ لا قائل بالجمع بين الصوم والقضاء على أن الجمع ينافي اليسر المدلول عليه بالآية.

رابعاً: قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) واليسر هنا إنما هو الإفطار، كما أن العسر هنا ليس إلا الصوم، وإذا فمعنى الآية يريد الله منكم الإفطار ولا يريد منكم الصوم (٢٦٢).

(٢٦٠) انظر المحلى ج ٥ ص ٢٥٦ - ٢٥٨ ذكرنا هذه الأخبار بحذف الإسناد اختصاراً.

(٢٦١) البقرة ١٨٥.

(٢٦٢) انظر مسائل فقهية ص ٥١ - ٥٢.

الجمع بين الصلاتين

لا خلاف بين المسلمين في جواز الجمع بعرفة وقت الظهر بين الفريضتين: الظهر والعصر، كما لا خلاف بينهم في جواز الجمع في المزدلفة وقت العشاء للحجاج بين الفريضتين: المغرب والعشاء .

واختلفوا فيما عدى ذلك فمنهم من جَوَّز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء تقديماً وتأخيراً بعذر السفر عند مالك والشافعي وأحمد .

أما أبو حنيفة فمنع من ذلك وقال: لا يجوز الجمع بين الصلاتين بعذر السفر بحال . قال في الغنية: ولا يجوز الجمع عندنا - الحنفية - بين صلاتين في وقت واحد، سوى الظهر والعصر بعرفة، والمغرب والعشاء بمزدلفة وعند الثلاثة يجوز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في وقت واحد بعذر السفر أو المطر، تقديماً أو تأخيراً، بأن يصلي المتقدمة في وقت المتأخرة^(٢٦٣).

أما عذر المطر فقد أجاز الشافعي الجمع بين الصلاتين تقديماً في وقت الأولى منهما. قال أبو إسحاق الشيرازي: ويجوز الجمع بين الصلاتين في المطر لما روى ابن عباس (رضي الله عنه) قال: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمعاً من غير خوف ولا سفر، قال مالك: أرى ذلك في وقت المطر... الخ^(٢٦٤) . وحديث ابن عباس - الذي سيأتي - لا حجة لهم في جعل المطر مسوغاً للجمع بل هو مطلق؛ وإما كان رأي مالك أن يكون الجمع لعلّة المطر، والحديث كما ترى دليل لمن يقول بجواز الجمع مطلقاً؛ لأنّ تعليل ابن عباس لذلك هو أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن لا يخرج أمته^(٢٦٥) .

قال ابن المنذر: لا معنى لحمل الأثر على عذر من الأعذار، لأنّ ابن عباس أخبر بالعلّة وهو قوله: أراد أن لا يخرج أمته .

مع أنّ مالك بن أنس لم يجرّ الجمع بين الظهر والعصر بعذر المطر، وقد اختلف أصحابه في ذلك فقال أشهب: أحبّ إليّ أن لا يجمع بين الظهر والعصر في سفر ولا حضر إلا بعرفة .

(٢٦٣) غنية المتملّي ص ٢٤٤ .

(٢٦٤) الذخيرة في فروع المالكية ج ٢ ص ١٩٩ .

(٢٦٥) انظر الجوهر النقي في الرد على البيهقي ج ١ ص ٢٢٦ .

وقد روي عن ابن قاسم في المجموعة ما يقرب من قول أبي حنيفة أنه قال: من جمع بين المغرب والعشاء في الحضر لغير عذر مرض أعاد العشاء أبداً^(٢٦٦). وكذلك روي عن مالك كراهية جمع الظهر والعصر بضرورة المطر أو أنه لا يجوز كما تقدّم .

وأحمد يوافق مالك في جواز الجمع بين العشاءين فقط لعذر المطر، لا بين الظهر والعصر سواء قوي المطر أو ضعف إذا كان المطر يبيل الثوب ويوجد معه مشقة، وكذلك يجوز للوحد وريح باردة شديدة في ليلة مظلمة^(٢٦٧) .

قال النووي في شرح صحيح مسلم: - بعد ذكر أخبار الجمع - وأما حديث ابن عباس فلم يجمعوا على ترك العمل به بل لهم أقوال :

منهم من تأولّه على أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع بعذر المطر، وهذا مشهور عن كبار المتقدمين وهو ضعيف بالرواية الأخرى: من غير خوف ولا مطر .

ومنهم من تأولّه على أنّه كان في غيم فصلّى الظهر ثم انكشف الغيم، وبان وقت العصر دخل فصلاها. وهذا أيضاً باطل، لأنّه وإن كان في أدنى احتمال في الظهر والعصر، لا احتمال فيه في المغرب والعشاء.

ومنهم من تأولّه على تأخير الأولى إلى آخر وقتها، فلما فرغ منها دخلت الثانية فصلاها فصارت صلاته صورة جمع، وهذا أيضاً ضعيف أو باطل؛ لأنّه مخالف للظاهر مخالفة لا تحتل، وفعل ابن عباس الذي ذكرناه حين خطب، واستدلّاه بالحديث لتصويب فعله، وتصديق أبي هريرة له، وعدم إنكاره صريح في رد هذا التأويل .

ومنهم من قال: هو محمول على الجمع بعذر المرض أو نحوه ممّا هو في معناه عن الأعذار، وهذا قول أحمد بن حنبل والقاضي حسين من أصحابنا واختاره الخطابي والمتولي والروياتي من أصحابنا وهو المختار في تأويله لظاهر الحديث، وفعل ابن عباس، وموافقة أبي هريرة، ولأنّ المشقة فيه أشد من المطر .

وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذ عادة، وهو قول ابن سيرين، وأشهب من أصحاب مالك، وحكاه الخطابي عن القفال، عن أبي إسحاق المروزي، عن جماعة من أصحاب الحديث، واختاره ابن المنذر ويؤيده ظاهر قول ابن عباس: أراد أن لا يحرج أمته. فلم يعلله بمرض ولا غيره والله أعلم^(٢٦٨) .

وقال أشهب: إنّ للمقيم رخصة الجمع بين الصلاتين لغير عذر المطر ولا مرض .
قال الباجي: وهذا هو قول ابن سيرين^(٢٦٩) .

(٢٦٦) شرح الموطأ للباجي ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢٦٧) الروض الندي ص ١١١ .

(٢٦٨) شرح النووي لصحيح مسلم ج ٥ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢٦٩) شرح موطأ مالك ج ١ ص ٢٥٥ .

وقال الفخر الرازي - في تفسير قوله تعالى: (اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) - بعد أن فسّر الذلوك والغسق - ما هذا لفظه: فإن فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان الغسق عبارة عن أول المغرب وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات: وقت الزوال ووقت المغرب ووقت الفجر، وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر، فيكون هذا الوقت مشتركاً بين الصلاتين، وأن يكون أول المغرب وقتاً للمغرب والعشاء، فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً، إلا أنه دل الدليل على أن الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز فوجب؛ أن يكون الجمع في السفر وعذر المطر وغيره^(٢٧٠).

وقال البغوي: حمل الذلوك على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به؛ ولأننا إذا حملنا عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فذلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر، وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء وقرآن الفجر هو صلاة الصبح^(٢٧١).

الأخبار

أخرج مسلم عن أنس قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد أن يجمع بين الصلاتين في السفر أخر الظهر حتى يدخل وقت العصر، ثم يجمع بينهما .

وأخرج عن ابن شهاب عن أنس: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا عجل به السفر يؤخر الظهر إلى أول وقت العصر، فيجمع بينهما، ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق^(٢٧٢).

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجمع بين صلاة المغرب والعشاء في السفر^(٢٧٣).

وأخرج مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، من غير خوف ولا سفر .

وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الظهر والعصر جميعاً في المدينة من غير خوف ولا سفر، وأخرجه مالك في الموطأ .

قال أبو الزبير فسأل سعيداً لم فعل ذلك؟ فقال سعيد: سألت ابن عباس كما سألتني فقال: أراد أن لا يخرج أحداً من أمته^(٢٧٤).

(٢٧٠) التفسير الكبير ص ٢١ - ٢٢ .

(٢٧١) معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن ج ٤ ص ١٤١ .

(٢٧٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١١٤ - ٢١٥ شرح النووي .

(٢٧٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٥ .

وأخرج عن معاذ قال: خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة تبوك فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً. وعن عامر بن واثلة - أبو الطفيل - : حدثنا معاذ بن جبل قال جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة تبوك بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء (٢٧٥).

قال أبو الطفيل: فقلت له ما حمله على ذلك؟ فقال: أراد أن لا يخرج أمته .
وأخرج عن ابن عباس قال: صليت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً .

وأخرج مالك بن أنس عن أبي هريرة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يجمع بين الظهر والعصر في سفره إلى تبوك (٢٧٦) .

وأخرج مالك عن معاذ بن جبل: أنهم خرجوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عام تبوك فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء قال: فأخر الصلاة يوماً، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً: ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً (٢٧٧) .

وأخرج أبو داود عن جابر: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غابت له الشمس بمكة فجمع بينهما بسرف (٢٧٨) وهو موضع قريب من مكة.

وأخرج مسلم عن جابر بن زيد عن ابن عباس: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء (٢٧٩) .

وعن عبدالله بن شقيق قال: خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس، وبدت النجوم، وجعل الناس يقولون: الصلاة الصلاة. قال فجاء رجل لا يفتر ولا يثنى فقال: الصلاة الصلاة. فقال ابن عباس: أتعلمني بالسنة؟ لا أم لك! ثم قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

وقال عبدالله بن شقيق فهاك من ذلك في صدري شيء فأتيت أبا هريرة فسألته فصدّق مقالته (٢٨٠) .

(٢٧٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢١٥ شرح النووي .

(٢٧٥) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢١٦ .

(٢٧٦) موطأ مالك ج ١ ص ٢٩١ شرح الزرقاني .

(٢٧٧) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٢٩١ .

(٢٧٨) سنن أبي داود ج ١ ص ٢٧٧ .

(٢٧٩) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢١٧ .

(٢٨٠) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢١٧ .

وفي رواية أخرى قال رجل لابن عباس: الصلاة فسكت ثم قال: الصلاة فسكت، ثم قال: الصلاة، فسكت، ثم قال ابن عباس: لا أم لك! أتعلّمنا بالصلاة؟ كنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أخرجه مسلم من طريق عبد الله بن شقيق (٢٨١).

وأخرج البخاري عن سهل بن حنيف قال سمعت أبا أمامة يقول: صلينا مع عمر بن عبدالعزيز الظهر ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلي العصر، فقلت: يا عم ما هذه الصلاة التي صليت؟ قال: العصر، وهذه صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي كنا نصلي معه (٢٨٢).

وأخرج ابن جرير عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان يؤخر الظهر، ويعجل العصر، فيجمع بينهما، ويؤخر المغرب ويعجل العشاء، الإمام الصادق

والمذاهب الأربعة / ج ٦

ويجمع بينهما (٢٨٣).

وعن أبي الشعثاء: أن ابن عباس صلى بالبصرة الظهر والعصر ليس بينهما شيء، والمغرب والعشاء ليس بينهما شيء فعل ذلك من شغل (٢٨٤).

هذه الآثار تدلّ بصراحة على جواز الجمع بين الصلاتين وأنه مشروع، وعلة تشريعه هي التوسعة على الأمة وعدم إحراجها بسبب التفريق.

وهذه الآثار منها ما يدل على الجواز في السفر، ومنها ما هو مطلق لا يختص بمورد، وهذا يدل على ما نقوله؛ وأن تأويلها على خلاف ذلك أو حملها على شيء غيره أمر لا يتفق مع الواقع، وقد تقدّم ذلك فيما ذكره النووي.

والأحاديث الواردة في جواز الجمع متفق على صحتها، ولزوم الأخذ بها وإن كان البخاري قد أهمل الكثير منها، فذلك لا يضر بعد أن كان تخريجها صلاة المسافر على شرطه.

وكيف كان فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شرّع ذلك لئلا يحرج أمته، كما نطقت به الأخبار السابقة وورد ذلك عن أهل البيت (عليهم السلام).

(٢٨١) المصدر السابق ص ٢١٨.

(٢٨٢) البخاري ج ١ ص ١٣٧.

(٢٨٣) نيل الأوطار ج ٣ ص ٢١٧.

(٢٨٤) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٢٩٤.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علة بأذان واحد وإقامتين .
وعنه (عليه السلام) قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير علة ولا سفر، فقال له عمر: أحدث في الصلاة شيء؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا، ولكن أردت أن أوسع على أمتي.

وعنه (عليه السلام) قال: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علة، وصلى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علة في جماعة، وإنما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتسع الوقت على أمته^(٢٨٥) إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا الباب .

* * *

وعلى أي حال فإن المتتبع المنصف لا يجد دليلاً على منع الجمع في الحضر من غير عذر، وإنما كان هناك تأويلات وظنون، أو حمل للأخبار على غير مؤداها.
وقد جمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حال العذر كما جمع في حال عدمه؛ لئلا يحرص أمته. وقد وردت عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة صحيحة صريحة، ونطق الكتاب به كقوله تعالى: (اقم الصلاة لذلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً)^(٢٨٦) كما تقدم بيانه في كلمة الرازي السابقة وعليه جمع من المفسرين.
وقد أخذ الشيعة بتلك النصوص الصريحة فجوزوا الجمع، ووافقهم جمع من علماء المسلمين، ولا خلاف بينهم بأن التفريق أفضل .
والذي يظهر من مجموع الأقوال وموارد الخلاف أن المراد بالجمع بين الصلاتين هو إيقاعهما في وقت واحد تقديماً أو تأخيراً من غير وقوع شيء بينهما من نافلة وأوراد مستحبة .

وإذا نظرنا بعين الواقع فإن عمل أكثر الشيعة يقع على جهة التفريق من حيث الالتزام بالنوافل، وأداء المستحبات، وبذلك تقع الصلاة في وقت الفضيلة، ويحصل التفريق. وسنوضح ذلك إن شاء الله في بيان أوقات الصلاة في الأبحاث الفقهية المستقلة عن هذا الكتاب .

* * *

(٢٨٥) انظر الوسائل ج ٥ ص ٢٧٧ طبع مصر.

(٢٨٦) الإسراء ٧٨.

ولنقف عند هذا الحد من البحث في موضوع الفقه؛ لأننا قد أثّرنا أن نبرز كتاباً مستقلاً في الفقه الإسلامي، ونستعرض فيه آراء علماء المذاهب الإسلامية في جميع أبواب الفقه، من عبادات، ومعاملات وغير ذلك. ولعل ما نقوم به في البحث حول موضوع الفقه الإسلامي، والتعرّض لآراء علماء المذاهب هو أعظم خدمة للأمة الإسلامية، من حيث التقارب والتفاهم في أمر لا بدّ وأن يكشف الخلاف حوله للوقوف على الحقيقة التي احتجبت وراء سحب النعرات الطائفية وحملات المعادين للشيعة ممّن هدد منهج الشيعة مصالحهم وأغراضهم.

ولا أقول بأنّ ما قمت به الآن أو أقوم به فيما بعد - إن شاء الله - قد انفردت به: أو إنني السابق لسد تلك الثغرة، بل أنا أحد من ساهم في هذه الخدمة، وقد سبق إلى ذلك رجالنا من علماء الدين، ممن لهم سبق في معالجة مشاكل الخلافات الطائفية، وممن أوقفوا أنفسهم لخدمة المسلمين، فألفوا كتباً في الفقه المقارن قديماً وحديثاً.

ونحن نأمل أن يتسع هذا المجال وأن لا يستغل الفقه لطائفة دون أخرى وان يدرس هذا الموضوع بعناية خاصة، بجميع نواحيه؛ لنصل إلى نتائج مثمرة، تعود على الأمة بالنفع الكثير من حيث التقارب والتفاهم، وأن يعطي الدارس لنفسه حرية الرأي، والابتعاد عن نزعات الطائفية، ومرديات التعصب.

* * *

وإنّ الفقه الشيعي الذي يستند إلى كتاب الله وسنة رسوله، ويستمد من ينبوع أهل البيت الذين هم عدل القرآن، وورثة صاحب الرسالة، قد أهمله كثير من الكتاب غير المنصفين، ومنهم من حكم عليه بأحكام خاطئة، مما يدل على الجهل الناشئ من عدم الاطلاع على مصادر الفقه الشيعي، أو الاكتفاء بالاطلاع على مصادر خصومهم، من دون تحري الصدق فيما يجدونه في كتب الخصوم، تحرياً دقيقاً يوصلهم إلى الحقيقة ذاتها.

* * *

وقد تعرضنا فيما سبق إلى بعض الأحكام الجائرة التي حكموا بها على الشيعة، سواء في عقائدهم، أو فقههم، ممّا لا يستند إلى أدلة أو شواهد نقليّة جديرة بالثقة، وقد تداول بعض الناس ذلك دون أن يسألوا أنفسهم عن صحتها أو خطئها.

وما الفائدة من التجافي عن العدل وإغفال الأمانة وإهمال روابط الأخاء فليس عن ضعف يصدر القول ممّا في إهمال أو إغفال الفقه الشيعي، فكل ما يتصل بالشيعة فقهاً وتاريخاً واجه ما هو أعظم من الإهمال والإغفال، فليس وراء الحرب واستهداف القضاء على وجود الشيعة من قبل الحكام والمتسلطين وسيلة أشد وأبلغ، وكلنا ندعو - رعاية للعلم وحرصاً على عطاء أمة الإسلام - شباب المسلمين أن يلقوا نظرة على الفقه الشيعي ويحكموا بأنفسهم على ما تضمّه أصولهم ومصادرهم، وأن ينزعوا قيود التقليد والتأثر بمواقف آخرين وقعوا في فخ

التفرقة والتعصب دون أن يدركوا ماذا يعني إهمال ثروة من العلم وكنوز من المعرفة و ذخيرة من الحكمة تتبع كلها من ينبوع الرسالة. فلقد كان رجال الشيعة أسبق الناس عملاً لنصرة الحق وحرية العقول والحض على العطاء.

ونأمل أن لا تكون خطوة وحيدة لا أخت لها تلك التي أقدمت عليها حكومة مصر، فأخذت من الفقه الجعفري أحكاماً وأدخلتها في قانون الأحوال الشخصية، كما أن طبع كتاب «المختصر النافع» وهو من كتب فقه الشيعة، من قبل وزارة الأوقاف المصرية يحيي الأمل في إدانة سياسة الحكام الأقدمين الذين سنّوا سنة سيئة بمحاربتهم الفقه الشيعي. ولا تعجب إذا قلت إن شيخ السلفية والتعصب أخذ ببعض آراء الشيعة وأحكامهم، ويبدو أنها كانت باردة و عي قصيرة الأمد.

* * *

ولعلّ في هذا البيان من ذكر اختلاف الآراء وكثرة الأقوال التي تعرضنا لها في الموضوع يسهّل على من يستوعبها أن يتبين انحراف من صورّ الفقه الشيعي في غير صورته الواقعية، وأبرزه على خلاف أغراضه ومبانيه، وما ذلك إلا من جرّاء التعصّب الأعمى .

ولسنا نشك بأنّ الحقيقة ستتكشف على نحو لا يقبل الدجل والتمويه، وذلك لما نلمسه من الوعي الاسلامي، والشعور المتزايد بوجوب تدارك خطر الفرقة، وأضرار التعصّب الطائفي، وأنّ ذلك الركّام الذي حجب الحقيقة أخذ ينهار يوماً بعد آخر، ويندك ساعة بعد ساعة.

إنّ تلك الأقوال التي أطلقها أصحابها حول الشيعة من دون قيد أو شرط لم تكن صادرة عن تفكير وتدبر، بل أطلقها متحيز غير منصف، أو جامد لا يتمتع بحرية الرأي بل هو آلة صماء تتحرك في حيز محدود من غير أن يكون لها دافع أو ضابط من عقل، وذوق سليم . ولا أشكّ بأنّ أكثر المنحرفين عن الواقع قد سلكوا في أبحاثهم طريق التقليد للمستشرقين الذين هم دعاة الفرقة، وخدمة الاستعمار وأبطال معركة الخلاف، وهم كما يقول الدكتور أبو الفداء التفتازاني:

وكان من بين العوامل التي أدّت إلى عدم إنصاف الشيعة أيضاً أن الاستعمار الغربي أراد في عصرنا هذا أن يوسع هوة الخلاف بين السنة والشيعة، وبذلك تصاب الأمة الإسلامية بداء الفرقة والانقسام، فأوحى إلى بعض المستشرقين من رجاله بتوخي هذا الغرض باسم البحث الأكاديمي الحر، ومما يؤسف له أشدّ الأسف أن بعض الباحثين من المسلمين في العصر الحاضر تابع أولئك المستشرقين في آرائهم دون أن يتفطن إلى حقيقة مراميهم^(٢٨٧) .

وقد تعرضت في الجزء الخامس لبعض ما يتعلق بأراء بعض المستشرقين ونواياهم السيئة ولهذا آثرت أن أعود - والعود أحمد - إلى البحث عن نهجهم في دراساتهم لأئهم قد دسّوا السمّ بالعسل، ولقنوا كثيراً من كتابنا ما يكدر صفو الأخوة الإسلامية .

أهمّ المراجع

إنّ الكتب الفقهية التي اعتمدنا عليها في نقل الأقوال - في هذا الجزء وفي الجزء الخامس - كثيرة لا يمكن حصرها ونحن نشير إلى الأهم منها :

- ١ - المذهب لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي - مطبعة الحلبي .
- ٢ - شرح موطأ مالك للزرقاني - مطبعة الاستقامة .
- ٣ - شرح موطأ مالك للقاضي أبي الوليد الباجي - مطبعة السعادة .
- ٤ - غنية المتملّي شرح منية المصلي لإبراهيم الحلبي الحنفي - طبع استانبول .
- ٥ - الهداية للشيخ علي الفرغاني الحنفي - مطبعة الحلبي .
- ٦ - بدائع الصنائع لعلاء الدين أبي بكر الكاساني - مطبعة شركة المطبوعات العلمية سنة (١٣٢٧ - ١٣٢٨ هـ) .
- ٧ - حاشية ابن عابدين الطبعة الأولى .
- ٨ - بداية المجتهد لابن رشد القرطبي المالكي - مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ .
- ٩ - المغني لابن قدامة الطبعة الثالثة - مطبعة دار المنار سنة ١٣٦٧ هـ .
- ١٠ - أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي - مطبعة الحلبي ١٣٧٦ هـ .
- ١١ - المبسوط لشمس الدين السرخسي - مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ .
- ١٢ - شرح صحيح مسلم للنووي - مطبعة حجازي بالقاهرة .
- ١٣ - شرح العشماوية - المطبعة العلمية سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٤ - زوائد الكافي والمحرر على المقنع لعبدالرحمن بن عيدان الحنبلي المطبوع بدمشق .
- ١٥ - مختصر خليل في الفقه المالكي - مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٤٦ هـ .
- ١٦ - ضوء الشمس للسيد محمّد أبي الهدى الرفاعي الحنفي المطبوع سنة ١٣٠١ هـ .
- ١٧ - نيل الأوطار لمحمّد بن علي الشوكاني - الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧ هـ .
- ١٨ - المحلى لعلي بن حزم الأندلسي - إدارة الطباعة المنيرية بمصر .
- ١٩ - غاية المنتهى للشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي - مطبعة دار السلام بدمشق .
- ٢٠ - التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي - المطبعة السلفية .

- ٢١ - الروض الندي في شرح كافي المبتدي لمفتي الحنابلة بدمشق أحمد ابن عبدالله البعلي - المطبعة السلفية .
- ٢٢ - السراج الوهاج في شرح متن المنهاج للشيخ محمد الزهري طبع مصر سنة ١٣٥٢ هـ .
- ٢٣ - مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج شرح الشيخ محمد الشربيني الشافعي - مطبعة مصطفى البابي ١٣٧٧ هـ .
- ٢٤ - نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لأحمد بن حمزة الرملي الشهير بالشافعي الصغير - مطبعة الحلبي ١٣٥٧ هـ .
- ٢٥ - الجوهر النقي في الرد على البيهقي لعلاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني الشهير بابن التركمان الحنفي .
- ٢٦ - شرح المواهب اللدنية لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني .
- ٢٧ - الهادي أو عمدة الحازم في المسائل الزوائد عن مختصر أبي القاسم لابن قدامة .
- وغيرها من كتب الحديث والفقه كالصالح وكتب السنن مما لا يسعنا ذكره كمدينة مالك، والأم للشافعي، ومختصر المزني، والمجموع للنووي والوجيز للغزالي وشرحه، ومنهاج الطالبين وما يتعلق به من شروح، وملتقى الأبحر، ومراقي الفلاح وغير ذلك، وقد أشرنا للبعض منها في هامش الصفحات .

المصادر الشيعية

أما مصادرنا في البحث عن فقه الشيعة فهي من الكثرة بمكان لا يمكن عدها هنا، ولكن أهمها هي :

- ١ - شرائع الإسلام: للشيخ المحقق أبي القاسم الحلبي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .
- ٢ - المعتمد له رحمه الله، طبع إيران .
- ٣ - المختصر النافع: له، طبع مصر نشرته وزارة الأوقاف بمصر .
- ٤ - الخلاف: لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .
- ٥ - الانتصار: لعلم الهدى الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ .
- ٦ - كشف الغطاء: للشيخ الأكبر الشيخ جعفر الكبير المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ .
- ٧ - وسائل الشيعة: للمحدث الشهير الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤ (٢٨٨) هـ .

- ٨ - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: للشيخ المحقق الشيخ محمد حسن النجفي المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ (٢٨٩).
- ٩ - الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: للشيخ المحدث الشيخ يوسف البحراني المتوفى سنة ١١٨٦ هـ (٢٩٠).
- ١٠ - تذكرة الفقهاء: للشيخ جمال الدين الشهير بالعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ (٢٩١).
- ١١ - تبصرة المتعلمين: له، تغمده الله برحمته.
- ١٢ - اللمعة الدمشقية: للشهيد الأول وشرحها للشهيد الثاني المتوفى سنة ٧٨٦ هـ.
- ١٣ - الوسيلة: لعماد الدين محمد بن علي بن محمد بن حمزة الطوسي من أعيان القرن الخامس.
- ١٤ - رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل: للحجة السيد علي الطباطبائي طبع إيران.
- ١٥ - نكت النهاية: لأبي القاسم جعفر بن سعيد الحلي.
- ١٦ - مستمسك العروة الوثقى: للإمام الحكيم دام ظله.
- ١٧ - منهاج الصالحين: له أيضاً.
- ١٨ - الغنية: لعز الدين حمزة بن علي بن زهرة الحلبي - طبع إيران.
- ١٩ - النهاية: لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي - طبع إيران.
- وغير هذه الكتب التي لا نستطيع تعدادها الآن.

(٢٨٩) يقع في أكثر من أربعين مجلداً وقد أعيد طبعه في النجف الأشرف - مطبعة النجف.

(٢٩٠) يقع في أكثر من عشرين مجلداً وقد أعيد طبعه في النجف الأشرف - مطبعة النجف.

(٢٩١) طبع في إيران في مجلدين وأعيد طبعه في النجف في عدة أجزاء - مطبعة النجف.

کتاب و مؤلفون

تمهيد

لا تمرّ فترة من الزمن إلا ويطالعنا كتاب يحمل بين طياته أفكاراً هدامة لكيان المجتمع الإسلامي بعبارات مسمومة ووخزات مؤلمة وحملات ظالمة، وأقوالاً فارغة لا تقف أمام الواقع إلا كما يقف الرماد إذا اشتدّت به الريح .

ولقد تطرقت لهذا الموضوع أكثر من مرّة وقضيت وقتاً طويلاً أتصفح تلك الصفحات التي سودت بمداد الحقد ورقمت بأقلام شط بأصحابها سوء التفكير عن الخط الذي يجب أن تسير عليه لخدمة الأمة وصالح المجموع .

كنت أفكر في الأسباب التي دعت لهذه التهجّمات وأتعرّف على الوسائل المبررة لما يرتكبه هؤلاء الكتاب من سوء الصنع مع أخوان لهم في الدين يقرون الله بالوحدانية ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة ويؤدون فرائض الإسلام وهم مئة مليون أو يزيدون .

وقد قلت: إنّ مهمة المؤرخ عن الشيعة هي أشد صعوبة من مهمة من يؤرخ لغيرهم من طوائف المسلمين، لوجود عوامل وعقبات يجب أن يجتازها المؤرخ بنفسه، لا أن يقطعها على أجنحة التقليد والاتباع بدون معرفة وتدبر .

وإنّ انفصال الشيعة عن الدولة القائمة آنذاك، وعدم مؤازرتها هو السبب الوحيد لكل ما علّق بهذه الطائفة من عيوب هم برآء منها، حتى تحامى الناس الميل إليهم، فكانت التهم تكال جزافاً .

وأصبح بحكم الظروف القاسية أن تنسب إليهم فرق لا تمت إليهم بصلة، ويلصق بهم أناس لا تربطهم وإياهم روابط الاعتقاد .

وإنّ من يقف على أسماء الفرق المنسوبة للشيعة يجد هناك أسماء بلا مسميات، أو أشخاصاً وهمية، ومن الغريب أنّ تعداد فرق الشيعة لا زال بين المد والجزر فهي تبلغ بالعدد إلى عشرين ثم يترقى الأمر ويرتفع العدد إلى أكثر فأكثر حتى يبلغ ثلاثمائة كما ذكرها بعضهم لأنهم يكتبون بدون تثبت وتدبر .

وما دام الخيال واسعاً، والبحث لم يكن على أسس علميّة، والأقوال تطلق بدون قيد فلا يستغرب أن يصل العدد إلى الألف .

وقد وضّحنا فيما سبق أخطاء كتاب الفرق، وما ارتكبه من الخلط والخطب، وأنهم قد تعصّبوا تعصّباً دفعهم إلى ارتكاب ما لا يغتفر لهم في حقّ الأمة، ممّا خلفوه للأجيال من تلك

الافتعالات، وما اثبتوه من خرافات، وما جنوه من أخطاء في تشويه الحقائق بدافع من الميول والتعصب والاتجاه في الأبحاث على غير ما تقتضيه الأصول والقواعد.

* * *

ولقد كان لتحويل الحقائق، والتلاعب بالنصوص التاريخية، دور فعال في بثّ روح البغضاء بين طوائف المسلمين، مما أدّى إلى تفكك أوصال ذلك المجتمع، وقد عاش المسلمون في ظروف ساد فيها القلق، وتركزت فيها عوامل الحقد؛ فتبدلت الوحدة بالفرقة، والإخاء بالعداء، والوصل بالقطيعة .

فيجب علينا أن نتساءل عن الفائدة التي حصلنا عليها من هذه الفرقة، كما يجب أن نتساءل عن عواملها وأسباب اتساعها، وننظر بواقعية إلى تلك الأضرار الناجمة عن ذلك التباعد، وهناك يتضح لنا الطريق إلى الحلول الجذرية التي يجب أن تتخذ لرفع تلك الآثار السيئة التي خلفها سوء الفهم، وعدم الخضوع للواقع .

وعلى أيّ حال فإنّ كثيراً من الكتاب والمؤلفين قد تعرّضوا للبحث عن تاريخ الشيعة من حيث عقائدهم، أو آدابهم ; أو تاريخ نشأتهم، أو غير ذلك، ولكن بمزيد الأسف - أنّ الغالب من هؤلاء لم يتجهوا بإخلاص للبحث، أو حرية في الرأي، ليدركوا الأشياء على حقيقتها، ويتركوا وراء ظهورهم رؤيا الخيال المريض، ووحى العاطفة الكاذب ليسلموا من ارتكاب الأخطاء وخيانة أمانة التاريخ، لأنّ السير على غير منهج العلم السديد يوقع صاحبه في شباك أخطاء تنحرف به عن الواقع .

* * *

ومن المؤسف له أيضاً أنّ أكثر أولئك الكتاب يولعون بتتبع الأساطير والقصص التي لا تثبت صحتها، ليبينوا منها أحكاماً كلها أوهام وخيالات، وإسراف في اصدار النتائج والأحكام بما لا يسيغه العقل ولا يقرّه الوجدان .

وللايضاح نضع بين يدي القراء ما أورده الدكتور محمّد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون دليلاً لما احتج به على وضع الشيعة للحديث، واتّهم جابر بن يزيد الجعفي التابعي الكبير بوضع الحديث وهو قول انفرد به الدكتور، لأنّ جابراً قد شهد له أقرانه بفضله. ولمّا أعوزت الدكتور الحجة استدللّ بأسطورة من وضع الجاحظ ودعايته.

قال الدكتور: ويعجبني هنا ما ذكره أبو المظفر الاسفرائيني في كتابه التبصير في الدين وهو :

إنّ الروافض - والمقصود بهم الشيعة طبعاً - لمّا رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف ويصنف لكلّ فريق، قالت الروافض: صنف لنا كتاباً، فقال لهم: لست أدري لكم شبهة حتى

ارتبها واتصرف فيها، فقالوا له: إذا دلنا على شيء نتمسك به. فقال لا أرى لكم وجهاً إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئاً تزعمونه تقولون إنه قول جعفر بن محمد الصادق، لا أعرف لكم سبباً تستندون إليه إلى غير هذا الكلام... فتمسكوا بحقهم وغبوتهم بهذه السوأة التي دلهم عليها، فكلما أرادوا أن يخلقوا بدعة، أو يخلقوا بدعة نسبوا إلى ذلك السيد الصادق، وهو عنها منزّه، ومن مقالته في الدارين بريء^(٢٩٢).

* * *

هذه هي الأضحوكة التي أعجب بها الدكتور أو الكاتب أو أستاذ علوم القرآن والحديث أو الأستاذ بكلية الشريعة بالأزهر الشريف .

لقد أعجب الأستاذ بما نقله نتيجة لقوة ادراكه، واتساع تتبعه، حتى جاءنا بما لا يتناوله الشك، ولا يهبط إلى مستوى النقد!!

وما عشت أراك الدهر عجباً، لقد بلغت الحالة في الأبحاث العلمية إلى هذا المستوى الشائن، وهل هذا إلا لغة الماجن العاجز، الذي لا يستطيع أن يدعم قوله بحجة منطقية، وأدلة عقلية، وقد كشف الدكتور الشيخ عن مستوى مداركه وأعلن عن براعته ومعلوماته .

وقبل أن أناقش الدكتور - مرغماً - أودّ أن أذكر استشهاداً آخر بأساطير الجاحظ ودعابته لمؤلف أراد أن يدعم قوله بما ذكره من الأسطورة، ولعله أعجب بذلك كما أعجب الدكتور الذهبي .

هذا الأستاذ عبدالحسيب طه حميدة المدرس في كلية اللغة العربية يذكر في كتابه (أدب الشيعة) مستندلاً على أنّ التشيع أصبح بغيضاً إلى النفس وسبيلاً إلى السخرية والتهكم، يقول الأستاذ نقلاً عن الجاحظ: كان معنا شيخ شرس الأخلاق، طويل الأطراف، وكان إذا ذكر له الشيعة غضب وأربد وجهه وزوى عن حاجبه .

قال الجاحظ: فقلت له يوماً: ما الذي تكرهه من الشيعة؟ فأني رأيتك إذا ذكروا غضبت، وقبضت، فقال: ما أكره فيهم إلا هذه الشين في أول اسمهم فأني لم أجدها قط إلا في كل شر، وشؤم، وشيطان وشغب ووو... إلخ .

قال أبو عثمان: فما ثبت بعدها لشيعة قائمة^(٢٩٣). هذا ما ذكر الأستاذ حميدة.

ولست أدري هل حاسب الأستاذ نفسه عن مؤدى هذه السخافة وما هو مورد ذكر هذه الدعابة في موضوع بحث الأدب؟

(٢٩٢) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٣٩ التبصير في الدين ص ٤٣ .

(٢٩٣) انظر أدب الشيعة ص ٢٠ - ٢١ .

ولا أستبعد أنّ الأستاذ المؤلف قد أثارت بنفسه هذه الأسطورة من الاشمنزاز والبغض ما جعله يخرج عن ميزان الاعتدال في كثير من أبحاثه حول الشيعة، ولئن أودع هذا الشيء في نفسه ما أودعه في قلب ذلك الشيخ الشرس فلماذا لم تنشر نفس الأستاذ لما في هذا الشين من صفات: الشرف والشهامة، والشجاعة والشهادة والشفاء والشفاعة و. و. و؟

* * *

وأنت تستطيع أيّها القارئ أن تدرك مدى ما بلغت إليه الحالة من التفكك والانهييار، وكيف أصبحت الأكاذيب والأباطيل تحتل مكاناً في عقول من نأمل فيهم التحرر والانطلاق من عقال التعصب؟! سواء نظرنا إليهم من زاوية دينية علمية مشفوعة بالشهادة - الدكتوراه - والزي - العمة - أو من زاوية المراكز والألقاب كحميدة، أم أن الدين لم يبق منه إلا الزي، والعلم لم يترك منه الزمن إلا التكبس والارتزاق؟

ولقد ظل الجهل يغذي تلك الخرافات التي سادت في عصور التطاحن المذهبي، وامتد أجلها إلى القرن العشرين، وكانت الطائفية تصونها

وتحميها وتغذي بها عقول من تعطلت فيهم ملكات التفكير فساروا وراء دعائها سير الأغنام . وإنّ أمثال هذه الأقاويل لها أثر في السيطرة على عقول السذج من الناس يوم كان الصراع محتدماً، والفتنة ترمي بشررها كانت مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام)تشقّ طريقها بقوتها الروحية، وتجتاز مرحلة بعد أخرى في الانتشار، ولم يستطع أيّ أحد أن ينسب للإمام الصادق(عليه السلام) ما يشين بسمعته فهو الصادق في لهجته - حتى لقب بذلك - القويّ في حجته حتى خضع له كلّ معاند، وكان المنتمون إليه هم حملة الحديث وأوعية العلم .

ولكن خصومه جاءوا من طريق حاولوا فيه الوصول إلى الطعن فيه عبر النيل من طريق أتباعه ليشوهوا سمعة هذه المدرسة، فقالوا إنّ الإمام الصادق مكذوب عليه، وروجوا ذلك بدعايات ودعابات وسخافات وأساطير وتقوّلات وأكاذيب ليصرفوا الوقائع عن وجهتها ويشوهوا الحقائق ليطعنوا في أصحاب الإمام الصادق وشيعته، إذ أعجزهم علم الصادق وتقواه، كما اعجزتهم عقيدة الشيعة ومتانة أصولها.

وقد مرّ بنا في الجزء الرابع من الكتاب كيف كان الغلاة يدعون حب أهل البيت وهم يخفون أغراضهم ويضعون الأحاديث ويكذبون على الإمام الصادق وهو يتبرأ منهم ويشن حملته عليه.

كما اشتهر جماعة كعمر والنبطي باختصاصهم بوضع الأحاديث على الإمام الصادق، وتحفظ لنا التراجم والسير اسم أحد الضعفاء في الحديث وقيل: فيه اجتمعت كلّ عيوب الضعفاء وكان اسمه جعفر بن محمد، وهو مولى يروي عن المجاهيل، جاز على ضعفة

العقول أو اتخذه ضعفاء الإيمان وسيلة للطعن، ولعلّ الأستاذ الذهبي أراد أن يلعب ذلك الدور، فبادر لنقل هذه الأكذوبة ليكون لها أثر في نفوس من لا حصانة لها عن تقبل الأكاذيب والتأثر بالدعايات الساقطة.

وصفوة القول إنّ كثيراً من الكتاب الذين تطالعنا كتبهم بين أونة وأخرى وهي تحمل تلك الأفكار التي تضرّ بصالح المسلمين، وتهدم وحدتهم لا يشعرون بالأضرار الناجمة من وراء ما يكتبون من أمور لا تستند إلى أدلة أو شواهد جديرة بالثقة، وقد أثبتوا أشياء دون أن يسائلوا أنفسهم عن صحتها أو خطئها لأنهم لم يتجرّدوا عن التعصّب الطائفي والهوى المذهبي .

كما أنهم قد استعذبوا ما كتبه المستشرقون فأعجبوا بذلك الأسلوب الساحر، واعتقدوا بصحة ما يكتبون فحملوا ونقلوا بدون تفكير وتمحيص.

ومما لا جدال فيه: أنّ المستشرقين أصحاب هوى يصدر عن أحكامهم عن عصبية وتحامل على الإسلام، وهم يتبعون الشاذ من الروايات التي أخطأ فيها بعض الرواة، أو الذي تعمد الوضاعون، مما أوضحه علماء الإسلام، فجعلوا من هذا الشاذ المنكر أصلاً بينون عليه قواعدهم، التي افتعلوها ونسبوها للإسلام وعلماء الإسلام وهم يغمضون أعينهم عن الحقائق .

يقول الأستاذ مالك بن نبي: وإنّه لما يثير العجب أن نرى كثيرين من الشباب المسلم المثقف، يتلقون اليوم معتقداتهم الدينية، وأحياناً دوافعهم الروحية نفسها من خلال كتابات المتخصصين الأوروبيين^(٢٩٤).

ويقول الأستاذ السباعي: ومن المؤلم أنّ طلاب العالم الإسلامي الذين يدرسون باللغة الإنجليزية في بلادهم لا يزالون مضطرين إلى دخول الجامعات الإنجليزية، فلا يجد طلاب الدراسات الإسلامية أمامهم مراجع لدراساتهم التي ينالون بها الدكتوراه غير تلك المراجع المسمومة وهم لا يعرفون اللغة العربية فتقرر عندهم أنّ تلك الدسائس مأخوذة من كتب الفقهاء والعلماء المسلمين أنفسهم^(٢٩٥) .

وقد أوضحت فيما سبق أنّ الآراء التي ذهب إليها بعض الكتاب للطعن على الشيعة ليست من وحي أفكارهم ولا نتيجة لتتبعهم وإنّما هي من مفتريات المستشرقين وافتعالاتهم وبالأخص ما كتبه أحمد أمين وهو كما يصفه الأستاذ فتحي عثمان: بأنه ضالع في الدراسات الغربية ترجم عن كتابات الغربيين ترجمة مباشرة، وصنّف جامعاً لآرائهم المتناثرة - بعد أن

(٢٩٤) انظر الظاهرة القرآنية ص ١٩ .

(٢٩٥) كتاب السنة ص ٢٨ .

هضمها - بين دفتي مؤلف واحد، وبلسان عربي مبين، وقد رجع لدراسات المستشرقين في عيون إنتاجه: فجر الإسلام وضحاها وظهره!!! والأستاذ أحمد يحقّ له أن ينعى على الاقتصار على النقل والقصور في التعليق وإبراز الرأي الشخصي، فقد جرى (رحمه الله) في مؤلفاته على أن يمتص ما يقرأ ثم يعرضه بأسلوبه ومنطقه لاحقاً بين النقل والنقد، غير زاحم للكتاب بأرقام الحواشي، وتتابع النصوص والاقتباسات، مكتفياً بإيراد ما رجع إليه من كتب في آخر الباب جملة مستغنياً بذلك عن إيضاح ما رجع إليه صفحة صفحة وفقرة فقرة^(٢٩٦) .

هذا ما يقوله الأستاذ فتحي عثمان، ونحن نزيد ولا نبعد عن الواقع إن قلنا: إنّ المتتبع لما كتبه أحمد أمين لا يخالطه شك بأنّ الرجل مترجم للرأي وناقل لآراء المستشرقين بدون أن ينسبها إليهم بصراحة على أنّها بحث من عنده ويلبسها ثوباً رقيقاً وبدون ريب إنّه كان مقلداً للغربيين في آرائه وناقلأ لأقوالهم كأنّها له دونهم، وأنّ جميع ما كتبه حول الشيعة إنّما هو للمستشرق - ولهوسن - و - دوزي - وغيرهما من المستشرقين الحاقدين على الإسلام وليس له إلا النقل والمشاركة في الخطأ .

ومما يؤيد ذلك ما نقله السباعي: بأنّ الأستاذ أحمد أمين قال للدكتور على حسن عبدالقادر - وهو الذي أثّرت حوله الضجة - : بأنّ الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسباً من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة ولكن أدفعها إليهم على أنّها بحث منك وألبسها ثوباً رقيقاً لا يزعمهم مسها كما فعلت أنا في فجر الإسلام وضحي الإسلام^(٢٩٧) .

* * *

وكيف كان فإنّ أكثر المستشرقين لم تحرر عقليتهم من نظرة التعصّب، ويتوسلون بفروض وهمية ليصلوا إلى تشويه الحقائق العلمية، وتتجلّى من خلال سطور ما يكتبونه عن الإسلام وبني الإسلام روح العداء المستحكم للدين الإسلامي وهذه الروح العدائية للإسلام والمسلمين بقية من بقايا العداء الصليبي .

وهؤلاء كما يصفهم المستشرق النمساوي بقوله: إنّ أبرز المستشرقين الاوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي، في كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر في جميع بحوثهم كما لو أنّ الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنّه موضوع بحث في البحث العلمي، بل أنّه متهم يقف أمام قضااته!!

(٢٩٦) انظر أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١٧٤ .

(٢٩٧) السنة للسباعي ص ٢١٤ .

وإنّ بعض المستشرقين يمثلون دور المدّعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي فهو مع اقتناعه شخصياً بإجرام موكله، لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة^(٢٩٨).

* * *

وحيث كانوا هم الداء الفاتك وعلّة العلل في تغذية روح العداء في العصر الحاضر رأيت أن أعود للبحث عنهم .

من هم المستشرقون ؟

المستشرقون قوم من اوربا نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث، وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ والدين والاجتماع، ولكلّ منهم لغته الأصلية التي رضع لبانها من أمّه وأبيه، ومجتمعه، وبيئته، فصارت له «اللغة الأم» كما يعبرون فهو يغار عليها ويتأثر بها ويستجيب لموحياتها، ولكنّ المستشرقين تعلّموا اللغة العربية بجوار لغاتهم الأصلية، ومع أنّ كثيرين منهم قضوا شطراً كبيراً من تعلم العربية وفي القراءة بها، وعاشوا في أوساط عربية رديحاً من الزمن، نلاحظ أنّ نطقهم بالعربية لم يخل من لكنة وרטانة، وكذلك حين يكتبون بها فما تكاد تسمع المستشرق أو تقرأ له حتى تحس من نبرات صوته أو طريقة كتابته أنّه دخيل في العربية طارئ عليها، وأنّ العربية عنده لغة ثانية لا تسري أصولها وروحها في عقله أو وجدانه أو شعوره كما تجري لغته الأصلية «اللغة الأم» .

ومن هنا كان طبيعياً أن نجد هؤلاء المستشرقين لا يجيدون فهم النصوص العربية فقد يفوتهم عند مطالعتها الكثير من مجازاتها واستعاراتها وخصائصها الأسلوبية والمعنوية، ونجد بعضهم أحياناً يفهم النص العربي فهماً مضحكاً، ولعلّ هذا من الأسباب التي جعلت هؤلاء يفسرون تلك النصوص العربية تفسيراً مضحكاً، كذلك أو يصدرن عليها أحكاماً مضحكة كذلك.

والاستشراق لم ينشأ اعتباطاً ولا مصادفة بل أغلب الظنّ أنّه نشأ حسب خطة موضوعة، فإنّ الغرب قد انتهاز الفرصة حينما رأى الشرق غارقاً في خلافاته وفتنه واضطراباتة، فأقبل عليه بخيله ورجله يحتلّ دياره، ويستعبد أهله ويستثمر خيراته وطاقاته، ويستبدّ بثمراته وبركاته، ويشوّه معالم عقائده ومبادئه، وخصائص أهله، وكان المسير لهذا الاحتلال والاستبداد هو الأحقاد الدينية، والثارات الصليبية، والضغائن الغربية العميقة الجذور ضد الإسلام والعرب...

وتراهم يولعون بتناول مواطن خاصة، ينالون فيها من الإسلام، ويعرّضون به، كما يولعون بتتبع الأساطير والقصص التي لا تثبت صحتها، ليبنوا منها أحكاماً كلها أوهام وخيالات وإسراف في إصدار النتائج والأحكام .

ويولعون بتصوير الإسلام في صورة الدين الجامد الذي لا يصلح للتطور أو التجديد، ومن كيدهم في هذا الباب أنهم يحكمون دائماً على الإسلام من واقع المسلمين فهم لا يصورون الإسلام من منابعه ومصادره، بل يصوّرونه من واقع المسلمين السيء، وهم بطبيعة الحال يختارون البيئات الإسلامية التي نالها الضعف، أو الهزال لهذا السبب أو ذاك ويجعلون هذه البيئات الضعيفة نموذجاً للإسلام... إلخ .

هكذا عرّفهم الأستاذ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر والرائد العام لجمعية الشبان المسلمين^(٢٩٩) .

دراسة المستشرقين

لقد قام المستشرقون بدراسات واسعة حول الإسلام، فنشروا كتباً كثيرة، وتوسّعوا في الدراسات إلى حدّ بعيد، وبذلوا جهوداً، ولكن أكثرهم - إن لم يكن كلهم - لم يسلم من التحامل على الإسلام، والعداء لأهله، وإن تحقق ذلك في شخص تخلف عن كثيرين . ولو أنهم كانوا قد جرّدوا تلك الدراسات عن التحيز والتحامل والتزموا الانصاف في أبحاثهم ولم يندفعوا وراء عواطفهم، ولم يبتغوا غير الحق لذات الحق، لكانت تلك الدراسات نافعة، وجهودهم مشكورة .

لكن دراساتهم لم تكن خالية من التحامل والطعن، بل تكون في غالب الأحيان عند أكثرهم منصبة على الإسلام بالدس والتقول بالباطل، لأنها لم تكن للعلم من حيث العلم، بل كانت أولاً بوحى من الكنيسة الكاثوليكية خاصة، للانتقاص من تعاليم الإسلام وإهدار قيم تعاليمه، حرصاً على مذهب «الكثلكة» من جانب وتعويضاً عن الهزائم الصليبية في تحرير بيت المقدس من جانب آخر .

ثم تبنى الاستعمار الغربي هذه الدراسة في الجامعات العربية نفسها حتى يقوى القائمون بأمرها على تصديرها إلى الشرق الإسلامي...^(٣٠٠) .

(٢٩٩) انظر التصوف عند المستشرقين ص ٦ - ١٠ العدد ٢٧ من سلسلة الثقافة الإسلامية.

(٣٠٠) انظر الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي ص ٥ .

والاستشراق أول ما ظهر بين الرهبان عندما قامت روما تحاول تنصير العرب، فأعدت لهم الوعّاظ علمتهم العربية، وأنشأت مدرسة للدعاية سنة (١٦٢٧م) سبقتها مدرسة لليسوعيين وغيرهم، وهذه المدرسة أسّسها الباب الثامن، وجعلها مركزاً لدراسات اللغات السامية، ثم أنشأ الكردينال (يورميو) مكتبة «امبروزيانا» تحت إشراف الدكتور جيجو .

وأنشأ الأب ماتوريبا المعهد العالمي للغات الشرقية في نابلس سنة (١٧٣٢م). ثم أنشئ المعهد البابوي للغات الشرقية، وألحقت به مكتبة غنية بالمخطوطات العربية، وتبعه مؤسسة كايثاني والمعهد الشرقي المنشأ في روما سنة (١٩٢١م) ويتولى نشر مجلة الحديث .

فلا غرو إن كان ظهور الاستشراق أول ما ظهر بين الرهبان^(٣٠١) .

ولقد قام بعضهم بأعمال خطيرة هي أكثر مما تقوم بها الجيوش. فهذا الكاردينال - لافيغري - كما يحدث هو عن نفسه في الجزائر وتونس في رسالة له: أنه قام بأكثر مما يقوم به جيش بأكمله. ولم يكن عمله ذلك لخدمة الديانة المسيحية بل كان لخدمة الاستعمار، ومحاولة محو الإسلام من نفوس الجزائريين لأنه هو المؤجج لروح المقاومة فيهم^(٣٠٢) .

لقد شوّه المستشرقون كثيراً من الحقائق وأدخلوا في التاريخ الإسلامي ما ليس منه، وكانت لهم اليد الطولى في توسعة شقّة الخلاف بين طوائف المسلمين بما ينشرونه من دفائن، ويبرزونه من أقوال شاذة، وآراء مقبورة، بأسلوب مكر خداع، كما أنهم قاموا بنشاط واسع في خدمة الاستعمار، وقد وصفهم الدكتور مصطفى السباعي بأنهم: عملاء الاستعمار، وهم أداة هدم الإسلام، وتشويهاً لسمعة المسلمين .

ولا بدّ لنا هنا بأن نترك الموضوع للأدباء والكتاب ليتحدثوا عن المستشرقين وما قاموا به من نشاط في محاربة الإسلام، وما نجم من وراء ذلك وكيف انخدع بهم كثير من الكتاب، وكيف أصبحت كتبهم مصدراً يستمدّ منه كتابنا معلوماتهم عمّا يتعلق بتاريخ الإسلام وما يتعلق به من بحوث، فلنصنع لحديث الأدباء والكتاب ممن تحضرنا كتبهم الآن .

حديث عن المستشرقين

يقول الأستاذ السباعي: أتضحت لي - عن المستشرقين - الحقائق التالية :

أولاً: أنّ المستشرقين - في جمهورهم - لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو يهودياً وقد يشذ عن ذلك أفراد .

(٣٠١) انظر أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١٥٣ .

(٣٠٢) أنظر مجلة البينة السنة الأولى العدد ٦ ص ٣٠ .

ثانياً: أنّ الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية - كالدول الاسكندنافية أضعف منه عند الدول الاستعمارية .

ثالثاً: أن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن (جولد تسهير) وآرائه بعد أن انكشفت أهدافه .

رابعاً: أنّ الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب يلقي منهما كلّ تأييد .

خامساً: أنّ الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية، من كونه أداة هدم للإسلام، وتشويهاً لسمعة المسلمين.

ففي فرنسا لا يزال «بلا شير» و «ماسينيون» وهما شيخا المستشرقين في وقتنا الحاضر يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شؤون العرب والمسلمين .

وفي انجلترا رأينا - كما ذكرت - أن الاستشراق له مكان محترم في جامعات لندن، وأكسفورد، وكمبردج وأدنبرة وجلاسجو وغيرها، ويشرف عليها يهود وانجليز استعماريون ومبشرون، وهم يحرصون على أن تظلّ مؤلفات جولد تسهير، ومرجليوث^(٣٠٣) - ثم شاخت من بعدهما - هي المراجع الأصلية لطلاب الاستشراق من الغربيين، وللراغبين في حمل شهادة الدكتوراه عندهم من العرب والمسلمين، وهم لا يوافقون أبداً على رسالة لطلب الدكتوراه يكون موضوعها انصاف الإسلام، وكشف دسائس أولئك المستشرقين . إلى أن يقول:

ومن المؤلم أنّ طلاب العالم الإسلامي الذين يدرسون باللغة الإنجليزية في بلادهم لا يزالون مضطرين إلى دخول الجامعات الإنجليزية، فلا يجد طلاب الدراسات الإسلامية أمامهم مراجع لدراساتهم التي ينالون بها الدكتوراه غير تلك المراجع المسمومة وهم لا يعرفون اللغة العربية، فتقرر عندهم أنّ تلك الدسائس مأخوذة من كتب الفقهاء والعلماء المسلمين أنفسهم^(٣٠٤) .

* * *

هذا بعض ما ذكره الدكتور مصطفى السباعي عن حقيقة المستشرقين، وقد ذكر أشياء كثيرة ينقم فيها عليهم لسوء ما ارتكبه في حقّ المسلمين من تحامل وعداء، وتشويه للحقائق، وتحريف للنصوص، وتأويل للوقائع التاريخية وفق مخطط مرسوم وهدف معين وهو العداء للإسلام...

(٣٠٣) مرجليوث المتولد سنة ١٨٥٨ والمتوفى سنة ١٩٤٠م من أشهر أئمة مستشراقي الإنجليز وكان في المجمع العلمي بدمشق له مؤلفات كثيرة منها عدة رسائل عن الدين والتاريخ الإسلامي .

(٣٠٤) انظر كتاب السنة ص ٢٦ - ٢٨ .

ويقول الأستاذ مالك بن نبي (٣٠٥) :

وإنه لما يثير العجب أن نرى كثيرين من الشباب المسلم المثقف يتلقون اليوم معتقداتهم الدينية، وأحياناً دوافعهم الروحية نفسها من خلال كتابات المتخصصين الأوروبيين. إن الدراسات الإسلامية التي تظهر في أوروبا بأقلام كبار المستشرقين واقع لا جدال فيه، ولكن هل يمكن أن نتصور المكانة التي يحتلها هذا الواقع في الحركة الفكرية الحديثة في البلاد الإسلامية؟

إن الأعمال الأدبية لهؤلاء المستشرقين قد بلغت في الواقع درجة خطيرة من الإشعاع لا نكاد نتصورها، وحسبنا دليلاً على ذلك أن يضم مجمع اللغة العربية في مصر بين أعضائه عالماً فرنسياً، وربما أمكننا أن ندرك ذلك إذا لاحظنا عدد رسالات الدكتوراه، وطبعة هذه الرسائل التي يقدمها الطلبة السوريون والمصريون كل عام إلى جامعة باريس وحدها. وفي هذه الرسائل كلها يصير أساتذة الثقافة العربية في الغد أولئك الذين سيكونون باعثي النهضة الإسلامية يصرون - كما أوجبوا على أنفسهم - على ترديد الأفكار التي زكاها أساتذتهم الغربيون .

وعن هذا الطريق أوغل الاستشراق في الحياة العقلية للبلاد الإسلامية محدداً لها اتجاهها التاريخي إلى درجة كبيرة .

وأياً ما كان الأمر فإن الشباب المسلم المثقف في بعض ديار الإسلام يرى نفسه مضطراً إلى أن يلجأ إلى مصادر المؤلفين الأجانب خضوعاً لمقتضيات عقلية جديدة، ولعله يقدم إلى حد كبير منهجها الوضعي الديكارتى، وهناك أيضاً قضاة وشيوخ ومعممون مدرسون يتذوقون فيها رشاقتها الهندسية .

هذا كله لا غبار عليه لو لم يضم الاستشراق بمناهجه سوى الموضوع العلمي، ولكن الهوى السياسي الديني قد كشف عن نفسه بكل أسف في تأليف هؤلاء المتخصصين الأوروبيين في الدراسات الإسلامية برغم أنها تدعو إلى الإعجاب سحراً .

فلم يكن الأب لامانس (٣٠٦) الذي ظلّ نموذجاً للمستشرق الطاعن على الإسلام ورجاله - الحالة الوحيدة التي يمكن أن نلاحظ فيها العمل الصامت لتقويض دعائم الإسلام فقد كان لهذا الرجل - الشاطر - فضل في الكشف عن بغضه الشديد للقرآن ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٣٠٥) الظاهرة القرآنية ص ١٩ - ٢١ .

(٣٠٦) هو هنري لامنس اليسوعي ١٨٦٢ - ١٩٣٧ بلجيكي المولد فرنسي الجنسية من أوائل الجامعة اليسوعية ببيروت تنقل شرقاً

وغرباً ما بين سنة ١٨٩١ - ١٨٩٧ فدرس اللاهوت في إنجلترا وتولى إدارة التبشير في بيروت .

له مؤلفات كثيرة الحكام الثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ومنها كتاب فاطمة بنت محمد (عليها السلام) والسيرة وموقف الإسلام من الفنون المصورة ومهد الإسلام وغير ذلك .

ويوضح لنا الأمير شكيب أرسلان جانباً مهماً من دسائسهم ويحذر المسلمين عن الانخداع بما يكتبون فيقول :

«إنه مما يجدر بأن يطلع عليه الشرقيون والمسلمون خاصة، ما يصدر في أوروبا من الكتابات المتعلقة بهم، والتصانيف الباحثة عن مصيرهم، والمقالات المصورة لأحوالهم وشؤونهم بلون مخيلات الكتاب الذين حرروها، الناطقة عن هوى الأحزاب التي ينتمي هؤلاء الكتاب إليها، بحيث يعرف منها الشرقي أو المسلم أو المستضعف على أمره كأننا من كان ماذا يطبخ له في الخفاء وماذا يدس بحقه تحت الستار، وماذا يدبر عليه بدون علمه، ممّا لا يطلع عليه إلا في الندرى وممّا هو رام إلى إدامة استغلاله»^(٣٠٧).

وفي موضع آخر يوضح لنا الأمير صورة عن دراستهم وأنهم إذا عثروا على حكاية شاذة، أو نكتة فاردة في زاوية كتاب قد يكون محرّفاً سقطوا عليها تهافت الذباب على الحلوى، وجعلوها معياراً ومقياساً - لا بل صيّروها محكاً يعرضون عليه سائر الحوادث، ويغفلون أو يتغافلون عن الأحوال الخاصة، والأسباب المستثناة، ويرجع كلّ هذا التهور إلى قلة الاطلاع في الأصل، هذا إذا لم يشب ذلك سوء قصد، لأنّ الغربي لم يبرح عدواً للشرقي ورقبياً له والنادر لا يعتد به^(٣٠٨).

* * *

ويقول الأستاذ أحمد شاکر - حول نظرة المستشرقين للقرآن :

فهم - المستشرقون - يرون أن علماء الإسلام، وقرّاء القرآن كاذبون مفترّون اخترعوا هذه الروايات وهذه القراءات توجيهاً لما يتحمّله رسم المصحف تشكيكاً منهم في هذا الكتاب المحفوظ بحفظ الله وتكذيباً للوعد بحفظه، وبأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وثأراً من المسلمين باتهامهم بالتحريف كما اتهم الذين من قبلهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه إلى أن يقول :

ذلك بأنهم أصحاب هوى، وذلك بأنهم لا يؤمنون بصدق رسالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك بأنهم يؤمنون بأنّ أصحاب رسول الله وتابعيهم من بعدهم لا خلاق لهم، يصدرون عن هوى وعصبية فيظنون فيهم ما في غيرهم من الكذب على الدين، والجرأة على الله وحاشا الله .

وذلك بأنهم - أي المستشرقون - يتبعون الشاذ من الروايات الذي أخطأ فيها بعض روايتها أو الذي كذب فيها بعض الوضاعين، وهما اللذان بينهما علماء الإسلام وخاصة علماء

(٣٠٧) أنظر حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ٣٠٤ .

(٣٠٨) أنظر حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ١٠٠ .

الحديث أدق بيان وأوثقه وأوضحه، فيجعلون هذا الشاذ المنكر أصلاً؛ يبنون قواعدهم التي افتعلوها ونسبوها للإسلام وعلماء الإسلام، ويدعون الجادة الواضحة وضوح الشمس، ويغمضون عنها أعينهم ويجعلون أصابعهم في آذانهم، ثم يستهونون منا من ضعفت مداركهم، وضوّل علمهم بقديمهم من المعجبين بهم، والمعظميهم الذين نشأوا في حجورهم ورضعوا من لبنانهم، فأخذوا عنهم العلوم حتى علوم الفقه، والقرآن، فكانوا قوماً لا يفقهون^(٣٠٩).

ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثري حول نظرة المستشرقين للقرآن أيضاً:

ونرى في المدة الأخيرة اهتماماً خاصاً لمستشقي الغرب بنشر مؤلفات علماء الإسلام الأقدمين ممّا يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه، من كتب القراءات وكتب الطبقات، بل يواصلون سعيهم في ذلك، وفي نشر ما للأقدمين من المؤلفات في الحديث والفقه واللغة، إلى غير ذلك من المشرقيات، ومسعى أغليبيتهم قصدهم لإحياء عهد الصليبيين بطريقة أخرى في الحملات الممتلئة تعصباً وجهلاً نحو النور الوضاء، الذي أشرق من القرآن على هذه الكرة المظلمة حتى استنارت بذلك النور الوهاج، فدخل الناس في دين الله أفواجا، فتبدّلت الأرض .
وغاية هذا الفريق مكشوفة جداً مهما تظاهر بمظهر البحث العلمي البريء كذباً وزوراً وخداعاً .

وبتلك الإمامة اليسيرة في تأريخ القرآن الكريم يظهر أن محاولتهم هذه ما هي إلا محاولة خائبة منكوسة، وأنهم لو ابتغوا نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء ليأتوا بما له مساس بكتاب الله المنزل على حبيبه المرسل - صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء - من قرب أو بعد لما وجدوا إلى ذلك أدنى سبيل... إلخ^(٣١٠).

* * *

ويقول الأستاذ عبد الباقي سرور - في حديثه عن المستشرقين وبالأخص المستشرق اليهودي جولد تسهير - : ومن الأفق الغربي تأتي حملة أخرى على الروحانية الإسلامية، حملة أشد خبثاً وأدهى أسلوباً، حملة سحرت أعين الناس، وجاءت بما يستهوي الأفئدة لأنها تتنقع بالعلم وتنستر بالمعرفة، وتتوارى وراء كلمات براءة خداعة هي حرية البحث أو قداسة العلم!!

(٣٠٩) الشرع واللغة للأستاذ أحمد شاکر ص ٢٦ ٢٨ .

(٣١٠) مقالات الكوثري ص ١٧ .

فراينا يهودياً هو - جولد تسهير^(٣١١) - يكتب عن العقيدة والشريعة في الإسلام، ويفسر القرآن كما يهوى، ويجرح صحابة الرسول كما يحب، ويخطئهم في فهمهم لدينهم، ثم يبتدع هو ما يشاء تفسيراً لروح القرآن وهدى الرسول، ونهج العقيدة في الإسلام . إلى أن يقول: ويأتي في أعقاب هذا اليهودي أخوان له خدع بهم الشرق، بل خدعت بهم طائفة غير قليلة من رجال القلم والفكر عندنا فظنّوهم سدنة العلم الإسلامي وحملة مفاتيح كنوز^(٣١٢)هـ .

ويقول الأستاذ أحمد فارس الشدياق عن المستشرقين وكيفية خبطهم في الأبحاث وخطهم للأشياء: إنّ هؤلاء الأساتيد لم يأخذوا العلم عن شيوخه... وإّما تطفلوا عليه تطفلاً، وتوثبوا توثباً، ومن تخرج فيه بشيء فإّما تخرج على القسس... إذ أدخل رأسه في أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهم أنّه يعرف شيئاً وهو يجهله، وكلّ منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخطب فيها خبط عشواء فما اشتبه عليه منها رقعته من عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن فرجح منه المرجوح وفضل المفضول^(٣١٣) .

ويصف الأستاذ قذري حافظ طوقان تحامل المستشرقين على العرب خاصة بقوله : ونظرة بسيطة إلى ما ألفه الغربيون في التراث اليوناني، ولدى الاطلاع على آرائهم في نتاج القريحة العربية يظهر التحامل جلياً واضحاً، ويثبت الإجحاف، وإنّ بعض علماء الغرب عمدوا إلى الانتقاص من قدر الحضارة العربية، وقد قصدوا تشويه صفحات لامعات في تاريخ العرب لمآرب غير خافية على أحد^(٣١٤) .

ويقول الأستاذ إبراهيم هاشم :

لقد اشتهر كتاب الغرب بعمق التفكير، وغزارة المادة ودراسة الموضوع الذي يريدون الكتابة عنه دراسة مستفيضة حتى لا تفوتهم صغيرة ولا كبيرة من شؤونه . هذه حقيقة لا سبيل إلى نكرانها، ولكن لمست إلى جانب هذه الحقيقة حقيقة أخرى وهي: أنهم لم يستطيعوا على غزارة علمهم أن يتخلوا ولو قليلاً من ماديتهم. إلى أن يقول :

(٣١١) جولد تسهير هو من أسرة يهودية ولد سنة ١٨٥٠ في بلاد المجر وتوفي سنة ١٩٢١ - ١٣ نوفمبر وسافر إلى الشرق سنة ١٨٧٣ ودخل القاهرة فأقام بها مدة وله مؤلفات منها الجدل عند الشيعة والعقيدة والشرعية في الإسلام ومذاهب التفسير الإسلامي وغيرها وناهيك ما حوته هذه الكتب وغيرها من الدس والتضليل والقول بالباطل بالأخص ما يخص الشيعة.

(٣١٢) انظر رابعة العدوية ص ٢٤ .

(٣١٣) المستشرقون للعفيفي ص ٢٠٠ نقلا عن ذيل الفازياق ص ٢ .

(٣١٤) الخالدون العرب ص ٣ .

ويفترضون فروضاً وهمية، ليصلوا إلى بعض الحقائق العلمية، وقد تؤدي تلك الفروض الوهمية إلى النتائج المطلوبة، يرون كلّ ذلك ويؤمنون به ثم يقفون جامدين مكابرين لبعض الحقائق التي عجزت عقولهم عن إدراكها في مجال العقائد الدينية، ولا يكفون أنفسهم عناء النقاش، وقرع الحجة بالحجة خشية الاندحار..

وأفة أخرى تتبين لنا خلال سطورهم في كلّ ما يكتبون عن الإسلام ونبيّ الإسلام، تلك هي: روح العداء المستحكم للدين الإسلامي ومعتقديه، وهذه الروح العدائية للإسلام والمسلمين بقية من بقايا العداء الصليبي ما استطاعوا أن ينقوا أعماقهم منها، رغم تمدحهم بالتسامح الذي يزعمونه لأنفسهم، وإلى أن يخلصوا من هاتين الآفتين، ونرجو أن تتخلص عقليتهم مما يزري بها في مجال التفكير السليم^(٣١٥).

والخلاصة

إنّنا نستوضح من هذه الأقوال ونستكشف من هذه الآراء التي قدّمناها هنا للقراء عن هؤلاء الأساتذة، أنّ كتابة المستشرقين عن الإسلام لم يكن مقصوداً بها خدمة الحقّ والتاريخ، - إلا المنصفين منهم وقليل ما هم - بل إنّما كانت كتاباتهم بدافع الحقد والعداء للإسلام وأهله، وإنّ ذلك يدعو إلى ضياع الحقّ وتشويه الحقيقة التي هي رائد كلّ كاتب حر .

وإنّ الذي يعنينا الآن هو الإشارة إلى الأثر السيء الذي ترتب على انخداع كثير من كتابنا بتلك الآراء، وأخذهم بتلك الأقوال المخالفة للواقع، وكأنّها عندهم هي الصواب بعينه أو اليقين الذي لا يتطرق إليه شك، ولعلّ الكثير منهم كان يعتمد الاعتماد عليها لما فيها من الخطّ فيمن يتحامل عليه، انصياعاً لنزعة الطائفية أو الخلافات المذهبية .

ونودّ أن نعود للأستاذ مصطفى السباعي لتكملة ما يتعلق بهذا الموضوع في حديثه إذ هو قد أعطى صورة واضحة عن هؤلاء المستشرقين، ومن تابعهم بالقول، ثم نعود لبيان الموضوع .

يقول الدكتور السباعي - بعد بيان طويل - : لا يزال حتى اليوم أكثر الذين يشتغلون منهم بهذه الدراسات من رجال الدين، الذين يعنون بتحريف الإسلام وتشويه جماله، أو من رجال الاستعمار الذين يعنون ببلبلة بلاد الإسلام في ثقافتها، وتشويه حضارتها في أذهان المسلمين، وتتسم بحوث هؤلاء بالظواهر الآتية :

١ - سوء الظن والفهم لكلّ ما يتصل بالإسلام وأهدافه ومقاصده .

٢ - سوء الظن بالمسلمين وعلمائهم وعظمائهم .

- ٣ - تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور وخاصة في العصر الأول بمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماءه .
- ٤ - تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع بكثير تهويناً لشأنها، واحتقاراً لآثارها .
- ٥ - جهلهم بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته، والحكم عليه من خلال ما يعرفونه من أخلاق شعوبهم، وعادات بلادهم .
- ٦ - إخضاعهم النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم، والتحكم فيما يفرضونه، ويقبلونه من النصوص .
- ٧ - تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف .
- ٨ - تحكمهم بالمصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتاب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله «الدميري» في كتاب الحيوان، ويكذبون ما يرويهِ «مالك» في «الموطأ» كل ذلك انسياقاً مع الهوى، وانحرافاً عن الحق .

* * *

وبهذه الصفات المشوبة بروح العداء للإسلام والمعبّرة عن جهلهم الفاضح، عبّر السباعي عن هؤلاء الكتاب من المستشرقين الذين أصبحت مؤلفاتهم مصدراً لكتاب عصرنا الحاضر - إلا القليل منهم - وقد أوضح الأستاذ ذلك أيضاً بقوله :

وقد أتاح لهم أي للمستشرقين تشجيع حكوماتهم، ووفرة المصادر بين أيديهم، وتفرّغهم للدراسة واختصاص كلّ واحد منهم بفن أو ناحية من نواحي ذلك الفن، يفرغ له جهده في حياته كلها، ساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا بحوثهم بصبغة علمية، وأن يحيطوا بثروة من الكتب والنصوص ما لم يحط به علماؤنا الذين يعيشون في مجتمع مضطرب في سياسته وثروته وأوضاعه، فلا يجدون متسعاً للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون، وكان من أثر ذلك أن أصبحت كتبهم وبحوثهم مرجعاً للمثقفين منا ثقافة غربية، والملمّين بلغات أجنبية، وقد خدع أكثر هؤلاء المثقفين وبحوثهم، واعتقدوا بمقدرتهم العلمية وإخلاصهم للحق... وجروا وراء آرائهم ينقلونها كما هي، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم، ومنهم من يلبسها ثوباً إسلامياً جديداً، ولا أريد أن أضرب لك الأمثال فقد رأيت من صنيع الأستاذ «أحمد أمين» في فجر الإسلام مثلاً لتلامذة مدرسة المستشرقين من المسلمين^(٣١٦) .

(٣١٦) انظر كتاب السنة للدكتور السباعي ص ٣٦٦ .

هذا ما قرّره السباعي، وقد وصفهم من قبل أنّهم عملاء للاستعمار يرتبطون ارتباطاً مباشراً بوزارة الخارجية الاستعمارية، كما وصفهم غيره بذلك .

وقد اتضح لنا ممّا سبق انخداع كثير من الكتاب بما يدسّه المستشرقون في كتبهم من الطعن على الإسلام وما أكثر الشواهد على ذلك!

ولا نعدو الحقيقة إنّ قلنا إنّ الأستاذ أحمد أمين من أشدّ أولئك الكتاب الذين تعرضوا للشبهة في كتبهم مستنديين على أقوال المستشرقين .

والقارئ لما كتبه أحمد أمين يجد هناك عظيم تعصّب على الشيعة وانحرافه عن الحقّ فيما ذكره حولهم؛ لأنّه أخذ كلّ معلوماته عن أساتذته المستشرقين والذي كان هو من أبرز تلامذتهم .

وقد تعرضنا لبعض أقواله في الشيعة التي استمدّها من أستاذه - ولهوسن - و - دوزي - (٣١٧) .

وكتاب أحمد أمين فجر الإسلام قد تضمن تلك الآراء مصبوغة بعباراته وتعبيره ممّا يدلّ بوضوح على عدم تعمقه وقلة اطلاعه، وقد أصبح كتابه مصدراً لكتاب آخرين، وهكذا تتوسع دائرة الابتعاد عن الحقّ .

وهكذا هو في بقية كتبه يقدم للأمة ما يثير الضغائن ويبعث في نفوس بعضهم الحقد على البعض الآخر .

وهو في جميع مؤلفاته يسير على نهج واحد من اتباع المستشرقين والتقليد لهم.

وقد جاء في فجر الإسلام أيضاً كثير من ذلك وللمثال هنا نذكر ما يلي:

يقول الدكتور أحمد أمين - بعد أن يذكر قول المستشرق - برون - في نظرية الحقّ الإلهي لملوك الفرس :

هذه مذاهب الفرس الدينية وقد ذابت في المملكة الإسلامية بعد الفتح، وكثير منهم أسلموا ولم يتجرّدوا من كلّ عقائدهم التي توارثوها أجيالاً، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة في علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين من الملوك الساسانيين وثنوية الفرس كانوا منبعاً يستقي منه «الرافضة» في الإسلام... إلخ (٣١٨).

وهذه النظرية استقاها من أساتذته ولا زال يردد هذه النغمة المؤلمة وقد صرح بهذا أساتذته ومن امتصّ آراءه منهم (٣١٩) .

(٣١٧) انظر البحث في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٤٨ - ٥٠ .

(٣١٨) انظر فجر الإسلام ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٣١٩) انظر الخوارج والشيعة للمستشرق «فلهوزن» ص ٢٣٥ - ٢٤٩ تجد ذلك وأن أحمد أمين ليس له إلا الترجمة وبعض التعبير .

وأنت ترى في تعبير أحمد أمين في قوله: فنظرة الشيعة في علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين... الخ.

اعتقاده أنّ التشيع فارسي في الأصل فارسي في العقيدة إلى آخر ما يتذوقه الأستاذ في اتباعه لأساتذته. وقد أسهم في الجناية على التاريخ وأساء للعلم الذي يحمل صفته بما جرى عليه من متابعة المستشرقين وتقليدهم في جهله لمذهب الشيعة ومقوماته. وكأنّ التشيع نشأ في عصور متأخرة وليس له قبول في النفوس إلا عند الفرس فقط، وقد خلت منه البلاد العربية ولم يكن منشأه الحجاز في عهد صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم)، وانتشر في البلاد الإسلامية على أيدي كبار قادة المسلمين وعظماء الأمة. وعلى أيّ حال فما تقدّم كاف للخرم بمنحى التعصب الذي نحاه والكشف عن مصادر آرائه وأصول اعتقاداته في التشيع التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، بل تنتسب إلى أعدائه والحاquدين عليه.

* * *

ولئن كان أحمد أمين من أبرز تلامذة مدرسة المستشرقين في عصره - على حدّ تعبير السباعي - فإننا نرى أنّ الأستاذ - الذهبي - مؤلف كتاب «التفسير والمفسرون» من أولئك التلامذة الذين انخدعوا بتلك الأساليب، وتشبعت روحهم بتلك الأبحاث، وانعكست فيهم تلك الآراء الشاذة، ولعبت بعقولهم تلك الأهواء المردية، فراحوا يحققون ما للمستشرقين من أهداف.

ولقد تجلّت في هذا الرجل روح شيخ المستشرقين في الجيل الماضي وهو المستشرق اليهودي المجري «جولد تسهير» الذي كان أشدّهم خطراً وأوسعهم باعاً وأكثرهم خبثاً وإفساداً، وأشدّهم طعنًا في العقائد الإسلامية.

فلقد كانت بحوث هذا المستشرق مرجعاً خصباً ومصدراً للدكتور الذهبي، وإنّ من يقارن بين ما كتبه في كتابه «التفسير والمفسرون» حول الشيعة وبين ما كتبه المستشرق «جولد تسهير» في كتابه: مذاهب التفسير الإسلامي فإنّه يجد روح ذلك المستشرق ونزعتة تتجلّى فيما كتبه الذهبي. ولا يجد الذهبي غضاظة في كيل المديح وزيادة الإطراء وهو يذكر أستاذه اليهودي هذا، وكأنه يطري واحداً من علماء الإسلام لا يهودياً جمع بين حقد اليهودية وأغراض الاستشراق الغربية.

لقد أخذ كثيراً من الأبحاث عن أحمد أمين الذي تأثر بتلك الروح، وظهر في كتاباته ما يدل على أنّ المشرب واحد.

وأودّ هنا إعطاء نظرة عن كتاب التفسير والمفسرون للأستاذ الذهبي، وليس بوسعنا نقد جميع أخطائه وبيان الأمور التي ارتكبها، متبعاً خطى المستشرقين الذين زلت أقدامهم عن طريق الصواب. وأودّ أن أشير بإيجاز إلى منهجه في بحثه وبيان اتجاهه في دراسته والمخطط الذي سار عليه في ذلك، ولعلّ الفرص تواتينا فنعود لمناقشته، ونسأل الله أن يفسح لنا في الأجل لإدراك هذا الغرض .

التفسير والمفسرون

الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء، ومؤلفه محمد حسين الذهبي أستاذ في علوم القرآن والحديث؛ وهذا الكتاب فيه عرض لنشأة التفسير وتطوره، وألوانه ومذاهبه، مع عرض شامل لأشهر المفسرين، وتحليل كامل لأهم كتب التفسير على حدّ تعبير المؤلف .

والذي يهمنا حول هذا الكتاب هو ما تعرض له في الجزء الثالث من العرض لتفسير القرآن عند الشيعة، وما قدم لذلك في كلامه عنهم وعن عقائدهم، وقد اعترف في بدء حديثه: أن الشيعة هم الذين شايعوا علياً وأهل بيته، وقالوا: إنّ علياً هو الإمام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنّ الخلافة حقّ له استحقّها بوصية من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... الخ .

ثم يمضي المؤلف في بيانه حتى يأتي حول تفرق الشيعة في الآراء، ويقصر بحثه على الزيدية والإمامية ويقول في ص ٥، ولست بمستوعب كلّ هذه الفرق ولكن سأقتصر على فرقتين هما الزيدية والإمامية - الإثنا عشرية والإسماعيلية - لأنّي لم أعتز على مؤلفات في التفسير لغير هاتين الفرقتين من الشيعة .

ثم يعرف الإمامية الإثني عشرية: بأنهم الذين يرون أنّ الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه موسى... الخ .

وبعدها يأتي في البيان إلى أشهر تعاليم الإمامية فيحصرها في أربعة: العصمة، والمهدية، والرجعة، والتقية.

ثم يأخذ في بيان ذلك حسب ذوقه وتفكيره ويملي بما أدّى إليه نظره. ونحن نتركه يستمر في بيانه من باب «خل سبيل من وهى سقاؤه» .

إلى أن يأتي آخر هذا الفصل ويختمه بكلمة للإسفرائيني؛ وبها يحاول أن يعطي صورة عن الشيعة الإمامية، بالأخص تلك الصورة التي يحاول بها أن تكون صورة واقعية عن الشيعة إذ أنّهم كفرة يستحلون محارم الشريعة، ولا يعتمدون على القرآن إلى آخر ما وراء ذلك من أغراض وأهداف . (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) (٣٢٠).

يقول المؤلف:

وقبل أن أخلص من هذه العجالة أسوق كلمة أنقلها بنصّها عن أبي المظفر الإسفرائيني في كتابه، «التبصير في الدين»: وأعلم أنّ الزيدية والإمامية منهم يكفر بعضهم بعضاً والعداوة بينهم قائمة دائمة، والكيسانية يعدون في الإمامية، وأعلم أنّ جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ويدّعون أنّ القرآن قد غير عما كان، ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة. ويزعمون أنّه قد كان فيه النص على إمامة عليّ فأسقطه الصحابة منه، ويزعمون أنّه لا اعتماد على القرآن الآن، ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ويزعمون أنّه لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين، وينتظرون إماماً يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة، وليسوا على شيء من الدين، وليس مقصودهم من هذا الكلام في الإمامة ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية، ويعتذرون عند العوام من تحريف الشريعة وتغيير القرآن من عند الصحابة، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر، إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين^(٣٢١).

* * *

هذا ما نقله المصنف عن الإسفرائيني معتقداً صحّة هذا القول وصدقه وما أبعده عن ذلك! والباحث المنصف بقليل من التأمل - لا يسعه إلا أن يرى الشطط الفكري والخطأ التاريخي الذي وقع فيه الأستاذ مدرس علوم القرآن والحديث فيما كتبه حول هذا الموضوع . وإنّ هذه الكلمة التي ساقها تمهيداً لبحثه نقلها عن أحد كتّاب الفرق الذين اتسموا بمعاداة ومهاجمة كل من خالفهم في الرأي، فارتكبوا من الافتعالات اندفاعاً وراء عواطفهم ونصرة لمذاهبهم ما جعلهم في موضع النقد، وعدم الثقة بما يكتبون . وقد وصفهم العلامة شيخ الجامع الأزهر في العصر الحاضر الشيخ محمود شلتوت بقوله :

لقد كان أكثر الكاتبيين عن الفرق الإسلامية متأثرين بروح التعصب الممقوت، فكانت كتاباتهم ممّا تورث نيران العداوة والبغضاء بين أبناء الملة الواحدة، وكان كلّ كاتب لا ينظر إلى من خالفه إلا من زاوية واحدة، هي تسخيف رأيه، وتسفيه عقيدته، بأسلوب شرّ أكثر من نفعه، ولهذا كان من أراد الانصاف لا يكون رأيه عن فرقة من الفرق إلا من مصادرها الخاصة، ليكون هذا أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ^(٣٢٢).

(٣٢١) التبصير في الدين ص ٤١ .

(٣٢٢) انظر إسلام بلا مذاهب ص ٧ .

* * *

فهل كانت هذه النزعة إلى الخير في مدرس الأزهر اقتداء بشيخ الأزهر؟! وهل أنصف المؤلف في اعتماده على نقل ما قاله رجل في عصور مظلمة يسود فيها الصراع العقائدي مما يبعث على التألم مما حلّ بالمسلمين من ذلك وما جرّه عليهم النزاع من ويلات الدمار، وعوامل الانهيار؟

ولا بد أن نلقي على هذه الكلمة نظرة خاطفة ونتبين ما هو محلها من الصدق؟ - وما أبعدها عن ذلك! - لنعرف اتجاه الأستاذ المؤلف ومنحاه في تفسيره ومقدار تعمقه في البحث وتأكده في النقل. وإلى القراء النقاط التالية :

١ - يقول: إنّ الزيدية والإمامية منهم يكفر بعضهم بعضاً والعداوة بينهم قائمة دائمة . ونقول: هل استطاع صاحب هذا القول أن يدعمه ولو بحادث واحد أو شاهد من قول لإحدى الطائفتين؟

وهل اشتهر عنهم ذلك الخلاف حتى أدى إلى تكفير بعضهم بعضاً؟ كما اشتهر بين غيرهم من طوائف المسلمين حتى اشتهرت كلمات التكفير لبعضهم البعض كقول المظفر الطوسي الشافعي :

لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الحنابلة الجزية^(٣٢٣) وقول محمد بن موسى الحنفي:

لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزية^(٣٢٤) وقول الشيخ أبي حاتم الحنبلي :

ومن لم يكن حنبلياً فليس بمسلم^(٣٢٥) .

واشتهر عن الشيخ أبي بكر المقرئ الواعظ في جوامع بغداد بأنه كفر جميع الحنابلة^(٣٢٦) . ونودي بدمشق وغيرها: من كان على دين ابن تيمية حلّ ماله ودمه. وأفتى بعضهم بتكفير من يطلق على ابن تيمية أنّه شيخ الإسلام^(٣٢٧) وابن تيمية هو شيخ الحنابلة ومقدمهم، ومعنى هذا أنّ كل حنبلي كافر. إلى غير ذلك مما لا أودّ استقصاءه.

(٣٢٣) مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٤ القسم الأول .

(٣٢٤) مختصر تاريخ دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ٢٤ .

(٣٢٥) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٥٧ .

(٣٢٦) شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٣٢٧) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٢٠ .

ثم نقول للمؤلف: أين هذه العداوة التي دامت بين الزيدية والإمامية؟ فهل سمع أن فتنة قامت بينهم فأغلقت الأسواق وهدمت الدور كما حدث بين الشافعية والحنابلة في فتنة القشيري^(٣٢٨)، وذلك في سنة (٤٦٩ هـ) وكما اضطربت الفتنة بين الحنفية وبين الشافعية بسبب تحويل أبي سعد المتوفى سنة (٥٦٢ هـ) من مذهب الحنفي إلى مذهب الشافعي، وقامت الحرب على ساق واضطربت نيران الفتنة بين الفريقين فكانت تملأ ما بين خراسان والعراق^(٣٢٩)، إلى غير ذلك مما يحز في النفس ويعظم استقصاؤه .

* * *

٢ - يقول: واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة .
هكذا نقل الأستاذ عن الإسفرائيني ولم يقصد بذلك إلا الطعن على الشيعة وإثارة البغضاء نحوهم بما افتراه الإسفرائيني وقرره الذهبي، وهما في الوزر سواء .
ومن الخير أن نلفت نظر الأستاذ المدرس بالأزهر الشريف إلى ما يجب عليه من تحري الصدق فهو مسؤول عن هذا الجيل الذي يغذيه بأفكاره، نسأل الله لهم العصمة والوقاية من تلك السموم القاتلة التي يبثها بهذه الأكاذيب والافتراءات .

ألا كانت من الأستاذ الذهبي صباغة إنصاف ومسكة من عقل وقليل من تتبع فيعرف رأي الإمامية في الصحابة ; ومتى كفروهم جميعاً؟ ومع التنازل كيف يصح أن تكفر الشيعة صحابة محمد الذين مدحهم الله بكتابه، ولا أقل إن أغلبهم عرف بالولاء لعلي (عليه السلام) وشهد معه حروبه ومنهم أبطال التشيع؟

وعلى سبيل المثال أود أن أذكر للقارئ الكريم بعضاً من أولئك البررة تشيعوا لعلي ووازره والذين شهدوا معه حروبه، وناصروه على الباغين عليه، وفي طليعتهم :

١ - عمار بن ياسر المعدب في الله، والممتحن لإسلامه، ومن قال فيه رسول الله: يا عمار، تقتلك الفئة الباغية، وعن أبي هريرة أن النبي قال له: «ابشر عمار تقتلك الفئة الباغية»^(٣٣٠) .

وأخرج الترمذي بسند عن عائشة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أَرشدَهما»^(٣٣١) .

٢ - وأبو ذر الغفاري المتوفى سنة (٣٢ هـ) وهو من كبار الصحابة وفضلائهم وكان من شيعة علي (عليه السلام) ووسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصدق فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

(٣٢٨) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ج ١ ص ٢٢ .

(٣٢٩) طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢ .

(٣٣٠) أسد الغابة ج ٤ ص ٤٦ .

(٣٣١) أنظر أسد الغابة ج ٤ ص ٤٥ .

ما أظلت الخضراء وأقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أبو ذر في أمتي على زهد عيسى بن مريم .

وقال الإمام علي(عليه السلام): وعى أبو ذر علماً عجز الناس عنه ثم أوكى عليه فلم يخرج منه شيئاً^(٣٣٢)

٣ - خزيمة بن ثابت بن الفاكه ذو الشهادتين شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد كلها، وقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شهادته بشهادة رجلين، وحضر مع علي(عليه السلام) حرب الجمل، وصفين وبها قتل سنة (٣٧ هـ) (٣٣٣) .

٤ - أبو قتادة الحارث بن ربعي حارس النبي ليلة بدر وقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم أحفظ أبا قتادة كما حفظ نبيك هذه الليلة، وشهد مع علي(عليه السلام) مشاهدته كلها، ومات بالكوفة سنة أربعين، وهو الذي قال له معاوية حين قدم المدينة: تلقاني الناس غيركم يا معاشر الأنصار . قال أبو قتادة: لم يكن معنا دواب. قال معاوية: وأين النواضح؟

قال: عقربناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر. ثم قال: إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال لنا: إنا سنرى بعده أثره. قال معاوية: فما أمركم به عند ذلك؟ قال: أمرنا بالصبر. قال معاوية: فاصبروا حتى تلقوه. فبلغ ذلك عبدالرحمن بن حسان بن ثابت فأنشأ أبياته المشهورة (ألا أبلغ معاوية بن صخر... الخ) (٣٣٤) .

٥ - كعب بن عمرو بن عباد شهد بدرًا والعقبة - وهو أسر العباس بن عبدالمطلب يوم بدر، وهو الذي انتزع راية المشركين يوم بدر وكانت بيد عزيز بن عمير، وشهد صفين مع علي(عليه السلام) ومات في المدينة سنة (٥٥ هـ) (٣٣٥) .

٦ - سلمان الفارسي الذي قال فيه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): سلمان منا أهل البيت (٣٣٦) .

٧ - عمير بن قرّة الليثي شهد مع علي(عليه السلام) صفين، وكان شديدًا على معاوية وأهل الشام حتى حلف معاوية إن ظفر به ليذيين الرصاص في أذنيه (٣٣٧) .

٨ - أبو عمرة الأنصاري شهد العقبة وبدرًا، وشهد مع علي(عليه السلام) صفين وكان يقاتل وهو صائم (٣٣٨) .

(٣٣٢) أسد الغابة ج ٥ ص ١٨٧ .

(٣٣٣) الإصابة لابن حجر ج ١ ص ٤٢٦ .

(٣٣٤) الإستهيعاب ج ٣ ص ٤٠٢ .

(٣٣٥) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٤٦ / ٢٠٥ .

(٣٣٦) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٤١ / ٩٦ .

(٣٣٧) الإصابة ج ٤ ص ٦٠١ / ٦٠٦ .

(٣٣٨) الإصابة ج ٤ ص ١٤٠ .

- ٩ - أبو الهيثم مالك بن النيهان شهد العقبة وبدراً، وشهد مع علي(عليه السلام) صفين وبها قتل(٣٣٩).
- ١٠ - قيس بن سعد بن عبادة شهد مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مشاهدته كلها، وكان حامل الراية يوم الفتح وشهد مع علي(عليه السلام) صفين والجمل(٣٤٠).
- ١١ - عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب المتوفى سنة (٦٨ هـ) حبر الأمة شهد مع علي(عليه السلام) صفين والجمل والنهروان(٣٤١).
- ١٢ - عبدالله بن بديل قتل هو وأخوه بصفين(٣٤٢).
- ١٣ - قيس بن المكشوح وهو أحد الذين قتلوا الأسود العنسي في حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)شهد صفين مع علي(عليه السلام) ومعه راية بجيلة وقتل بها(٣٤٣).
- ١٤ - يزيد بن حويرث الأنصاري شهد أحداً وما بعدها وشهد صفين مع علي(عليه السلام)(٣٤٤).
- ١٥ - جبلة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي البياضي شهد بدرأ مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وشهد صفين مع علي(عليه السلام)(٣٤٥).
- ١٦ - الحارث بن عمر الخزرجي شهد أحداً مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد صفين مع علي(عليه السلام)(٣٤٦).
- ١٧ - ربعي بن عمر الأنصاري شهد بدرأ مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد صفين مع علي(عليه السلام)(٣٤٧).
- ١٨ - زيد بن أرقم بن زيد بن قيس غزا مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) سبع عشرة غزوة وشهد صفين مع علي(عليه السلام)(٣٤٨).
- ١٩ - أسيد بن ثعلبة الأنصاري شهد بدرأ مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وشهد صفين مع علي(عليه السلام)(٣٤٩).

(٣٣٩) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٢٠ / ٢٧.

(٣٤٠) الإصابة ج ٥ ص ٣٥٩ / ٧١٩٢.

(٣٤١) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٣٩ / ٢٧٣.

(٣٤٢) أسد الغابة ج ٣ ص ١٨٤ / ٢٨٣٤.

(٣٤٣) أسد الغابة ج ٤ ص ٤٢٥ / ٤٤٠٥.

(٣٤٤) الإصابة ج ٦ ص ٥١٣ / ٩٢٧١.

(٣٤٥) أسد الغابة ج ١ ص ٥٠٩ / ٦٨١.

(٣٤٦) الإصابة ج ١ ص ٦٨ / ١٤٥٧.

(٣٤٧) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٥٣ / ١٦١٩.

(٣٤٨) أسد الغابة ج ٢ ص ٣٤٢ / ١٨١٩.

- ٢٠ - أبو بردة الحارث بن عمر الأنصاري شهد بدرًا وما بعدها مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد صفين والجمل مع علي (عليه السلام) (٣٥٠) .
- ٢١ - أبو حبة البدري شهد بدرًا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد صفين مع علي (عليه السلام) (٣٥١) (٣٥٢) .
- ٢٢ - أبو فضالة الأنصاري شهد بدرًا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتل بصفين وهو يحارب مع علي (عليه السلام) (٣٥٣) .
- ٢٣ - أبو أيوب الأنصاري شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد مع علي (عليه السلام) صفين والجمل وكان على مقدمة الجيش يوم النهروان (٣٥٤) .
- ٢٤ - أبو محمد الأنصاري شهد بدرًا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد صفين مع علي (عليه السلام) (٣٥٥) .
- ٢٥ - أبو ليلي الأنصاري شهد مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحدًا وما بعدها وشهد مع علي (عليه السلام) مشاهدته كلها (٣٥٦) .
- ٢٦ - زبيد بن عبد الخولاني شهد صفين مع معاوية وكانت معه الراية فلما قتل عمار تحول إلى معسكر علي (عليه السلام)، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعمار: يا عمار تقتلك الفئة الباغية (٣٥٧) .
- ٢٧ - جبلة بن عمرو الأنصاري - الساعدي - كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم شهد صفين مع علي (عليه السلام) (٣٥٨) .
- وغير هؤلاء كالمقداد بن الأسود هو من الصحابة الذين أمر الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحبهم وهم: علي (عليه السلام) وأبو ذر والمقداد وسلمان (٣٥٩) .

(٣٤٩) أسد الغابة ج ١ ص ٢٤٠ / ١٦٨ .

(٣٥٠) الإصابة ج ٧ ص ٣١ / ٩٦١٢ .

(٣٥١) انكر الواقدي أن أبا حبة شهد بدرًا؛ وانكاره لا يضر فقد صح ذلك ممن هو أوثق منه.

(٣٥٢) الإصابة ج ٧ ص ٧١ / ٩٧٤٤ .

(٣٥٣) الإصابة ج ٧ ص ٢٦٧ / ١٠٣٩٤ .

(٣٥٤) أسد الغابة ج ٢ ص ١٢١ / ١٣٦١ .

(٣٥٥) الإصابة ج ٧ ص ٣٠٣ / ١٠٥٠ أسد الغابة ج ٦ ص ٢٧٤ / ٦٢٣١ .

(٣٥٦) الإصابة ج ٧ ص ٢٩٢ / ١٠٤٧٨ .

(٣٥٧) الإصابة ج ٢ ص ٥٢٠ / ٢٩٧١ .

(٣٥٨) أسد الغابة ج ١ ص ٥١١ / ٦٨٦ .

(٣٥٩) مسند أحمد ج ٣٨ ص ١٢١ - ١٢٢ / ٢٣٠١٤ .

ومنهم وهب بن عبدالله أبو جحيفة، وأبو عطية الوداعي، وأبو الورد المازني، وأبو قدامة بن الحارث، وعبدالله بن ذياب بن الحارث، ويعلى بن عمير بن حارثة النهدي، ويزيد بن قيس الهمداني، وعدي بن حاتم بن عبدالله الطائي، والفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري، وقرضة بن كعب الأنصاري الخزرجي، والمغيرة بن نوفل ابن الحارث، ومخنف بن سلم الغامدي، ومحمد ابن بديل، والمهاجر بن الوليد المخزومي، ويزيد بن طعمة بن جارية الأنصاري، ويعلى بن أمية، وقد شهد الجمل مع عائشة، وشهد صفين مع علي(عليه السلام) وبها قتل، ونهشل بن جري بن حمزة رئيس بني حنظلة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، والبراء بن عازب، وثعلبة بن عمرو الأنصاري، وهند بن أبي هالة وعبدالله بن أبي طلحة وغيرهم^(٣٦٠)

قال عبدالرحمن بن أبزى الخزاعي: شهدنا مع علي(عليه السلام) صفين في ثلاثمائة ممن بايع الرضوان قتل منهم ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر^(٣٦١).
وعبدالرحمن هذا هو ممن حضر صفين مع علي(عليه السلام)، وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب: إنه ممن رفعه الله بالقرآن^(٣٦٢).

وعلى كل حال فإنه لم يتأخر عن مناصرة علي(عليه السلام) إلا نفر قليل منهم: عبدالله ابن عمر بن الخطاب وقد ندم بعد ذلك على ترك القتال معه، ولما حضرته الوفاة قال: ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب^(٣٦٣).
أما معاوية فلم يحضر معه صفين إلا نفر ممن لفظهم الإسلام ولم يتمكن من قلوبهم الإيمان أمثال عمرو بن العاص. وأبي الغادية قاتل عمار، وأبي الأعور السلمي الذي كان علي(عليه السلام) يدعو عليه^(٣٦٤).

وعلى أي حال فإن الطعن على الشيعة بدعوى تكفيرهم الصحابة إنما كان لغرض في نفوس حكام ذلك العصر الذي كانوا يصبغون فيه التاريخ بالصبغة التي يميلون إليها من الطعن في أعدائهم بما ليس فيهم، وكان الطعن على الشيعة - وهم من أشد المعارضين لحكام الجور - هو الثمن الذي يقدمه المتزلفون للحكام لينالوا قربهم، وجزيل صلاتهم، وقد استحال التاريخ تاريخاً رسمياً يكتبه الوزير، وينقحه النديم، ويقره الملك، وبلغ من الضعف أن

(٣٦٠) انظر أسد الغابة لابن الأثير والجرح والتعديل لابن أبي حاتم والإصابة لابن حجر وطبقات ابن سعد والاستيعاب بهامش الإصابة لابن عبد البر القرطبي وغيرها من كتب الرجال والتاريخ.

(٣٦١) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٧٨.

(٣٦٢) أسد الغابة ج ٣ ص ٤١٩ / ٣٢٦٦.

(٣٦٣) أسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٨ والاستيعاب ج ٢ ص ٣٤٥.

(٣٦٤) الاستيعاب ج ٤ ص ١٦٢ / ٢٨٧٨.

يصانع القابض على القلم لكتب الحوادث بغمرة تصدر له من صاحب الشأن، وأما إذا كان هناك مغنم فالمؤرخ ينسى نفسه ويستهو به تهافته .

وإنّ هذا الموضوع وهو موضوع - الشيعة والصحابة - لا زال بحاجة إلى مزيد من البيان وكثير من الإيضاح فهو النافذة التي يدخل منها أولئك المتدخلون في صفوف المسلمين، وقد تعرّضت لهذا الموضوع أكثر من مرة، فلا حاجة إلى الإطالة فيه^(٣٦٥) .

وحسبنا كتاب الله حكماً فهو الحكم العدل والقول الفصل - فإننا نبرأ إلى الله من المنافقين (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ)^(٣٦٦) وممن كانوا يؤذون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٣٦٧) وممن (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٣٦٨) (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُدْبِرِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ)^(٣٦٩) .

وممن خالفوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحدثوا من بعده ما استوجبوا فيه عذاب الله، وقد أشار إليهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول: يا ربي أصحابي! فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٣٧٠) .

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بلفظ: وإني ممسك بحجوركم أن تهافتوا في النار كتهافت الفراش، أخرجه أحمد من طريق عبد الله بن مسعود^(٣٧١) .

وأخرج الترمذي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ويؤخذ بأصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول: يا ربي أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فإنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: إن تعذيبهم فإنهم عبادك^(٣٧٢) .

وأخرج مسلم مثله من طريق عائشة ج ٤ ص ٦٥ ومن طريق أم سلمة ص ٦٧ مثله، فنحن في تمييز الصحابة لا نتعدى حدود القرآن ولا نقول بعدالتهم أجمع، ولنا مع القراء في هذا الموضوع لقاء آخر إن شاء الله .

* * *

٣ - يقول: وينتظرون إماماً يسمّونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة... الخ .

(٣٦٥) انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٣٦٦) التوبة ١٠١ .

(٣٦٧) التوبة ٦١ .

(٣٦٨) المنافقون ٢ .

(٣٦٩) النساء ١٤٢ و ١٤٣ .

(٣٧٠) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٣١ .

(٣٧١) مسند أحمد ج ٦ ص ٥١ .

(٣٧٢) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٦٨ .

أقول :

الشيخ الذهبي ينكر على الشيعة قولهم في خروج المهدي (عليه السلام)، وقد تقدّم منه في هذا الجزء من تفسيره: ص ٨ أن أول من قال بخروج المهدي كيسان مولى علي بن أبي طالب بأن المهدي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض أمنًا وعدلاً بعد أن ملئت خوفاً وجوراً . ولا أريد أن أناقش أستاذ الحديث وحامل الشهادة العالمية فيه حول هذا الموضوع، ولكن أودّ أن أوضح للقارئ الكريم زيف ما يدّعيه وأنّ ذلك لم يكن من قول كيسان، وقد وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث تشير إلى خروج المهدي (عليه السلام)، ومنها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً، أخرجه الترمذي (٣٧٣) وأبو داود (٣٧٤) وابن ماجه (٣٧٥) .

والشيخ الذهبي ينقم على الشيعة قولهم بخروج المهدي (عليه السلام) لأنّه ينكر ذلك، ونحن نكلّ الجواب لعالم من كبار علماء السنة وهو: ابن حجر؛ فقد أجاب في فتاواه الحديثية عندما سُئل: عمّن يدعون أنّ المهدي الموعود قد مات وهم بذلك ينكرون خروج المهدي المنتظر . قال ابن حجر: فهؤلاء منكرون للمهدي الموعود به آخر الزمان، وقد ورد في حديث عند أبي بكر الأسكافي أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر، وهؤلاء مكذبون به صريحاً، فيخشى عليهم الكفر، فعلى الإمام أيّد الله به الدين، وقصم بسيف عدله رقاب الطغاة... إلى أن يقول... فنملي عليك من الأحاديث المصرحة بتكذيب هؤلاء وتضليلهم وتفسيقهم ما فيه مقنع وكفاية لمن تدبّره .

أخرج أبو نعيم أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة ومعه مناد ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه (٣٧٦) .

وأخرج هو والخطيب رواية أخرى: يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: إنّ هذا المهدي فاتبعوه. والطبراني في الأوسط أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد علي (عليه السلام) فقال: يخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي، فإنّه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي (٣٧٧) .

(٣٧٣) صحيح الترمذي ج ٤ ص ٨٤ / ٢٢٣٠ و ٢٢٣١ .

(٣٧٤) سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٦ / ٤٢٨٢ .

(٣٧٥) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٢٨ - ٩٢٩ / ٢٧٧٩ .

(٣٧٦) مسند الشاميين ج ٢ ص ٧٢ ح ٩٣٧ .

(٣٧٧) المعجم الأوسط للطبراني ج ٥ ص ٧٩ ح ٤١٤٢ مجمع الزوائد ج ٧ ص ٦١٧ ح ١٢٤١٣ .

وأخرج أحمد، ونسليم بن داود، والحاكم وأبو نعيم أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي^(٣٧٨). وهكذا يستمر ابن حجر في ذكر الأحاديث الواردة في ذكر المهدي كحديث حذيفة وما فيه من وقعة الزوراء، وكحديث نزول عيسى، وخروج المهدي إلى مكة ومبايعة الناس له، وأن المهدي من ولد فاطمة إلى كثير من الأحاديث التي تتضمن خروج المهدي ونسبه، وصفته وعلامات خروجه.

إلى أن يقول: وبقيت علامات أخر تعرف من كتابي: «المختصر في علامات المهدي المنتظر»... الخ^(٣٧٩).

هذا جواب ابن حجر وبه نكتفي بالإجابة عن ذلك؛ فإن الشيعة لم تختص وحدها بانتظار المهدي ولكن الإنكار عليهم جاء لأنهم يقولون بأنه (عليه السلام) من ولد علي وفاطمة كما نطقت به أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الفريقين.

وأما قوله: يعلمهم الشريعة فذلك صحيح إنما يعلمهم شريعة الإسلام ويطبق أحكام الله ويسير بسيرة جده (صلى الله عليه وآله وسلم). فلا فرق ولا مذاهب خلافاً لبعض الحنفية فإنهم يدعون بأن المذهب الحنفي هو المذهب الوحيد الذي يكون حكم الشريعة الإسلامية عليه. وقد تقدم من أسطورة تعلم الخضر (عليه السلام) العلم من أبي حنيفة في حياته وبعد مماته، وإنه كان يجلس الخضر على قبر أبي حنيفة ويتعلم منه العلم ويكون الحكم به في آخر الزمان^(٣٨٠).

وقال القاضي زاده شريف: وقيل إن الخضر (عليه السلام) تعلم الأحكام الشرعية منه، وإن الإمام المهدي بعد خروجه يعمل بطريقته، وإن عيسى يحكم بمذهبه^(٣٨١). وقال أيضاً: واعلم أن المذهب لا يقلده الصحابة والتابعون إلا أبو حنيفة، فإن عيسى حين ينزل من السماء يحكم بمذهبه^(٣٨٢).

وبعد ذلك

(٣٧٨) المستدرک ج ٤ ص ٥١٠ ح ٨٤٣٢ و ٨٤٣٤ دلائل النبوة ص ٢٢٦.

(٣٧٩) راجع القول المختصر في علامات المهدي المنتظر من ص ٢٧ الى نهاية الكتاب.

(٣٨٠) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ط ١ ص ٣١٢.

(٣٨١) انظر مقدمة جامع الرموز للقاضي زاده شريف مخدوم ج ١ ص ٣.

(٣٨٢) جامع الرموز ج ١ ص ١١.

يستمر الأستاذ في بحثه حول موقف الشيعة من التفسير ص ١٢ إلى ص ٢٢ وهو يحاول أن يذكر الفرق المنسوبة إلى التشيع، كفرقة السبئية .

تلك الفرقة كونتها عوامل سياسية للحط من اتباع أهل البيت، كالسبائية والبيانبة والمغيرية وغيرها، ويذكر تأويلها للقرآن إلى أن يأتي إلى آخر الفصل فيقول: إذاً فالأجدر أن نمسك عن موقف هذه الفرق البائدة من تفسير القرآن ما دامت قد بادت، ولم يبق لها أثر، وما دما لم نقف على شيء في التفسير أكثر من هذه النبذ المتفرقة، التي وجدناها للبعض منهم وجمعناها من بطون الكتب المختلفة .

والذي يستحق عنايتنا وبحثنا بعد ذلك هو تلك الفرق الثلاث التي لا تزال موجودة وإلى اليوم محتفظة بتعاليمها وآرائها، وسنبداً أولاً بالإمامية الإثني عشرية، ثم بالإمامية الإسماعيلية ثم بالزيدية .

ونحن نقول:

إنّ الأستاذ قد استمر ببحثه الطويل وغرب وشرق وجاء بأشياء مخالفة للحقيقة، وهو يحاول أن يعطي عن الغلاة صورة ويجعلها في إطار التشيع . وإنّ قوله في الأخير: إنّ الذي يستحق عنايتنا هو تلك الفرق الثلاث التي لا تزال موجودة. ومنها الإمامية الإثنا عشرية .

فهل يا ترى أنّ المؤلف أعطى الإمامية الإثني عشرية ما يستحقه البحث الحر؟ وهل تجرّد الأستاذ من العاطفة وجعل بحثه للحق والتاريخ؟ وهل بحث عن كلّ فرقة من هذه الفرق الثلاث الإثني عشرية، والإسماعيلية والزيدية، كلاً على حدة ؟

وهل ترك آراء الغلاة جانباً وإنّها قد بادت مع فرقهم؟ هذه أسئلة يستطيع القارئ النبيه أن يحصل على الجواب عنها فيما جاء من بحثه بعد هذا الفصل بعنوان: موقف الإمامية الإثني عشرية من تفسير القرآن الكريم. وتحت هذا العنوان يتحدث من ص ٢٣ إلى ٤١ وهو بهذا البحث الطويل قد خرج عمّا رسمه لنفسه من البحث عن الإمامية الإثني عشرية فقد عاد إلى آراء تلك الفرق البائدة من الغلاة فنسب آراءهم للإثني عشرية كما في ص ٣٤ إذ يقول : واعجب من هذا أنهم جعلوا لفظ الجلالة والإله والربّ مراداً به الإمام، وكذا الضمائر الراجعة إليه سبحانه... إلخ .

والمؤلف - عافاه الله - يكتب ولا يدري ما يكتب، إنما هو كحاطب ليل إنه يريد أن يحمل الشيعة كل تبعه، ويريد أن يبرزهم بأقبح صورة، خضوعاً لنزعتهم أو طمعاً في الشهرة. أنا لا أريد أن أقف معه فالوقت أثمن، ولا أود أن أناقشه هنا، بل أترك تقدير هذا الخطب للقارئ النبيه، وكذلك أترك بيان خلطه بين الإسماعيلية والإثني عشرية في هذا الموضوع بالأخص .

ولنقف ملياً عند قوله في ص ٢٦: وأما السنة فهم - أي الشيعة - غير أمناء، ولا ملتزمين ما صح منها، وسنتعرض لها فيما بعد أيضاً.

* * *

هذا ما يقوله. ولا أدري، ولا المؤلف يدري لماذا أطلق هذا القول: أكان عن خبرة ودراية، وتتبع وتعمق في البحث؟ أم أنه قلّد غيره؟ أو هي فكرة يحاول أن يصل بها إلى هدف معين؟ إن المرء لتأخذ الحيرة في أمر من يطلق القول بدون حجة، وهو يدّعي أنه ممن له إمام ومعرفة!!

لنسأل الأستاذ: لماذا لم يكن الشيعة أمناء على السنة؟ ولماذا لم يلتزموا بما صح منها؟ ولعله أراد أن يكون جواباً عن ذلك ما ذكره في ص ٢٧ تحت عنوان: «موقفهم من الأحاديث النبوية» وهو قوله :

ولقد رأى الإمامية الإثنا عشرية أنفسهم أمام كثرة الأحاديث المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمام كثرة من الروايات المأثورة عن الصحابة رضوان الله عليهم (أجمعين) وفي تلك الآثار ما يخالف تعاليمهم مخالفة صريحة؛ لذا كان بديهيّاً أن يتخلص القوم من كل هذه الروايات، إما بطريق ردها وإما أن يكون قولاً لصحابي، وإما أن يكون قولاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق صحابي، وهم يجرحون معظم الصحابة؛ بل ويكفرونهم لمبايعتهم أبا بكر..

ثم يمضي أستاذ الحديث في بيانه ويتعرض لمسألة المتعة والمسح على الخفين ورد الشيعة له، لأنّ راويه المغيرة بن شعبة رأس المنافقين - على حدّ تعبيره - إلى أن يقول: وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحدّ - حدّ الثقة بأشياعهم والاتهام لمن عداهم - بل وجدنا رؤساء من الشيعة كجابر بن يزيد الجعفي وغيره، قد استغلوا أفكار الجمهور الساذجة، وقلوبهم الطيبة الطاهرة، وحبهم لآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فراحوا يضعون الأحاديث على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آل بيته ويضمنونها ما يرضي ميولهم المذهبية، وأغراضهم السيئة الدنية. ولم يفتهم أن يحكموا أسانيد هذه الأحاديث الموضوعة حتى اغترّب بها العامة لسلامة نواياهم، وسكت عنها الشيعة لأنّها وجدوها مؤيدة لدعواهم...

أقول

لقد طغى الحقد على قلب المؤلف حتى ملكه، فأصبح قلبه وراء لسانه لا لسانه وراء قلبه. ولهذا وجد الشذوذ مرتعاً خصباً في لسانه وقلمه، ولعله ما كان يؤمن بما يقول، ولكنه يقصد أن يقال إنه جاء بشيء جديد عن خصمه .

إنّ ما أورده في هذا الفصل - والذي قبله وما بعده - بعيد كلّ البعد عن روح الحقّ وأمانة التاريخ ومنهج العلم .

ولعله - كما قلت - أنّه لا يؤمن بصحة ذلك ولا يعتقده، ولكن هناك دواعي أدّت إلى ذكره، و أموراً استوجبت أن ينهج هذا النهج في دراسته التي كشف عن نفسه بأنّه لم يكن مؤرخاً يتحرّى الصدق، أو كاتباً يمسك قلمه عن الخطأ، بل هو متحامل حاقّد، وكاتب لا يتأمل فيما يكتب، وفي ذلك تساهل معه كبير وإلا فهو جاهل يقحم نفسه في مجال يعجز عن الخروج منه.

إنّهُ ملأ هذه الصحائف وسوّدها بمداد الافتراء، ونسب الشيعة إلى أمورهم أبعد ما يكونون عنها، كالقول بتحريف القرآن ونقصانه، مع أنّ إجماعهم خلاف ذلك.

والمؤلف يتّبع نهج المستشرقين في الاعتماد على الشاذ النادر أو المحرّف؛ فيكون اعتمادهم على ذلك من دون التفات إلى واقع الأمر.

ولا أريد أن أرجع إلى ما ذكره في أول هذا الفصل من مخالفات وبعد عن الواقع، وأكتفي هنا في التنبيه على النقاط التالية:

١ - يقول: لقد رأى الإمامية الإثنا عشرية أنفسهم أمام كثرة من الأحاديث المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمام كثرة من الروايات المأثورة عن الصحابة، وفي تلك الأحاديث ما يخالف تعاليمهم مخالفة صريحة.

هذا ما يقوله الأستاذ حول موقف الإمامية من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة .

ولعلّ القارئ يظنّ أنّ أستاذ علم الحديث الذهبي قد قال هذا عن خبرة ودراية، وتتبع في الدراسة حتى أصدر حكمه على الشيعة بأنّهم يرون تلك الأحاديث والآثار المخالفة لتعاليمهم مخالفة صريحة .

ولا أدري ماذا يقصد في ذلك؟ أكان يريد بأنّ الشيعة يردون أحاديث جميع الصحابة، أم يردون البعض دون البعض الآخر؟ فإن كان يريد الأول فهو أمر يكذبّه الوجدان .

وإن كان يريد الثاني وهو أنهم يأخذون عن بعض ويتركون آخرين فهذا شيء لا تنكره الشيعة، لأنهم لا يقولون بعدالة جميع الصحابة كما هو مقرر عندهم، وقد تعرضنا لذلك وقلنا: إن أصالة العدالة في حق الصحابة لا أصل لها، وإثبات ذلك يحتاج إلى مشقة، والنتيجة لا تثبت أي ثمرة هناك.

أما السنة فقد أثبتوا العدالة لكل صحابي - وإن ارتكب ما يخالفها - بحجة أنه مجتهد والاجتهاد في مقابلة النص لا يصح - واستدلوا بأدلة ذكرت في محلها، ومع ذلك فقد اختلفوا، فذهبت طائفة إلى عدالة الصحابة أجمع بدون استثناء، وآخرون ذهبوا إلى عدالة من لم يلبس الفتنة - أي من حين مقتل عثمان - وذهبت المعتزلة إلى فسق من قاتل علياً منهم، وحكى ابن الصلاح الإجماع على تعديل من لم يلبس الفتنة .

وحكى الأمدى وابن الحاجب قولاً: إنهم كغيرهم في لزوم البحث عن عدالتهم. إلى غير ذلك من الأقوال (٣٨٣) .

أما الشيعة - كما تقدم - فإنهم لا يذهبون لعدالة الجميع؛ فلا يروون إلا عن ثقة، ولهم شروط في قبول الرواية مقررة في محلها، إذ الحديث هو دستور المسلمين - بعد القرآن - وفيه منهاج حياتهم الدينية والاجتماعية؛ لذلك اجتهد المسلمون في دراسته من حيث السند والدلالة .

والشيعة يتشددون أكثر من غيرهم في قبول الرواية، وتمحيصها بكل دقة واعتدال؛ فلا يأخذون إلا عن الصادق الثقة، ولم يقفوا أمام كتب الحديث وقفة تهيب عن مناقشتها كما يقف إخوانهم السنة أمام صحيح البخاري ومن بعده صحيح مسلم وقفة تهيب، وينظرون إليها نظرة إكبار وتقديس، وأن جميع ما فيها صحيح. إلى آخر ما هنالك من اعتقاد راسخ في كتب الصحاح وبالأخص البخاري.

ولكن الشيعة يتوقفون عن قبول الرواية ما لم تكن صحيحة من حيث السند والدلالة، ولا يشترط أن تكون عن شيعي - كما يقال عنهم - أو إلا أن تكون في الكتب الأربعة من كتب الحديث، بل المدار عندهم هو الصدق والوثاقة والعدالة؛ وقد جعلوا الكذب على الله وعلى رسوله من مفطرات الصيام.

وإن اختصاصهم بالأخذ عن أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي جعلهم عرضة لهجمات المغرضين، ومؤاخذه من لا يعرف من الحق موضع قدمه.

* * *

٢ - يقول المؤلف: فمثلاً نجدهم يردون الأحاديث والآثار التي تثبت في تحريم نكاح المتعة ونسخ حله، كما نجدهم يردون أحاديث المسح على الخفين ويقولون إنها من رواية المغيرة بن شعبة رأس المنافقين... إلخ .

* * *

أورد الأستاذ هذه الأمثلة كدليل لما يقوله في ردّ الشيعة للأحاديث وأنهم غير أمناء عليها، ولعلّ المؤلف لم يجد غير ذلك، فإن كانت هذه مؤاخذته فما أقلّ تتبع أستاذ الحديث؟ لأنّ الشيعة لم ينفردوا برد ما ورد في تحريم المتعة، بل قد ردها جماعة من الصحابة والتابعين وثبتوا على تحليلها، منهم :

جابر بن عبدالله، وأسماء بنت أبي بكر، وابن مسعود، وابن عباس ومعاوية، وعمر بن حريث، وأبو سعيد وسلمة ابنا أمية بن خلف، ورواه جابر بن عبدالله عن جميع الصحابة مدة حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومدة أبي بكر إلى قرب آخر خلافة عمر بن الخطاب^(٣٨٤) .

وأما من التابعين فمنهم ابن جريح فقيه مكة ولهذا قال الأوزاعي: يترك من قول أهل الحجاز خمس: متعة النساء^(٣٨٥) ومنهم ابن جريح^(٣٨٦) وطاووس وعطاء وغيرهم. وروي عن عمر بن الخطاب أنّه إنّما أنكرها إذا لم يشهد عليها عدلان^(٣٨٧) . وقال ابن بطلال: روى أهل مكة واليمن عن ابن عباس إباحة المتعة، وروي عنه الرجوع بأسانيد ضعيفة، وإجازة المتعة عنه أصحّ وهو مذهب الشيعة^(٣٨٨) . وأخرج مسلم في صحيحه عن نظرة قال: كنت عند جابر بن عبدالله فأتاه آت فقال: إنّ ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين .

فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما. ونهي عمر بن الخطاب عن المتعتين مشهور وهو قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهى عنهما وأعاقب عليهما^(٣٨٩) .

(٣٨٤) انظر المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٥١٩ .

(٣٨٥) نيل الأوطار ج ٦ ص ١٣٥ .

(٣٨٦) نيل الأوطار ج ٦ ص ١٣٦ .

(٣٨٧) المحلى ج ٩ ص ٥٢٠ .

(٣٨٨) العدة لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ج ٤ ص ١٩٥ .

(٣٨٩) كنز العمال ج ١٦ ص ٥١٩، ح ٤٥٧١٥، المحلى ج ٧ ص ١٠٧، الشرح الكبير لابن قدامة ج ٧ ص ٥٣٧، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٦ .

وأخرج عبدالرزاق وابن المنذر من طريق عطاء عن ابن عباس قال: يرحم الله عمر ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمة محمد، ولولا نهيه عنهما ما احتاج إلى الزنا إلا شقي^(٣٩٠).

وقال علي(عليه السلام): لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي^(٣٩١).

وأسباب نهى عمر عن المتعة مشهورة كما رواها البيهقي في السنن وغيره من المحدثين والمفسرين فلا حاجة لنقل ذلك^(٣٩٢). كما لا حاجة إلى المضي في بسط القول حول هذا الموضوع إذ المسألة قد حرّرها العلماء، وبسطوا القول فيها، وكثر حولها النقاش والجدل ولا خلاف في مشروعيتها على عهد الرسول، وإثما الخلاف في نسخها فالشيعة يردون أخبار النسخ تمسكاً بالكتاب وسنة الرسول ووافقهم جماعة من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة^(٣٩٣).

* * *

وأما المسح على الخفين فقد تعرّضنا له في الجزء الخامس ط ٣١، ص ٢٠٠ - ٢٠٥ وملخص القول فيه:

إنّ هذه المسألة قد وقع فيها الخلاف بين المسلمين على أقوال:

١ - الجواز مطلقاً .

٢ - الجواز في السفر دون الحضر .

٣ - عدم الجواز بقول مطلق وهو ما تذهب إليه الشيعة، لا لأنّ الرواية عن المغيرة بن شعبة رأس المنافقين كما يقول الأستاذ وإن كان هذا هو وحده كافياً في الرد، ولكن منع ذلك لعدم ثبوته في الدين، وأنّ القرآن على خلافه هو معارض لآية الوضوء ولم تكن منسوخة ولا آية واحدة منها .

وقد أنكر جماعة من الصحابة المسح على الخفين وفي طليعتهم الإمام علي ابن أبي طالب(عليه السلام) وكان يقول: سبق الكتاب المسح على الخفين^(٣٩٤).

ولمّا سئلت عائشة عن المسح على الخفين، قالت: سلوا علياً فإنّه كان أكثر سفراً مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣٩٥).

(٣٩٠) الدر المنثور ج ٢ ص ٤١ .

(٣٩١) الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٤٣ .

(٣٩٢) بحثنا تشريع المتعة في الجزء الأوّل من الكتاب، وفي ص ٣٨٨.

(٣٩٣) راجع في ذلك الكتب التالية الزواج المؤقت للسيد الحكيم والسيد العاملي وغيرهما.

(٣٩٤) التهذيب ج ١ ص ٣٦١ ح ١٠٩١ .

(٣٩٥) نيل الأوطار ج ١ ص ٢٠١ ح ٢٣٣ .

وورد عن ابن عباس أنه كان ينهى عن المسح على الخفين وكان يقول: لأن أمسح على جلد حمار أحب إلي من أن أمسح على الخفين^(٣٩٦).

وورد النهي أيضاً عن أبي هريرة وعائشة وكانت تقول: لأن تقطع قدمي أحب إلي من أن أمسح على الخفين^(٣٩٧).

وفي لفظ لأن أقطع رجلي أحب إلي من أن أمسح عليهما^(٣٩٨).

وسئل ابن عباس هل مسح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الخفين؟ فقال والله ما مسح رسول الله على الخفين بعد نزول المائدة ولأن أمسح على ظهر عير في الفلاة أحب إلي من أن أمسح على الخفين^(٣٩٩).

وجاء في العتيبية عن مالك بن أنس ما يدل على المنع. وقال الشيخ أبو بكر في شرح المختصر الكبير: إنه روي عن مالك: لا يمسح المسافر ولا المقيم^(٤٠٠).

وقد سبق من الأستاذ في ص ٢٧ ج ٢ أنه نسب الشيعة إلى الشذوذ والتعصب في المسائل الفقهية إذ يقول :

وفي الفقه لهم مخالفات يشذون بها، فمثلاً نراهم يقولون: إن فرض الرجلين هو المسح دون الغسل؛ ولا يجوزون المسح على الخفين، وجوزوا نكاح المتعة، وجوزوا أن تورث الأنبياء... إلى أن يقول:

لهذا كان طبيعياً أن يقف الإمامية الإثنا عشرية من الآيات التي تتعلق بالفقه وأصوله موقفاً فيه تعصب وتعتف، حتى يستطيعوا أن يخضعوا هذه النصوص ويجعلوها أدلة لآرائهم ومذهبهم... إلى آخره.

وهكذا عبّر الأستاذ ونسب القول بمسح الرجلين، وعدم المسح على الخفين وجواز نكاح المتعة إلى الشذوذ، وكأن ذلك لم يكن له دليل من الكتاب ولا قائل به من الأصحاب، وقد أوضحنا في الجزء الخامس ط ٣،

ص ١٩٢ - ٢٠٠ بعض ما يتعلق بمسألة فرض الأرجل في الوضوء واختلاف العلماء فيه^(٤٠١).

(٣٩٦) بدائع الصنائع ج ١ ص ١٢٣ .

(٣٩٧) تفسير الرازي ج ١١ ص ١٢٩ .

(٣٩٨) نيل الأوطار ج ١ ص ١٧٧ ح ١٠٩١ وتفسير الرازي ج ٣ ص ٣٧٣ .

(٣٩٩) بدائع الصنائع ج ١ ص ٧ .

(٤٠٠) المنتقى لابن الباجي ج ١ ص ٣٦٠ .

(٤٠١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٥٨ - ٢٦٧ .

والذي يهمننا ذكره هنا هو قوله: لهذا كان طبيعياً أن يقف الإمامية الإثنا عشرية... إلخ. ولا أدري ما هذا التعسف والتعصب؟ وما معنى اخضاع النصوص لجعلها أدلة للمذهب؟ والشيخ مصرّ على مخالفة الواقع وتستبد به روح التحكم بالنصوص ويستهل طرح الأدلة وتحكيم الرأي وهي مذاهب يلجأ إليها غالباً عندما تأبى النصوص والأدلة التحريف لأنها ظاهرة شأنها شأن اللجوء الى التفسير بغير الواقع كما فسّر غيرهم المأقنين بالخفين، عند الاستدلال على جواز المسح عليهما، فيما أخرجه أبو داود: من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمسح المأقنين - وهما مؤخر العينين^(٤٠٢) - قالوا إنهما الخفان، وأين المأقنين من الخفين؟

وقد حكم بعضهم بأفضلية المسح على الخفين لا للدليل، وإنّما كان ذلك الحكم لأجل طعن الشيعة في أدلة المسح، وقال: وإحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه^(٤٠٣).

وقد طغت موجة التعصب على كثير من الفقهاء؛ فتركوا أشياء قد ورد الدليل من الشارع في استحبابها أو وجوبها، ولكنهم رجحوا الترك لأنّ العمل بها يدعو إلى التشبه بالشيعة، والتشبه بالشيعة ينبغي تجنبه، كما أفتى بذلك الحافظ العراقي^(٤٠٤).

وقد أشار ابن تيمية لذلك إذ يقول في منهاجه^(٤٠٥): - عند بيان التشبه بالشيعة - :
ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات، إذ صارت شعاراً لهم - أي للشيعة - فإنّه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم.
فلا يتميز السني من الرافضي، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم، أعظم من مصلحة المستحب.

* * *

وهنا يجب الالتفات إلى هذا الأمر، وما حدث من ورائه من ترك للأعمال المستحبة؛ ولعله أدّى إلى ترك بعض الواجبات استناداً إلى هذه الحجة، وهي مراعاة المصلحة، وبالطبع إنّها مهمّة، لأنّ من مصلحة الإنسان المحافظة على نفسه، وما يتصل بذلك من مقومات حياته، من استقرار ومال وتقرب للولاة الذين نظروا إلى الشيعة نظرة خصم يجب القضاء عليه.

(٤٠٢) انظر تيسير الوصول ج ٣ ص ٧٦ وانظر الحديث في سنن أبي داود ج ١ ص ٣٤ ط ١ .

(٤٠٣) نيل الأوطار ج ١ ص ١٧٦ .

(٤٠٤) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٣ .

(٤٠٥) منهاج السنة النبوية ج ٤ ص ١٥٤ .

نعم إنّ مصلحة التمييز عن الشيعة أهم من مصلحة المستحبات الشرعية عندهم، ولعلّه من هذا الباب يفتح ترك الأخبار الصحيحة الواردة عن صاحب الرسالة لأنّ في نقلها وإثباتها يثبت التشييع والمصلحة تدعو إلى التمييز عنهم فيلزم تركها، كحديث الغدير وحديث أنا مدينة العلم وعليّ بابها وغير ذلك من الأحاديث الصحاح، ومن المصلحة تأويل بعض الآيات ووضع الأحاديث بما يدعو إلى إظهار التجنب عن تهمة التشييع .

ومن المصلحة قالوا: بمنع المصلي عن اختصاص جبهته بما يسجد عليه من أرض وغيرها، لأنّ ذلك الاختصاص من شعار الشيعة^(٤٠٦) .

وطبعاً إنّ اتخاذ شعار الشيعة فيه خطر، فمن المصلحة تركه، لأنّ الشيعة قد التزموا بالسجود على الأرض أو ما أنبتته الأرض لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً^(٤٠٧) .

وكان أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يسجدون على الأرض فأثر ذلك في جباههم، وقد مدحهم الله تعالى بذلك إذ يقول: (سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ) وكان يقال لهم ذوو الثفّنات، وكان علي بن الحسين (عليه السلام) يعرف بذي الثفّنات لكثرة سجوده.

* * *

وقد أدّت الحالة لرعاية مصلحة التمييز بين السنة والشيعة - كما يقولون - بأن يترك السجود على الأرض وأصبح ذلك - على ممر الزمن - من المنكرات؛ لأنّ الشيعة يلتزمون بذلك، ويحملون معهم حجراً طاهراً - كما كان بعض العلماء من التابعين يحمل معه في السفر لبنة يسجد عليها - إذ ربّما لا يتسنى لهم الحصول على أرض طاهرة في السفر وغيره فالتزموا بذلك.

وحيث كان الشيعة يفضلون السجود على تربة أرض كربلاء المقدسة وهي التربة الحسينية حملهم بعض من يحمل اسوأ البغض للشيعة على أنّهم يسجدون للصنم - معبرين عن تلك التربة الطاهرة التي يسجدون عليها لله جلّ وعلا بأنّها صنم، متناسين أن الشيعة في سعة، فإذا لم توجد التربة التي يطمئن لطهارتها والتي اختارها المسلم الشيعي موضعاً لجبهته، يسجد الشيعة على الأرض أو ما أنبتت.

وقد عبر بعض من أكل الحقد قلبه عنها بلفظ: إنها وثن إذ يقول: لا تجد شيعياً يصلي في بقعة من بقاع الأرض حتى المسجد الحرام بمكة، ومسجد الرسول إلا ويضع وثناً من شققة

(٤٠٦) انظر غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى ج ١ ص ١٣٥ في الفقه الحنبلي.

(٤٠٧) سنن الدراقطني ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٦ ح ١ .

طين كربلاء تحت جبهته تقديساً لها، واعتقاداً أنها أفضل بقاع الأرض لأنّ دم الحسين اختلط بها... إلخ^(٤٠٨)

وغير ذلك من الألفاظ التي لا ترتبط مع الواقع بصلّة، ولم يكن مبعثها إلاّ الجهل وسوء الظن بهذه الطائفة، وكيف يحسنون بها الظن ويقول بعضهم: إنّ لا يحلّ والله حسن الظن بمن يترفض^(٤٠٩). والرفض والتشيع عندهم شيء واحد؟ وعلى كلّ حال فإنّ الشيعة قالوا باستحباب السجود على تربة أرض كربلاء اقتداء بأنّمتهم(عليهم السلام) ولا يضرّهم ما يرميهم به الجاهلون .

٣ - يقول الأستاذ

وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحد - حد الثقة بأشياعهم والاتهام لمن عداهم - بل وجدنا رؤساء من الشيعة كجابر بن يزيد الجعفي وغيره قد استغلّوا أفكار الجمهور الساذجة، وقلوبهم الطيبة الطاهرة، وحبّهم لآل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فراحوا يضعون الأحاديث على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آل بيته... إلخ .

أقول :

بعد أن تكلم الأستاذ حول الحديث والفقه بما يخص الشيعة في قضية ردّهم لروايات بعض الصحابة، وضربه المثل في مسألة المتعة والمسح على الخفين وقد رأينا مدى اطلاعه واتساع معلوماته .

راح يتكلم عمّا وجده عند الشيعة من وضع الحديث ويقول: وجدنا رؤساء من الشيعة كجابر بن يزيد الجعفي وغيره... إلخ .

ولم يذكر هنا إلاّ جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة (١٢٧ هـ) وهو أحد حفاظ الحديث، وقد روى عنه شعبة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وزهير بن معاوية، وإسرائيل، وشريك، والحسن بن حي، ومعمر، وأبو عوانة وغيرهم^(٤١٠) .

(٤٠٨) انظر خاتمة كتاب السنة والشيعة تأليف السيد رشيد رضا بقلم أحمد حامد الفقي وهذا الرجل قد تحامل تحاملاً أخرجته عن اتزانه ولم يحسب للمواخذة أي حساب ونحن نعرض عما كتبه في الخاتمة تهاوناً بشأنه وترفعاً عن نقده .

(٤٠٩) طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٧٣ .

(٤١٠) تهذيب الكمال ج ٤ ص ٤٦٦ / ٨٧٩ .

وقد خرّج حديثه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجّة .
وقال عبدالرحمن بن المهدي: سمعت سفيان الثوري يقول: كان جابر ورعاً في الحديث ما رأيت أروع في الحديث من جابر .
وقال إسماعيل بن علية: سمعت شعبة يقول: جابر الجعفي صدوق في الحديث^(٤١١) .
وقال وكيع: مهما شككتكم في شيء فلا تشكوا في أن جابراً ثقة^(٤١٢) .
وقال ابن أبي الحكم سمعت الشافعي يقول: قال سفيان الثوري لشعبة: لئن تكلمت في جابر لأتكلّم فيك، وكان جابر يحفظ مائة ألف حديث^(٤١٣) .
وقال يحيى بن أبي كثير: كنا عند زهير بن معاوية فذكروا جابراً الجعفي فقال زهير: كان جابر إذا قال: سمعت أو سألت، فهو من أصدق الناس^(٤١٤) .
وبهذا وصف العلماء جابراً الجعفي وهكذا قال عنه معاصروه وتلامذته، ولم يقل أحد إنه كان يضع الحديث .
وسئل أحمد بن حنبل عن جابر الجعفي، فقال: تركه عبدالرحمن. وقصارى ما ورد في حقّه من خصومه بأنه ضعيف أو لين الحديث، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه على الاعتبار .
وليس لمن رماه بالكذب حجة يدعم بها ما يدعيه إلا أنّه يقول بالرجعة أو أنّه شيعيٌّ؛ لأنّه يعلن بالرواية عن أهل البيت ويقول - عندما يحدث عن الإمام الباقر (عليه السلام) : حدثني وصيّ الأوصياء .
وهذا أمر يعظم تحمله في عصر هبّت فيه زوبعة الخلافات، واشتدّ غضب السلطة على أتباع أهل البيت وأنصارهم، وكان جابر في طليعتهم، وبطبيعة الحال أن يبتعد الناس عمّن يتهم في معارضة الدولة، ويُرْمى بكلّ كراهية تقع موقع الرضا من ولادة الأمر، ولهذا كانت كلمات من اتهم جابراً بالكذب مشوشة، وأدلتهم واهية .
أما الأستاذ الذهبي - على ما يظهر - فإنّه استند في هذا القول إلى حجة هو معجب بها، وجعلها دليلاً قاطعاً على ما يقوله في نسبة وضع الحديث إلى الشيعة، وذلك ما عقب كلامه وختم هذا الفصل بذكره وهو ما نقلناه آنفاً ونحبّ أن نكرره هنا. إذ يقول الأستاذ :
ويعجبني هنا ما ذكره أبو المظفر الإسفرائيني في كتابه التبصير في الدين هو: أنّ الروافض لما رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف، ويصنّف لكلّ فريق قالت له الروافض:

(٤١١) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم القسم الأوّل من المجلد الأوّل ص ٤٩٧، وتذهيب الكمال للخزرجي ص ٥١.

(٤١٢) تذهيب التهذيب ج ٢ ص ٤٨ .

(٤١٣) نفس المصدر .

(٤١٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٢ ص ٤٩٧ / ٢٠٤٣ .

صنف لنا كتاباً. فقال لهم الجاحظ: لست أدري لكم شبهة حتى أرتبها وأتصرف فيها. فقالوا له: إذا دلنا على شيء نتمسك به، فقال: لا أرى لكم وجهاً إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئاً تزعمونه تقولون إنه قول جعفر بن محمد الصادق، لا أعرف لكم سبباً تستندون إليه غير هذا الكلام... فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوءة التي دلهم عليها، فكلما أرادوا أن يخلقوا بدعة، أو ي اخترعوا كذبة. نسبوها إلى ذلك السيد الصادق، وهو عنها منزّه، ومن مقالتهم في الدارين بريء.

* * *

هذا ما ذكره الأستاذ وأعجب به ونحن لا نعجب من مؤثرات العاطفة وبواعث الحقد. لقد أعجب الأستاذ بهذه الدعابة وهي من سخرية الجاحظ - إن صح ذلك - التي يضلّ بها البسطاء، وتشكيك الضعفاء، يضعها في كتبه للمضاحيك والعبث، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ^(٤١٥).

ومن العجيب أن تكون هذه الدعابات دليلاً في الأبحاث العلمية، وحجة يستدل بها على المقصود، وأعجب من ذلك أن مثل هذا يصدر ممن يفترض فيه أن يكون أستاذاً متحرراً ومتفقهاً متنوراً، وهو الأستاذ الذهبي المدرس بالأزهر، والأزهر هو الجامعة الإسلامية الكبرى؛ التي أسست على التقوى، وخدمت العلماء ونشرت الثقافة، وقامت بالإصلاح. إننا لنفخر بها ونعتز وهي مسؤولة عن تصفية الخلافات بين المسلمين، وإيضاح الحق دون تعصب وتحيز، ليتقارب المسلمون، وتتوحد كلمتهم ليكونوا قوة متماسكة، تتسلح بالإيمان بالله، وتهتدي بهدى الرسول، لرد هجمات المعتدين، وصد تيارات الملحدين، في هذا العصر الذي انتشرت فيه الدعوة لغير الله تعالى وتتضاعف فيه الحملات المعادية للإسلام.

* * *

من المؤسف حقاً أن الأستاذ المدرس في الأزهر الشريف يحاول بهذه الدعابة المضحكة أن يبرز لقرائه أو يغذي عقول تلامذته بأن جميع ما عند الشيعة من أخبار وتراث علمي إنما هو موضوع حسب ما أقرّه الإسفرائيني بأسطوره، وذكره في خرافاته، وأعجب به الأستاذ في دراسته.

غريب وأيم الحق! فهل كانت الشيعة أمة يسودها الجهل أو يضيء عليها النسيان ذيله، وليس لهم في الحركة الفكرية الإسلامية أي أثر؟

أتجاهل الأستاذ أم جهل مدرسة الشيعة التي غدت الفكر الإسلامي بعلمها، وخدمت الأمة بآثارها؟

أليس من رجال الشيعة من كانوا حملة حديث، وأئمة فقه، وإليه تشدّ الرحال من البلدان الإسلامية لأخذ العلوم منهم، والرواية عنهم، في عصر الجاحظ وقبله وبعده؟
وكان منهم عدد غير قليل من كبار شيوخ البخاري صاحب الصحيح والمعبر عنه بأمر المؤمنين في الحديث، فقد أخذ عن الشيعة، وحضر عند جماعة منهم، وروى في صحيحه عنهم أمثال :

- خالد بن مخلد القطواني المتوفى سنة (٢١٣ هـ).
- إسماعيل بن أبان الوراق المتوفى سنة (٢١٦ هـ).
- جرير بن عبد الحميد بن قرط المتوفى سنة (١٨٨ هـ).
- عبدالله بن موسى المتوفى سنة (٢١٣ هـ).
- مالك بن إسماعيل النهدي المتوفى سنة (٢١٧ هـ).
- سعيد بن كثير بن عفير المتوفى سنة (٢٢٦ هـ).
- سعيد بن محمد بن سعد الجرمي المتوفى سنة (٢٣٣ هـ).
- الفضل بن دكين المتوفى سنة (٢١٨ هـ).
- وغير هؤلاء كما ستقف على تراجمهم في هذا الجزء إن شاء الله .

* * *

- وكذلك الإمام أحمد بن حنبل حضر عند جماعة منهم وأخذ العلم عنهم، منهم :
- سعيد بن خيثم بن رشد بن هلال أبو معمر الكوفي المتوفى سنة (١٨٠ هـ).
 - عبدالله بن داود أبو عبد الرحمن الهمداني المتوفى سنة (٢١٢ هـ).
 - عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة (٢١١ هـ).
 - محمد بن فضيل بن غزوان المتوفى سنة (١٩٥ هـ).
 - عائذ بن حبيب الملاح الكوفي المتوفى سنة (١٩٠ هـ).
 - علي بن غراب أبو الحسن الفزاري الكوفي المتوفى سنة (١٨٤ هـ).
 - تليد بن سليمان المحاربي أبو سليمان الكوفي المتوفى سنة (٢٠٥ هـ).
 - علي بن هشام بن البريد العبادي أبو الحسن الكوفي المتوفى سنة (١٨٠ هـ).
 - علي بن الجعد أبو الحسن الهاشمي المتوفى سنة (٢٣٠ هـ).
 - الفضل بن دكين المعروف بأبي نعيم المتوفى سنة (٢١٩ هـ).
 - هشيم بن بشير الواسطي المتوفى سنة (١٨٣ هـ).

وغير هؤلاء من رجال الشيعة الذين كانوا قبل أن يولد الجاحظ، وبعضهم كان معاصراً له فهل يصح يا أستاذ الحديث أن يكون مثل هؤلاء الذين هم أئمة الفقه وعلم الحديث، أن يقال ليس لديهم شيء فالتجأوا إلى الجاحظ ليضع لهم شيئاً فلم يجد إلا أنه دلهم على الكذب!!؟ ثم نعود ونقول: إنّ الإمام الشافعي قد أخذ العلم عن الشيعة وكان في طليعة شيوخه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي المدني المتوفى سنة (١٨٤هـ) وهو من تلامذة الإمام الباقر (عليه السلام) وولده الإمام الصادق (عليه السلام)، وله كتاب محبوب في الحلال والحرام في فقه الشيعة، وقد أكثر الشافعي من النقل عنه وروى عنه أيضاً بن جريح، والحسن بن عرفة وهو من شيوخهما، وستقف قريباً إن شاء الله على ترجمته وتراجم غيره من رجال الشيعة الذين روى عنهم أصحاب الصحاح والسنن.

وبعد هذا نقول:

إنّ الأستاذ حكّم هواه فوجد رؤساء من الشيعة يضعون الحديث نصرة للمذهب، ولم يذكر منهم إلا جابر الجعفي المحدث الكبير، ولم يأت بدليل على ما يقول، ولم يسند ذلك لمصدر . ولو سلمنا جدلاً أنّ هناك من يضع الحديث من الشيعة لنصرة المذهب فنحن نستحلفه بما يدين هل سلمت بقية الفرق والمذاهب من ذلك عندما هبّت عواصف الآراء في المجتمع وتحكمت الأهواء، واشتدت الخلافات ولعبت الضغائن لعبتها، وتدخلت الفتنة المحمومة تدخلها؟

لا أظنّ أنّ أحداً له أدنى معرفة أو إمام ينكر ما بلغت إليه الحالة من الافتراء والتزوير والكذب على الله وعلى رسوله، تقوية للمبدأ وانتصاراً للمذهب، يوم تحكمت الخلافات واشتدّ الصراع العقائدي .

يقول الأستاذ عبداللطيف دراز - مدير الأزهر والمعالم الدينية - : وقد غديت هذه الخلافات وهذه السياسات بكثير من الروايات الملفقة والأحاديث الموضوعة، والأخبار المفتراة، وامتألت كتب التفسير والمغازي والمناقب بما لا يحصى من الأكاذيب، وأصبح بجوار كلّ آية في كتاب الله تعالى رواية من الروايات تحمل عليها، وفسر القرآن بما يوافق أصحاب الآراء وقبل من الأحاديث ما يؤيدهم، وطعن فيما يخالفهم، واشتبّه الأمر فيما يقبل وفيما

يرضى، وفيما يصح ليس على الوسط من الناس فحسب ولكن على بعض ذوي العقول الراجحة والذكاء الألمعي أيضاً، ولم يسلم من ذلك إلا من عصم الله وقليل ما هم .
وقد شهدت الأمة الإسلامية مع هذا نوعاً آخر من أنواع الخلاف والتفرق هو خلاف الأتباع والمتعصبين للأئمة الذين ظنّوا التزام مذهب من المذاهب بعينه ديناً لا يجوز للمسلم أن يخالفه، وأدرجوا ذلك في حكم العقائد، ورتّبوا عليه مسائل فقهية حكم من قلّد غير الأربعة، ومن قلّد غير إمامه من الأربعة، ومن لقّق في العبادة أو المعاملة بين مذاهب عدّة، ومن أفتى بغير الراجح أو المعول عليه أو المفتى به، أو بتعبير أدق: بغير ما وصف في الكتب بأنّه كذلك إلى غير هذا من المسائل التي ما أثارها إلا العصبية المذهبية والتي قامت بنصيبها في تفريق الأمة الإسلامية... إلخ^(٤١٦) .

* * *

فكم حدثنا التاريخ عن أناس تعمّدوا الكذب على الله وعلى رسوله انتصاراً لمذاهبهم وطعناً على مخالفيهم؟
فهذا محمّد الثلجي شيخ الحنفية المتوفى سنة (٢٦٦ هـ) قالوا عنه: بأنّه كان يضع أخبار التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث، ذكر ذلك ابن العماد نقلاً عن ابن عدي^(٤١٧) .
ونعيم بن حماد المتوفى سنة (٢١٨ هـ) كان يضع الحديث في تقوية السنة، ويذكر حكايات مزورة في ثلب أبي حنيفة^(٤١٨) .
وأبو العشائر البلوي المتوفى سنة ٦١٠ هـ كان غالباً في التسنن شديد التعصّب، متحاملاً على آل البيت وشيعتهم، وكان يقول أشياء منكّرة لا نحبّ ذكرها^(٤١٩) .
وأحمد بن عبدالله الأنصاري: كان من الوضّاعين لنصرة السنة وكان يفسّر قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُ وَجُوهُ - يَعْنِي أَهْلُ السَّنَةِ - وَتَسْوَدُ وَجُوهُ) - يعني أهل البدعة^(٤٢٠) .

وأبو بشر أحمد بن محمّد الكندي المتوفى سنة (٣٢٤ هـ) كان إماماً في السنة والرد على المبتدعة، وكان وضّاعاً للحديث كذاباً^(٤٢١) .

(٤١٦) رسالة الإسلام العدد الثالث السنة الأولى ١٣٦٨ هـ .

(٤١٧) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٥١ .

(٤١٨) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٧ .

(٤١٩) شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٣ .

(٤٢٠) لسان الميزان ج ٤ ص ١٩٣ .

(٤٢١) مرآة الجنان للياضي ج ٢ ص ٢٨٧ .

وعبدالعزیز بن الحارث التمیمی المتوفی سنة (۳۷۱ هـ) من رؤساء الحنابلة، وضع في مسند أحمد بن حنبل حدیثین منکرین (۴۲۲) .

وأبو عبدالرحمن السلمي محمد بن الحسين النيسابوري المتوفی سنة (۴۱۲ هـ). كان مصنفًا ومحدثًا، صنف في التفسير والتاریخ وغيره، وكان يضع الحديث للصوفية (۴۲۳) .

وأحمد بن محمد بن حرب كان وضاعًا للحديث وقد وضع لنصرة الحنابلة حديثًا عن أبي هريرة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من قال القرآن مخلوق فهو كافر (۴۲۴) .

وإسماعيل بن عبدالله بن أويس الأصبحي المتوفی سنة (۲۲۷ هـ) ابن أخت مالك بن أنس ونسيبه، كان يضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا فيما بينهم (۴۲۵) .

وأحمد بن محمد بن عمر بن مصعب بن بشر بن فضالة المروزي المتوفی سنة (۳۲۳ هـ) هو أحد الوضاعين والكذابين، مع كونه كان محدثًا إمامًا في السنة والرد على المبتدعة (۴۲۶) .

وقال الدارقطني: كان حافظًا عذب اللسان والرد على المبتدعة، لكنه يضع الحديث (۴۲۷) . وقال ابن حبان: كان ممن يضع المتون ويقلب الأسانيد. لعله قد قلب على الثقات أكثر من عشرة آلاف حديث وفي الآخر أدعى شيوخاً لم يرهم، فصرت أنكر عليه، فكتب يعتذر إليّ، على أنه من أصلب أهل زمانه في السنة، وأبصرهم بها، وأذبههم لحريمها، وأقمعهم لمن خالفها (۴۲۸) .

وأحمد بن الصلت بن المغلس أبو العباس الحمانی المتوفی سنة (۲۸۰ هـ). كان يضع الأحاديث في مناقب أبي حنيفة، ومنها ما يضعه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنها ما يضعه عن العلماء في فضل أبي حنيفة، كما حدث عن سفيان بن عيينة أنه قال: العلماء ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، وأبو حنيفة في زمانه، والثوري في زمانه.

وإنما وضع ابن المغلس هذا القول عن لسان ابن عيينة لأن ابن عيينة كان سىء الرأي في أبي حنيفة ويعلم بزمه وسوء القول فيه (۴۲۹) .

(۴۲۲) الخطيب في تاريخه ج ۱۰ ص ۴۶۰، الرقم ۵۶۳۲ .

(۴۲۳) شذرات الذهب ج ۳ ص ۱۹۶ .

(۴۲۴) لسان الميزان ج ۱ ص ۲۱۸ .

(۴۲۵) تهذيب التهذيب ج ۱ ص ۳۱۱ .

(۴۲۶) الشذرات ج ۲ ص ۲۹۸ .

(۴۲۷) تذكرة الحفاظ ج ۳ ص ۲۴ .

(۴۲۸) تذكرة الحفاظ ج ۳ ص ۱۴ وميزان الاعتدال ج ۱ ص ۷۰ .

(۴۲۹) تاريخ بغداد ج ۴ ص ۲۰۸ .

وقد توسعت دائرة الوضع في المناقب لأصحاب المذاهب إلى حدّ بعيد خرجوا فيه عن حدود المعقول، وقد سبقت الإشارة لذلك.

وكان من أعظم الجراءة على الله ورسوله هو وضع الأحاديث في نصرة المذهب أو تأييد القول الذي يخالف الآخرين حباً للغلبة حتى لو كان الخلف بين أهل المذهب الواحد .
فهذا أصبغ بن خليل القرطبي المتوفى سنة (٢٧٢ هـ) كان حافظاً للرأي على مذهب مالك، ودارت عليه الفتيا.

قال الذهبي: ولم يكن له علم بالحديث ولا معرفة بطرقه وكان يعاديه ويعادي أصحابه وبلغ من عصبيته لرواية ابن القاسم في عدم ترك رفع اليدين في الصلاة؛ أن افتعل حديثاً في ترك رفع اليدين.

والغريب أن بعضهم اعتذر عن هذا الافتعال والكذب على الله وعلى رسوله بأنه لم يقصد الكذب، وإنما قصد تأييد مذهبه^(٤٣٠).

قال القاضي عياض: وهذا كلام لا معنى له، وكل من كذب على النبي فإيما كذب لتأييد غرضه^(٤٣١).

من الخير أن نشير إلى الرواية التي وضعها أصبغ عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في ترك رفع اليدين.

وهي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: صليت خلف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وخلف أبي بكر وعمر إثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر، وخلف عثمان إثنتي عشرة سنة، وخلف علي بالكوفة خمس سنين، فلم يرفع أحد منهم يديه إلا في تكبيرة الافتتاح .

* * *

هذه هي الرواية التي وضعها أصبغ لتأييد مذهبه، ونودّ أن نوضح بعض ما فيها من مخالفات للواقع بالإعراض عن مناقشة السند فإنّ فيه رجالاً لم يسمع بعضهم من بعض، ولكننا نشير لمخالفات المتن وهي:

إنّ عبدالله بن مسعود توفي سنة (٣٢ هـ) وكانت وفاة عثمان سنة (٣٥ هـ) أي أنه مات قبل وفاة عثمان بثلاث سنين. وأيضاً هو لم يدرك زمن علي(عليه السلام) بالكوفة، لأنّ وفاته كانت سابقة عليه.

قال الذهبي: وابن مسعود ما صلى خلف عمر وعثمان إلا قليلاً لإثته كان في غالب دولتهما في الكوفة فهذا - الحديث - من وضع أصبغ^(٤٣٢).

(٤٣٠) لسان الميزان ج ١ ص ٧٠٨ / ١٤٣٢.

(٤٣١) انظر لسان الميزان ١ ٤٥٨ .

* * *

ولعلنا فيما أوردناه على سبيل المثال قد أوضحنا جانباً مهماً نستطيع أن نعرف مدى التعصب الذي ابتليت الأمة بسببه، وما خلفته آثاره السيئة من خلاف وتشويه للحقائق. إن افتعال عشرة آلاف حديث أو تغيير متونها وتقليب أسانيدنا نصرته للمبدأ، وتعصباً على من خالفه لهو أمر عظيم وحدث جسيم في إثارة الضغائن وإيقاد نار الفتنة بين الطوائف، كما فعله المروزي الآن في الذكر.

وأعظم من هذا أنه يرى ذلك نصرة للسنة، ومحاربة للبدعة، وكم مثله من أناس وضعوا الأحاديث لغرض في نفوسهم؟

نقل الحاكم عن الحافظ سهل بن السري: أن أحمد الجويباري ومحمد بن عكاشة بن تميم، وضعوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرة آلاف حديث (٤٣٣).

وكثير أمثال هؤلاء الذين أجتروا على وضع الأحاديث، نصرة لمبادئهم، وكانوا يرون هذا حسناً يتقربون به إلى الله، - كما يقول ابن كادش - عندما وضع حديثاً في فضل أبي بكر، مقابلة لحديث ورد في فضائل علي (عليه السلام) : أليس فعلت جيداً؟ (٤٣٤)

ولا نريد أن نمضي في البيان عما وجدنا من الوضاعين للحديث تعصباً، وعسى أن يقتنع الأستاذ بهذا النزر فيعترف بخطئه عما نسبته للشيعة وحدهم من الوضع - أو وجدهم كذلك على حدّ تعبيره - وهذه النسبة مجرد ادعاء فارغ من دون تثبت وروية بل هو مقلد لغيره في الافتراء والكذب على الشيعة، وعساه يرجع إلى ما يفرضه عليه العلم من التتبع خدمة للعلم؛ وهناك يتضح له خطأ ما ذهب إليه وكذب ما ادّعا.

وإذا أردنا أن نولي وجه البحث شطر المتعصبين للمذاهب الأربعة بصورة خاصة فإننا نجد هناك ما يبعث على الاستغراب - بل الألم الذي يحزّ في النفوس - مما أدّت إليه سوء الحال خضوعاً للعصبية وانقياداً للعاطفة العمياء حتى تمسكوا بأقوال أنتمهم تمسكاً جعلهم يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله (٤٣٥).

وأصبحوا إذا قيل لهم: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقولون قال: «فلان» (٤٣٦) أي رئيس المذهب وكانوا يأنفون أن تنسب إلى أحد من العلماء فضيلة دون إمامهم (٤٣٧).

(٤٣٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٢٥ .

(٤٣٣) الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٤٨ تحذير الخواص ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٤٣٤) سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٥٥٩، الغدير للأميني ج ٥ ص ٢١٤ .

(٤٣٥) انظر همم ذوي الأبصار ص ٥١ .

(٤٣٦) توالي التأسيس لابن حجر ص ٧٦ .

(٤٣٧) الاعتصام للشاطبي ج ٣ ص ٢٥٩ .

ويقول السيد محمد صديق حسن - حول التمسك بآراء المتأخرين من الفقهاء - :
وقد ابتلي بهذه البلية من متأخري المقلدة للمذاهب الأربعة المشهورة فأبرزوا من
التفريعات والتخريجات مالا تظله السماء، ولا تقفه الأرض، ومنذ حدثت هذه البدع رفعت
من السنة غالبها، حتى أنّ الجاهل من هؤلاء يزعم أنّ كلّ مسألة في كلّ كتاب فقهي من
المذهب الحنفي مثلاً والشافعي مثلاً هي في أم الكتاب. ويتخرج عن العمل بما ثبت من
القرآن والحديث صراحة ونصاً، وظاهراً، ولا يتخرج عن العمل بما قاله إمامه.
ومنهم من يؤول الحديث إلى مؤدى المذهب، ولا يصرف المذهب إلى مدلول الحديث^(٤٣٨).

ويقول أيضاً: واتخذوا مقالات الأئمة الكرام ديانة لهم، ومنهاجاً ينجون إليه، وشرعة
يسلكونها؛ إذا وقفوا على آية محكمة أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة تخالف مذهبهم صاروا
يؤولونها على غير تأويلها، ويصرفونها عن ظاهرها إلى ما تقرر عندهم من المذاهب
والمشارب، وطفقوا يطعنون على من عمل بفحواها الظاهر، ومبناها الباهر. مع أنّ كتاب الله
سابق على وجود إمامهم ومقالاته، وسنة رسوله سابقة على هذه المجتهديات^(٤٣٩).

ملاحظة

إنّ أهمّ ما نلاحظه في منهج الأستاذ المؤلف تنكره لفضائل أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنه يرى
أنّ كلّ آية جاءت في حقهم هي موضوعة، وهو بذلك يتأسى برجال قبله أساؤوا الى أنفسهم
وفسدت دنياهم وضاعت جهودهم وانعكست عليهم كأنما كانوا يسعون الى أحياء ذكر أهل
البيت وإفشاء محبتهم بين الناس كلّما ازدادوا نصباً لهم وافتراءً عليهم.
وعند كلامه حول تفسير الطبرسي يقول في ص ١٣٧ ج ٢ :

هذا ولا يفوتنا أن نقول إن الطبرسي (رحمه الله) لم يكن صادقاً في وصفه لكتابه هذا بأنّه
محجة للمحدث، ذلك لأننا نتبعناه فوجدناه غير موفق فيما يروي من الأحاديث في تفسيره، فقد
أكثر من ذكر الموضوعات خصوصاً ما وضعه الشيعة ونسبوه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
أو إلى أهل البيت، مما يشهد لمعتقداتهم ويدل على تشييعهم.

إلى أن يقول: فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)، نجد أنّه يذكر من
الروايات ما هو موضوع على أهل السنة الشيعة، ثم يمرّ عليها بدون تعقيب منه، ممّا يدل
على أنّه يصدقها ويقول بها، فهو بعد أن ذكر أقوالاً أربعة في معنى هذه الآية، نقل عن ابن

(٤٣٨) انظر الدين الخالص ج ٣ ص ٢٤٥.

(٤٣٩) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٣.

عباس أنه قال: لما نزلت الآية قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي؛ يا علي، بك يهتدي المهتدون .

ونقل بسنده إلى أبي بردة الأسلمي أنه قال: دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالطهور وعنده علي فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي بعدما تطهر فألزمها ب صدره ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ.

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) نجده يذكر أقوالاً ثلاثة... إلى أن يقول: وهنا يسوق (أي الطبرسي) الروايات عن أهل البيت وغيرهم ما يصرح بأن الذين أمر الله بمودتهم علي وفاطمة وولداهما... إلخ .

وفي حديثه عن تفسير فتح القدير للشوكاني يؤاخذ في نقله روايات تدل على فضل أهل البيت (عليهم السلام) وأنها موضوعة فيقول :

غير أنني أخذ عليه - كرجل من أهل الحديث - أنه يذكر كثيراً من الروايات الموضوعة أو الضعيفة، ويمرّ عليها بدون أن ينبّه عليها.

فمثلاً نجده عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٥) من سورة المائدة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ... الآية) وقوله في الآية (٦٧) منها: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... الآية) يذكر من الروايات ما هو موضوع على السنن الشيعة، ولا ينبّه على أنها موضوعة... إلخ.

ونحن نقول:

إنّ ما ذكره الأستاذ في هذا المورد من المؤاخذات هو غير صحيح، لأنّ هذه الروايات لم تكن واردة في تفسير الشيعة فقط أو من تخريجهم فحسب، حتى توصف بأنها موضوعة كما يدّعي المؤلف مغالطة منه ونصباً.

فقد وردت في تفاسير إخواننا أهل السنة وخرجها العلماء الذين هم أعلم بصحة الروايات من الأستاذ وأعرف بالرجال منه؛ وتوضيحاً للقارئ نقطف فيما يلي ما رواه بعض المفسرين من غير الشيعة في هذا الموضوع .

أخرج ابن جرير^(٤٤٠) وابن مردويه^(٤٤١) وأبو نعيم في المعرفة^(٤٤٢) والديلمي^(٤٤٣) وابن عساکر^(٤٤٤) وابن النجار^(٤٤٥) قال: لما نزلت: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)، وضع رسول الله (صلى

(٤٤٠) تفسير الطبري ج ٨ ص ١٤٢ ح ١٥٣١٣ .

(٤٤١) الدر المنثور ج ٤ ص ٦٠٨ .

(٤٤٢) معرفة الصحابة ج ١ ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ح ٣٤٣ .

(٤٤٣) الدر المنثور: ج ٤، ص ٦٠٨ .

(٤٤٤) تاريخ دمشق ج ٤٢ ص ٣٥٩ .

الله عليه وآله وسلم) يده على صدره فقال: أنا المنذر وأوماً بيده إلى منكب علي(رضي الله عنه)، فقال: أنت الهادي، يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي.

وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي(رضي الله عنه) سمعت رسول الله يقول: إنما أنت منذر ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على صدر علي ويقول: لكل قوم هاد. وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنا المنذر، والهادي علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)^(٤٤٦). وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) في قوله: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ). قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) المنذر، والهادي رجل من بني هاشم يعني نفسه^(٤٤٧).

وروى ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم بسند عن علي ولكل قوم هاد» قال(عليه السلام) الهادي رجل من بني هاشم، قال الجنيد: هو علي بن أبي طالب؛ قال ابن أبي حاتم: وروى عن ابن عباس في إحدى الروايات عنه وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك^(٤٤٨) أي أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هو المنذر وعلي الهادي.

وقال الفخر الرازي - فيما نقله عن المفسرين - : القول الثالث المنذر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والهادي علي؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: وضع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يده على صدره فقال: أنا المنذر، ثم أوماً إلى منكب علي (رضي الله عنه) وقال «أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون»^(٤٤٩).

* * *

ولا نطيل بذكر الشواهد على عدم صحة ما يقوله المؤلف فنخرج عن الغرض ونكتفي بهذا النذر القليل حول ما ورد في هذه الآية وقد ذكرها أكثر المفسرين، وأوردوا الروايات مما يدل على شهرة ذلك. أما ما يتعلق بالآية الثانية.

آية المودة في القربى

(٤٤٥) الدر المنثور ج ٤ ص ٦٠٨.

(٤٤٦) الدر المنثور ج ٤ ص ٦٠٨.

(٤٤٧) انظر الدر المنثور ج ٤ ص ٤٥.

(٤٤٨) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٢.

(٤٤٩) تفسير الفخر الرازي ج ١٩ ص ١٤.

لم يختلف المفسرون في أنّ هذه الآية نزلت في قرابة النبي ومودتهم وإنّما الخلاف بينهم في المقصود منهم .

قال علاء الدين المعروف بالخازن: واختلفوا في قرابته (صلى الله عليه وآله وسلم) فقيل: علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم. وقيل: من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب^(٤٥٠) .

وقال أبو محمد الحسين الفراء: واختلفوا في قرابته، فاطمة الزهراء وعلي وابناهما وفيهم نزل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا...) وقيل هم الذين تُحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس^(٤٥١) .

وقد أخرج الحفاظ عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي وفاطمة وابناهما .

أخرجه أحمد في المناقب^(٤٥٢) وابن المنذر^(٤٥٣) وابن أبي حاتم^(٤٥٤) والطبراني^(٤٥٥) والواحدي^(٤٥٦) والثعالبي^(٤٥٧) وأبو نعيم^(٤٥٨) والبغوي^(٤٥٩) وغيرهم.

ورواه السيوطي عن ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٤٦٠) .

ورواه ابن حجر عن أحمد والحاكم والطبراني عن ابن عباس، ثم ذكر أبيات ابن العربي وهي :

رأيت ولائي آل طه فريضة *** على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى *** بتبليغه إلا المودّة في القربى^(٤٦١)
* * *

(٤٥٠) تفسير الخازن ج ٢ ص ٩٨، تفسير آية المودة.

(٤٥١) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ج ٣ ص ٥٢٩، تفسير آية التطهير.

(٤٥٢) كتاب فضائل الصحابة ج ٢ ص ٦٦٩ ح ١١٤١ .

(٤٥٣) الدر المنثور ج ٧ ص ٣٤٨ .

(٤٥٤) تفسير القرآن العظيم: ج ١٠، ص ٣٢٧٦، ح ١٨٤٧٣ .

(٤٥٥) المعجم الكبير ج ٣ ص ٤٧ ح ٢٦٤١ .

(٤٥٦) انظر شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٣٠ - ١٤٦ .

(٤٥٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن «للثعالبي» ج ٣ ص ١٢٨ الكشف والبيان «للثعالبي» ج ٨ ص ٣١٠ .

(٤٥٨) حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٠١ .

(٤٥٩) معالم التنزيل ج ٥ ص ٤٨ .

(٤٦٠) انظر الدر المنثور ج ٦ ص ٧ .

(٤٦١) انظر الصواعق المحرقة ص ١٠١ .

قال: وأخرج أحمد عن ابن عباس في قوله تعالى: (ومن يقترف حسنة) قال هي المودة لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

روى النيسابوري في تفسيره عن سعيد بن جبیر لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين وجب علينا مودّتهم لقرابتك؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي وفاطمة وابناهما. قال النيسابوري: إنّ هذا فخر عظيم وشرف تام، ويؤيده ما روي أنّ علياً (رضي الله عنه): شكّا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حسد الناس فيه. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أوّل من يدخل الجنة: أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا.

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبدالمطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازه عليها. وكان يقول: فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها، وثبت بالنقل المتواتر أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحب الحسن والحسين، وإذا كان كذلك؛ وجب علينا محبتهم لقوله تعالى: (واتبعوه) وكفى شرفاً لآل رسول الله وفخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم (٤٦٢) . هذا ما يقوله النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد في تفسيره لهذه الآية وهو باعتراف المؤلف ليس من تفاسير الشيعة ولا شيء يدل على تشييعه فيه .

* * *

وأخرج ابن جرير في تفسيره بسنده عن أبي الديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين (عليه السلام) فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأستأصلكم وقطع قرني الفتنة .

فقال له علي بن الحسين (رضي الله عنه): أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أقرأت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم (٤٦٣) .

وأخرج الحافظ الكنجي في الكفاية: عن جابر بن عبد الله: جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا محمد، أعرض عليّ الإسلام .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجراً؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا؛ إلا المودة في القربى. قال: قرابتي أو قرابتك؟

(٤٦٢) انظر تفسير غرائب القرآن ج ٢٥ ص ٣١ بهامش تفسير الطبري ط ١ الميمنية بمصر .

(٤٦٣) تفسير الطبري ج ٢٥ ص ١٤ .

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): قرابتي. قال: هات أبايعك! فعلى من لا يحبّ قرابتك لعنة الله.
فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) : آمين(٤٦٤) .

وقال الزمخشري في تفسيره: والقربى كالزلفى مصدر بمعنى القرابة، والمراد في أهل القربى: روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): علي وفاطمة وإبناهما.
ويدل عليه ما روي عن علي(عليه السلام). شكوت إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حسد الناس لي.

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة، أنا وأنت والحسن والحسين. وأزواجنا عن أيماننا وشمانلنا، وذريتنا خلف أزواجنا.
وروي أنّ الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا، كأنهم افتخروا، فقال عباس وابن عباس: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فأتاهم في مجالسهم.
فقال: يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أدلة فأعزكم الله بي؟
قالوا: بلى يا رسول الله.

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله.
قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أفلا تجيبونني؟ قالوا: ما نقول يا رسول الله؟
قال(صلى الله عليه وآله وسلم): تقولون: ألم يخرجك قومك فأويناك؟ أولم يكذبوك فصدقناك؟ أولم يخذلوك فنصرناك؟ فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله.
فنزلت هذه الآية(٤٦٥) وهي: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

* * *

وقال الفخر الرازي: - في تفسير هذه الآية - المسألة الثالثة نقل صاحب الكشف عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:

من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس، ألا ومن مات على حبّ آل محمد فتح الله له في قبره بابين إلى الجنة، ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات على السنة والجماعة.

(٤٦٤) كفاية الطالب ص ٩٠ .

(٤٦٥) الكشف ج ٢ ٢٩٦ ط بولاق .

ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لا يشم رائحة الجنة.
قال الفخر الرازي: هذا هو الذي رواه صاحب الكشف وأنا أقول: آل محمد هم الذين
يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه شدّ وأكمل كانوا هم الآل .
ولا شك أنّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه
وآله وسلم) أشدّ التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل .
وأيضاً اختلف الناس في الآل فقيل: هم الأقارب وقيل هم أمتهم فإن حملناه على القرابة فهم
الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت على جميع التقديرات هم
الآل أي علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) . وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ
الآل؟ فمختلف فيه.

وروى صاحب الكشف أنّه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء
الذين وجبت علينا مودتهم؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي وفاطمة وإبناهما.

فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا
مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ووجه الاستدلال به ما سبق .

الثاني: لا شك أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحبّ فاطمة (عليها السلام) قال (صلى الله عليه وآله وسلم):
«فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها»، وثبت بالنقل المتواتر عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
أنّه كان يحبّ علياً والحسن والحسين وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله: (حبّ علي
 وفاطمة والحسن والحسين) لقوله تعالى: (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ولقوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
 يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) ولقوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)، ولقوله سبحانه: (لَقَدْ
 كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

الثالث: أن الدعاء للآل منصب عظيم؛ ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة
وهو قوله: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدًا وآل محمد .

وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واجب وقال الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصب من منى *** واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى *** فيضاً كما نظم الفرات الفاض

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد *** فليشهد الثقلان أنّي رافضي^(٤٦٦)

* * *

هذا ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره، وهذا ما استدل به على أن لفظ الآل والقربى هو منحصر في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وقد وردت في ذلك روايات كثيرة عن صاحب الرسالة الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال السيد صديق بن حسن القنوحى البخاري في تفسيره لهذه الآية: وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الآية: تحفظوني في أهل بيتي وتودّونهم بي، أخرجه الديلمي وأبو نعيم^(٤٦٧).

وعنه - أي عن ابن عباس - قال: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي وفاطمة وولداهما. أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه^(٤٦٨).

ورواه ابن حبان في تفسيره الكبير عن ابن عباس بلفظ: من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي وفاطمة وابناهما^(٤٦٩).

ورواه أيضاً الشيخ إسماعيل حقي البروشوي (المتوفى سنة ١١٣٧ هـ) في تفسيره عن ابن عباس بهذا اللفظ وقال: ويدل عليه ما روي عن علي (عليه السلام) أنه قال: شكوت إلى رسول الله حسد الناس لي فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين. الحديث^(٤٧٠).

ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً... إلخ كما تقدّم ذكره عن الفخر الرازي.

وعقبه بقوله: وآل محمّد هم الذين يؤول أمرهم إليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكل من كان مأل أمرهم إليه أكمل وأشدّ كانوا هم، ولا شك أنّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم

(٤٦٦) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٧ ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٤٦٧) تفسير فتح البيان لمقاصد القرآن للسيد صديق بن حسن ج ٨ ص ٢٧٠.

(٤٦٨) المصدر السابق.

(٤٦٩) انظر تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٥١٦.

(٤٧٠) انظر تفسير روح البيان ج ٨ ص ٣١١.

وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشدّ التعليقات بالنقل المتواتر؛ فوجب أن يكونوا هم الآل (٤٧١).

* * *

ولو أردنا أن نمضي في هذا الموضوع من تتبع أقوال المفسرين وتخريج الحفاظ لطال بنا المدى واتسع الموضوع، ولكننا نكتفي بهذا القدر القليل من أقوال هؤلاء العلماء. وقول المؤلف بأن ما أورده الطبرسي وغيره من مفسري الشيعة في هذه الآية، أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين من الأخبار الموضوعة أمر يدعو إلى الاستغراب. لذا لا نعجب منه إذ لم يأت دليل يثبت ما يدّعيه، وإثما كلّ ما يحاوله أنه وارد من طريق الشيعة فحسب، وما أوردناه هنا يكفي أن يكون مقنعاً له، إن كان هدفه الحقيقة، وهي هدف كلّ باحث منصف.

ولا أدري لماذا يستنكر الأستاذ ورود أمثال هذه الآية وغيرها في أهل البيت؟! وقد وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في لزوم حبّهم أحاديث هي أكثر من أن تحصى، وقد خرجها حافظ الحديث من علماء السنّة منها:

أخرج الترمذي عن علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد حسن وحسين فقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة (٤٧٢).

وأخرج من طريق أسامة بن زيد قال: طرقت باب النبي ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ قال: فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): هذان ابناي، وابنا أبنتي، اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما (٤٧٣) وأخرج من طريق أبي هريرة مثله.

وروى ابن كثير أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين (عليهما السلام) فنزل إليهما، فاحتضنهما، وأخذهما معه إلى المنبر وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): صدق الله: (أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ). إني رأيت هذين يمشيان ويعثران فلم أملك أن نزلت إليهما. ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إنكم لمن روح الله وإنكم لتبجلون وتحببون (٤٧٤).

(٤٧١) روح البيان ج ٨ ص ٣١٢.

(٤٧٢) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠١.

(٤٧٣) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٩.

(٤٧٤) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٣٣.

وروى ابن كثير عن أحمد بن حنبل بطريق عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي وحسن وحسين وفاطمة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم^(٤٧٥).

وعن أبي هريرة أيضاً أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: الحسن والحسين من أحبهما فقد احبني ومن أبغضهما فقد أبغضني^(٤٧٦).

وأخرج البخاري عن البراء بن عازب قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسن علي عاتقه يقول: اللهم إني أحبه فأحبه^(٤٧٧).

وأخرجه مسلم عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال للحسن (عليه السلام): اللهم، إني أحبه، فأحبه وأحبّ من يحبه^(٤٧٨).

وأخرج البخاري في ج ٥ ص ٢٦ أن النبي قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني. ومثله رواه في ص ٣٦.

* * *

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة والآيات الشريفة الواردة في حقهم على العموم كحديث الثقلين وغيره.

وآية التطهير وأمثالها أو على خصوص كلّ واحد منهم صلوات الله عليهم ممّا نطق به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلزاماً للأمة بمحبتهم واتباعهم، لأنهم أزمة الحقّ وأعلام الدين وألسنة الصدق، كما يقول الإمام علي (عليه السلام).

وهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى. ووصايا رسول الله في آله كثيرة لا تُحصى، ولو اتسع المقام لذكرنا شطراً منها ولكّنها نظرة خاطفة وقبسة عجلان.

آية الولاية

يزعم الأستاذ أنّ نزول آية الولاية - في الإمام علي عندما تصدق بخاتمته - وهي قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)^(٤٧٩) إنّما كان من وضع الشيعة وأكاذيبهم. وهو إذ يطلق هذا القول ويصدر هذا الحكم ولا يحسب

(٤٧٥) تاريخ ابن كثير ص ٣٦٨.

(٤٧٦) المصدر السابق.

(٤٧٧) البخاري ج ٥ ص ٣٣ وأخرجه مسلم ج ٧ ص ١٢٧.

(٤٧٨) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٧.

(٤٧٩) المائدة ٥٥.

للمؤاخذه عليه أيّ حساب وهو رجل له منزلة في مجتمعه؛ إذ هو يتولى تدريس الحديث والتفسير فلا بدّ أن يكون له علم بكتب التفسير أو له إمام بما ذكره المفسرون والحفاظ من علماء السنة حول نزول هذه الآية.

أقول: لا يعقل ذلك حسب رتبته وشهادته التي أهلته لأنّ يكون مدرساً في أكبر مؤسسة إسلامية، ويربي جيلاً يتولى توجيه الأمة وإرشادها. ومن الغريب أن الاستاذ المؤلف في كثير من أبحاثه يتوارى وراء ستار شفاف ينمّ عما وراءه فيفضح أسراراً ويكشف نواياه. كما لا تخفي عمنه وزيّه شيئاً من حقيقته.

إنّه يؤاخذ المفسرين من الشيعة كرجل من أهل الحديث^(٤٨٠)؛ وإذا كان كذلك كيف يجهل أو يتجاهل ما ذكره المفسرون والحفاظ حول هذا الموضوع؟! ولا اعتقد أنّه يتجاهل وإنّما ذلك أقصى جهده وغاية علمه، وإلا فإنّه تجاهل بقصد العناد الذي ينعكس عن روح التعصّب الأعمى الذي يذهب بكلّ رونق للمسلم ويبطل أثر التحصيل في الفكر. ونحن هنا نقدّم للقراء - كدليل على ما نقوله - بعضاً من أولئك الرجال الذين ذكروا أنّ نزول هذه الآية في الإمام علي(عليه السلام) ملتزمين طريقة الاختصار على البعض خشية الإطالة واتساع الموضوع.

* * *

قال الواحدي في أسباب النزول: إنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب لأنّه أعطى خاتمه سائلاً وهو راکع.

وعن ابن عباس أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراکع فنظر سائلاً فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم خاتماً.

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): من أعطاك؟

قال: ذاك القائم وأشار بيده إلى علي(عليه السلام).

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): على أي حال أعطاك؟

قال: أعطاني وهو راکع فكبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قرأ: (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم المفلحون). اهـ^(٤٨١).

(٤٨٠) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٢٨٨.

(٤٨١) أسباب النزول للواحدي ص ١٤٨.

وقال السيوطي في اللباب: وله شاهد، قال عبدالرزاق: حدثنا عبدالوهاب عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...الآية) نزلت في علي بن أبي طالب .

وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل مثله^(٤٨٢) .

* * *

وذكر محبّ الدين أبو العباس الطبري أنّ هذه الآية نزلت في علي وهي من بعض الآي الذي نزل في حقّه^(٤٨٣) .

أخرج ابن جرير في تفسيره بطريق عن مجاهد أنّه قال: في قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ... الآية): إنّها نزلت في علي بن أبي طالب^(٤٨٤) .

وأخرج عن عبدالملك أنّه قال: سألت أبا جعفر عن قول الله: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ... الآية) . قال: نزلت في علي بن أبي طالب تصدّق وهو راع. وأخرج مثله عن هناد عن عبدالملك . وأخرج بطريق عن عتبة بن حكيم في هذه الآية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) هو علي بن أبي طالب .

* * *

وقال نظام الدين الحسن بن محمّد النيسابوري في تفسيره: روي أنّ عبدالله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله، أنا رأيت علياً تصدّق بخاتمه على محتاج وهو راع فنحن نتولاه .

وروي عن أبي ذر أنّه قال: صليت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع يده إلى السماء وقال: اللهم إشهد أنني سألت في مسجد الرسول فما أعطاني أحد شيئاً. وعلي(عليه السلام) كان راعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم ثم قرأ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: اللهم، إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري، إلى قوله وأشرکه في أمري. فأنزلت قرآناً ناطقاً: سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً، اللهم وأنا محمّد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به أزري.

قال أبو ذر: ما أتمّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الكلمة حتى نزل جبرائيل فقال يا محمّد، اقرأ: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ.. الآية^(٤٨٥) .

(٤٨٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٩ .

(٤٨٣) انظر ذخائر العقبى ص ٨٨ .

(٤٨٤) تفسير الطبري ج ٦ ص ١٦٥

وقال الزمخشري: إنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راکع في صلاته فطرح له خاتمه، كأنه كان مرجأ في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد فيه صلاته .

ثم أورد على نفسه فقال: فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلي (رضي الله عنه) واللفظ لفظ جماعة؟

قلت: جيء به عن لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها^(٤٨٦) .

وقال أبو بكر الجصاص الحنفي: روي عن أبي جعفر وعتبة بن حكيم: أنها نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدق بخاتمه .

وقال - بعد ذكره لقوله تعالى: (ويؤتون الزكاة وهم راكعون): يدل على أن صدقة التطوع تُسمّى زكاة لأنّ علياً تصدق بخاتمه تطوعاً^(٤٨٧) .

وقال السيوطي: أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه وهو راکع فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع فأنزل الله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...).

وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .. الآية) قال: نزلت في علي بن أبي طالب .

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر، قال: وقف بعلي سائل وهو راکع في صلاة تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله فأعلمه ذلك فنزلت على النبي هذه الآية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... الآية).

وأخرج ابن مردويه وأبو الشيخ عن علي مثله.. وذكر السيوطي عدة طرق في أسباب نزول هذه الآية وأنها نزلت في علي (عليه السلام)^(٤٨٨) .

(٤٨٥) تفسير النيسابوري ج ٦ ص ١٤٥ بهامش تفسير ابن جرير .

(٤٨٦) الكشف ج ١ ص ٢١٨ .

(٤٨٧) أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .

(٤٨٨) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٣ .

وقد أخرج حديث نزول هذه الآية كثير من الحفاظ والمفسرين ما يربو عددهم على الستين:

كالحافظ أبي عبدالرحمن النسائي المتوفى سنة (٣٠٣ هـ) في سننه .
والحافظ أبي القاسم الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠ هـ) في الأوسط .
والفقيه ابن المغازلي الشافعي المتوفى سنة (٤٨٣ هـ) من خمسة طرق .
والحافظ أبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة (٢٠٧ هـ) .
وغيرهم ممن ذكرناهم آنفاً وممن لم نذكرهم اختصاراً للموضوع وفي هذا القدر - بل بعضه - كفاية على ردّ ما يزعمه الأستاذ حول وضع حديث نزول هذه الآية في الإمام علي(عليه السلام) وأنها من موضوعات الشيعة ولم يكن لقوله هذا حجة ولا لحكمه برهان .
والدعوى إن لم تقام عليها بينات أبناؤها أدعياء .
وغريب من الأستاذ هذا الجمود الفكري الذي لا يتناسب مع ألقابه العلمية وهو مع كثرة ما دبح يراعه من مؤلفات لم يجعل لتفكيره مجالاً للخروج من ربقة التعصّب وقيود الاستسلام، لأنّ الذهبي - ولو أضفنا ميماً في أول لقبه لكان أدل - له مؤلفات أخرى.

* * *

آية التبليغ

وهي قول تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (٤٨٩) .

وقد صدع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بتبليغها يوم غدیر خم، وأقام في ذلك الهجير، وخطب هناك وبلغ، وقال(صلى الله عليه وآله وسلم) فيما قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. وحديث الغدير حديث ذو شجون، فقد تنكر له بعض وحرّفه آخرون، ولا نستطيع هنا إيراد نصوصه وذكر أسانيده .

وقد ذكر أكثر المفسرين نزول هذه الآية يوم الغدير، وأنكرها آخرون، وقد تعرّضنا لهذا الموضوع في الجزء الأول^(٤٩٠)، وهو أعظم من أن يدرس بمثل هذه السرعة .

(٤٨٩) سورة المائدة ٦٧ .

(٤٩٠) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ١ ص ١٢٧ .

وقد تكفل شيخنا العلامة الأميني في كتابه «الغدير» جميع ما يتعلق بهذا الموضوع واستخراج أحاديثه ببحث علمي يتركز على المنطق الصحيح، ونكتفي في الإشارة بالرجوع إليه في هذا الموضوع^(٤٩١).

* * *

وإننا - كما قلنا - لم نتعرض لردّ ما أورده من المخالفات جملة جملة وفقرة فقرة. وأودّ هنا أن ألفت نظر المؤلف حول التأويل للأحاديث عند الشيعة نصرة للمذهب - كما يقول ولا صحة لقوله - فهل خفي عليه أبواب التأويل التي فتحت عند غيرهم لحمل الأخبار بل الآيات القرآنية على غير مؤدّاها؟

وللمثال نذكر ما قال النووي في صحيح مسلم عند تخريجه لرواية سعد بن أبي وقاص في مناقب الإمام علي (عليه السلام) وأن معاوية أمر سعداً أن يسبّ علياً فامتنع سعد فقال معاوية: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟

فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إلي من حمر النعم:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وسمعته يقول له يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. فتطاولنا لها فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أدعوا لي علياً فأتي به أرمد فبصق في عينه، ودفع الراية إليه.

ولما نزلت هذه الآية: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم... الآية) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم، هؤلاء أهلي^(٤٩٢).

قال النووي: قال العلماء: الأحاديث الواردة في ظاهرها دخل علي، صحابي يجب تأويلها..

ثم أخذ النووي في التأويلات المبررة من أمر معاوية سعداً بالسبّ وذكر وجوهاً^(٤٩٣). وما أوسع هذا الباب الذي تدخل فيه الأحاديث بصورة وتخرج بصورة أخرى! وكذلك الحوادث التاريخية تصبّ في غير قالبها وتبرز في غير إطارها تقوية للرأي ونصرة للمذهب وما أكثر الأمثال على ذلك! ولنترك الخوض في مثله، وقد ترفع الشيعة عن هذا المسلك وامتنعوا عن نصرة التشيع بما لم يتأيد دليله وبرهانه.

(٤٩١) الكتاب موسوعة كبيرة يقع في عشرين مجلداً طبع منها أحد عشر مجلداً.

(٤٩٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥ ص ١٧٧.

(٤٩٣) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٧٥.

وقبل الختام نقول :

إنّ الذي يسترعي الانتباه: هو أنّ المؤلف قسمّ التفسير بالرأي إلى قسمين:
الأول: التفسير بالرأي الجائز وفيه يذكر كتب التفسير للسنة كتفسير الرازي والبيضاوي وغيرهما من ص ٢٨٨ إلى ص ٣٦٢ ج ١ .

الثاني: التفسير بالرأي المذموم، أو تفسير الفرق المبتدعة، وتبتدئ من ص ٣٦٣ إلى ص ٤٨٢ من الجزء الأول .

وهنا يتكلم أولاً عن المعتزلة وموقفهم من تفسير القرآن، وأول ما يذكر من تفاسيرهم: تفسير القاضي عبد الجبار، ثم يذكر أمالي السيد المرتضى علم الهدى المتوفى سنة (٤٣٦ هـ) وهو من كبار علماء الشيعة الإمامية، وعلم من أعلامهم، ولكن الأستاذ نسبه للاعتزال وجعل أماليه من تفاسير المعتزلة بدون استناد .

نعم ذهب لهذا المستشرق جولد تسهير في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) عندما ذكر اتحاد طريقة السيد المرتضى في التفسير مع طريقة أبي علي الجبائي من حيث اللغة، وحمل العبارات الدالة على التشبيه، أو التي لا تليق بمقام الألوهية، على تأويلات أليق وأبعد عن التشبيه... الخ (٤٩٤) .

والأستاذ المؤلف سار على ذلك الفرض؛ فجزم بأن السيد المرتضى معتزلي وجعل تفسيره لهم تقليداً للمستشرقين واتباعاً لهم فيما يذهبون إليه في آرائهم المخالفة للحقيقة .
ثم ذكر تفسير الكشاف للزمخشري وينتهي في آخر الجزء من البحث حول المعتزلة أو الفرقة المبتدعة .

وفي أول الجزء الثاني يأتي دور الفرقة الثانية وهم الشيعة ومنهم الإمامية الإثنا عشرية، وهناك يتكلم الأستاذ حسب ذوقه وإدراكه، وهو إذ يتناول البحث عنهم فإنما يرى أنّ طعنهم شيء مستحسن، بل من الدين ذلك كما يراه، لأنهم مبتدعة، وكلّ بدعة ضلالة فهم ضالون في نظره والإسلام محتكر له

- عافاه الله - ومن دين الذهبي أن يبرزهم في إطار التضليل والابتعاد عن الإسلام.
وعلى هذا التفكير وضوء هذه النظرة سار في بحثه معتمداً على أباطيل المستشرقين، وخرافات المغرضين وكلما توغلنا في بحثه ازدادنا ثقة بخطأ رأيه وقصر نظره.

ومن هذا وذاك - فإنه لم ينظر إلى الحقائق بصفته أستاذاً في علوم القرآن والحديث، بل سار في طريق بحثه مكبلاً بقيود التعصب، ينظر الأمور بمنظار قائم، وقد ترك الحقيقة وراء ظهره، فلم يسند أقواله بدليل استقاه من تعمقه بالبحث، أو استنتجه من تتبعه في دراسة الموضوع، ولم يقف على الأمور التي هي جديرة بالنظر موقف متأمل ليعرف الحقّ لأثّه حقّ بالبرهان ويعرف الباطل، لأثّه باطل بالبرهان من دون تحيز وتعصب .

إنّ الواجب يقضي عليه أن لا يتعصب أو يتحيز، لأثّه أستاذ في جامعة إسلامية كبرى تعدّ طلاباً ستقع عليهم مسؤولية عظيمة، ويجب عليه أن يدلهم على طريق الاستقامة، والحيطة في النقد، والدعوة إلى الحقّ لذات الحقّ .

وإلى هنا ينتهي حديثنا مع الأستاذ، وهنا أسدل الستار عن بقية أخطائه لأنني لم أجد وقتاً يساعد على الاستمرار معه. وعسى أن تسمح الظروف بالعودة إلى مناقشته والعود أحمد، ونسأل الله لنا وله الهداية والتوفيق وإلى اللقاء - إن شاء الله - أيها الأستاذ المحدث .

أدب الشيعة

إذا أردنا أن نتحدّث عن أدب الشيعة فإنّ أهم سماته وأبرز ملامحه هي شدّة تأثره بأدب الإسلام وثقافته أحسن تأثر، واتصف شعراؤهم بذهنية صقلتها التجارب فكانت أكثر ما تعنى بالأفكار العميقة، والمعاني الدقيقة، وهم يمتازون بالعواطف الثورية الهائلة، لاستنهاض الأمة من كبوتها، وإيقاظها من غفلتها .

وضمّن شعراء الشيعة قصائدهم تلك الصور الفريدة التي تعبّر عن مآسي الدهر وأفعال أعداء الرسول بأهل بيته الكرام. ولئن كانت فاجعة كربلاء واستشهاد السبط الإمام الحسين في نهضة الإباء ضد ظلم أمية، مصدر إلهام ثر وعطاء فيّاض رسم صور البطولة وجسد ألوان التضحية، فإنّ سير الأئمة من أهل البيت كانت هي الأخرى توحى للشعراء بألوان من الحكمة وضروب من التبصّر ممّا يجعل بناء القصيدة قائماً على الفكرة الهادفة، والعاطفة الهیّاجة والمشاعر النبيلة، وترى الجزالة في النظم والتفوّق في القول، وغاية ما يرجوه الشاعر أن ينشد شعره بين يدي إمامه ومرجعه من أئمة الهدى في وقت يتهافت فيه الشعراء على أعتاب الحكام بنماذج من المديح الكاذب والتملق الدنيء والود الزائف فتنهمر الهدايا والجوائز من قبل الملوك وكلّها من بيت مال المسلمين.

لقد كان شعراء الشيعة يأبون الانحدار إلى الكذب، واللجوء إلى التزلف للطغاة والظالمين طمعاً في حطام ورغبة في دنيا.

وقد منحهم ابتعادهم عن الدولة وانتصارهم لآل البيت أسلوباً صريحاً لا أثر فيه للخداع والتملق، ولا يشوهه الحرص الممقوت على الصلات والجوائز .

وإنّ نظرة خاطفة على مواقف أولئك الأبطال - في مقابلة حكام عصرهم وولاة الأمور الذين انحرفوا عن طريق الحقّ وساروا بالأمة كما يريدون لا كما يريد العدل - تعطينا صورة صادقة عن موقف البطولات التي يتصف بها العربي المخلص لأُمته، والمسلم المتفاني في عقيدته، وقد اشتهر منهم رجال كانت لهم زعامة الأدب وقد حازوا قصب السبق في جميع الأدوار حتى قيل: وهل ترى أديباً غير شيعي؟ .

وإذا أرادوا أن يبالغوا في رقة شعر الرجل وحسن إبداعه، ومهارته في التصوير، قالوا: يترقّض في شعره .

ولشعراء الشيعة وأدبائهم في المجتمع العربي الأصيل مكانة هامة، فهم من أعيان تلك المدرسة، وفرسان تلك الحلبة، منهم:

الفرزدق بن همام بن غالب التميمي المتوفى سنة (١١٠ هـ) .
وأبو صخر كثير - بالتصغير - بن عبدالرحمن المعروف بكثير عزة المتوفى سنة (١٠٥ هـ) .

والكميت بن زيد الأسدي صاحب الهاشميات المتوفى سنة (١٢٦ هـ) .
وإسماعيل بن محمّد المعروف بالسيد الحميري توفي ببغداد سنة (١٧٩ هـ) .
ودعبل بن علي الخزاعي وقيل اسمه الحسن ولقبه دعبل المتوفى سنة (٢٤٦ هـ) .
حبيب بن أوس أبو تمام الطائي صاحب ديوان الحماسة المتوفى سنة (٢٣١ هـ) .
وأبو الفضل منصور بن سلمة المتوفى في عصر الرشيد .
والسيد الشريف أبو الحسن محمّد بن الحسين الرضي المتوفى سنة (٤٠٦ هـ) .
وأُمير الشعراء أبو فراس الحمداني المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) . وغيرهم :

كابن التعاويذي المتوفى سنة (٤٢٨ هـ) ، والحسين بن الحجاج المتوفى سنة (٣٩١ هـ) .
ومهيار الديلمي المتوفى سنة (٤٢٨ هـ) والحسن بن هاني المتوفى سنة (١٩٦ هـ) .
والوزير صاحب بن عباد المتوفى سنة (٣٢٦ هـ) ، والحسن بن هاني الأندلسي المتوفى سنة (٣٦٢ هـ) . والناشيء الصغير المتوفى سنة (٣٦٦ هـ) وغيرهم من شعراء وكتاب وخطباء .

وليس الحديث هنا عن أدب الشيعة وأثره في المجتمع كما يقتضيه العنوان. ويتبادر إلى ذهن القارئ، ولكننا تحت هذا العنوان نريد أن نشير إلى كتاب صدر بهذا الاسم وهو: «أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري» طبع في القاهرة سنة (١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م) .

ومؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ عبدالحسيب طه أحميدة المدرس في كلية الأدب العربي بمصر .

والكتاب لم يكن موضوعه أدب الشيعة فحسب، ولكنه يتعرض إلى تاريخ التشيع وتطوره ونشأته، وعقائد الشيعة وفرقهم، فهو كتاب تاريخ أكثر منه كتاب أدب .
والشيء الذي يسترعي الانتباه هو: أن المؤلف قد اعتمد على آراء المستشرقين في أبحاثه، واقتبس عبارات كتاب رددوها من قديم، فلم يأت بشيء جديد في بداية بحثه، وجزم بأشياء كان الأجدر به إمّا تركها، أو مناقشتها حسب ذوقه الأدبي أو التاريخي .
ولا أقصد هنا أن أنقد الكتاب أو أطريه، فهو لا يخلو من دواعي النقد أو الإطراء في آن واحد، وعسى أن تتاح لنا فرصة نستوفي الكلام حوله .

إنّ قصدي - والله من وراء القصد - تنبيه الأستاذ على أشياء تستوجب التنبيه عسى أن يتدارك ذلك فيما بعد، ليؤدي بذلك خدمة للحقّ الذي ينشده كلّ مسلم، وإظهاراً للحقيقة التي هي هدف كلّ باحث منصف، فقد انحجبت أنوارها عن أعين عشاقها بسحب الدجل والتمويه والافتراء، والقول بالباطل، فإننا في عصر كؤود يجب أن نهدف إلى تحقيق مبادئ الإسلام، لنجلو عن الحقيقة تلك الغشاوة التي حجبته عن بعض الأنظار مدة من الزمن، وننبع الحقّ والحقّ أحقّ أن يتبع .

وكيف كان فإنني أبدي بعض ملاحظاتي على ما ورد في هذا الكتاب، وكلي أمل أن يتّسع صدر الأستاذ لما أبدى، ولا يحمل ذلك على تحامل أو حقد، فلست بالناقد الحاقد .
وأهمّ شيء أحاول تحقيقه في هذا البحث هو: رفع سوء الفهم لقضية ابن سبأ، واتخاذها عند كثير من الكتاب كأساس تُبنى عليها حقائق، ويستنتج منها نتائج يحسبونها صحيحة تقع في أدلة الاحتجاج، مع أنّ كبرى ذلك القياس وصغراه غير صحيحتين فالنتيجة باطلة .
وقد آن الأوان لتقرير هذه الحقيقة التي يزداد الانتباه إلى وجودها بإدراك بواعثها والإصغاء إلى القرائن والأدلة على اختلاق سيف بن عمر الكذاب لقضية ابن سبأ، وأنها لم يكن لها ذرّة من الواقع قبل وضعها من قبله.

وسنتناول هنا قضية ابن سبأ - وإن أشرنا إليها من قبل ولكن الأستاذ الأديب قد اعتمد عليها أكثر من غيره، وجعلها دليلاً يسير عليه ليصل إلى الغاية. وما هي إلا كسراب بقية يحسبه الظمان ماءً .

ولنقتطف هنا من مقدمة الكتاب بعض ما جاء فيها ممّا يدلّنا بوضوح على منهجه في بحثه، وخطته التي سار عليها بعنوان أنّه أديب .

يقول: يرجع ألفي إلى هذا النوع من الأدب السياسي إلى السنة الثانية من سني دراستي في كلية اللغة العربية، حينما كنت مكثفًا في دراسة الأدب الأموي، والوقوف على قديمه وجديده، فإذا أنا أمام ثروة مشرقة من آدابنا الحزبية، تظاهرت على إنضاجها عقول صقلها الإسلام، وهذبها كتابه، وأقامتها حياة اجتماعية وسياسية...

ويقول: ثم كانت دعوة كريمة، ناشدت أبناء الأزهر وعلماءه أن يدرسوا الأحزاب الإسلامية، ويقفوا على طريق الجدل والحجاج فيها، وناشدتهم - بوجه خاص - أن تكون دراستهم لنشدان الحقّ، ووجه العلم بعيدة عن التعصّب والهوى...

أما لماذا اخترت أدب الشيعة موضعاً لرسالتي؛ فلأنه - أولاً - أدب يمجّد آل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وينتصر لحقّهم، ويبكي مصارع قتلاهم ولأثّه - ثانياً - أدب يصور العاطفة المتأججة، والحبّ الصادق، والأدب إذ تظاهرت على إبرازهِ: عاطفة وإحساس، وعقيدة... كان في عرف المتأدّبين جديراً بالبحث وحقيقاً بالحياة...

وبعد ذلك يبين منهجه في البحث ثم يقول: وخصصت فصلاً ثالثاً للعقائد الشيعية وأثرها في الأدب .

وهنا غلبتني أزهريتي فوقفت قليلاً عند جمهرة من هذه العقائد أناقشها واستدل لها، وعليها، وهنا كذلك وضحت الفكرة الشيعية واستبانّت أطوارها فأوجزتها في كلمات قدمت بها رسالتي .

أمّا قسم الأدب، فله منهج في البحث، وسبيل جديد عمدت إلى أدب الشيعة فنثرته بين يدي متوخياً عصوره، مستقصياً مناهجه وأصوله، فإذا أنا أمام أدب يتدرج في حجاجه ومناحيه، تدرج الفكرة الشيعية في سداجتها وعمقها، فهو عربيّ صريح أيام أن كانت الفكرة الشيعية عربية صريحة، وهو عنيف، ثائر، في الوقت الذي تغلّغت فيه الفكرة الشيعية، وأبرزتها الفواعل العلوية في صور من العقائد، فاستقل لتبيان ذلك الفصل الرابع... إلخ .

* * *

هذا بعض ما اقتطفناه من مقدمة الكتاب لنستنتج منه بعض ما لا بد من إيضاحه قبل الدخول في صميم الموضوع، وهنا أمور يدركها القراء:

- ١ - إن الأدب الأموي تظاهرت على إنضاجه عقول صقلها الإسلام، وهذبها كتابه.
- ٢ - وإلى جانب الأدب الأموي الأدب الشيعي، أو بعبارة أصحّ الأدب العلوي فهو في نظر الأستاذ لم يكتسب تلك الدرجة، ولم تصبغه تلك الصبغة الإسلامية من حيث الصقل

والإنضاج - كما اتصف الأدب الأموي - فالأدب الشيعي أدب عاطفة متأججة، وحبّ صادق يتدرج تدرّج الفكرة الشيعية في سداجتها... إلخ .

٣ - إن الأستاذ في دراسته هذه ينشد الحقّ لذات الحقّ ووجه العلم، وهذا هو أمنية كل مسلم، وهدف كلّ منصف، وسنرى فيما بعد هل تحقق عند المؤلف ما كان ينشده؟ أم أنّ ذلك لا يعدو إلا القول دون العمل؟ أو أنّه حبر على ورق؟

تعقيب

لا أدري ما هو قصد الأستاذ من قوله: إن الأدب الأموي الذي تظاهرت على إنضاجه عقول صقلها الإسلام وهذبها كتاب الله؟

أكان يقصد أدب الخطباء الذين كانوا ينالون من أهل البيت ويعلنون سبّهم؟ أهذه هي العقول التي صقلها الإسلام، وهذبها كتاب الله؟ أم يقصد أدب الشعراء الذين يتقربون للأمويين في هجاء العلويين وأنصارهم؟ أمن العقول التي صقلها الإسلام وهذبها كتاب الله عقل حكيم بن عباس الأور الكلبى الذي يفتخر بقتل زيد فيقول :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة *** ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

وقستم بعثمان علياً سفاهة *** وعثمان خير من علي وأطيب

قال ابن عساكر: فلما بلغ شعره إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) رفع يده إلى السماء وهما تنتفضان رعدة فقال (عليه السلام): اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً من كلابك، فخرج حكيم من الكوفة فأدلى فافترسه الأسد فأكله، وأتى البشير أبا عبدالله وهو في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرّ لله ساجداً، وقال: الحمد لله الذي أصدقنا وعده^(٤٩٥).

أهذا الأدب الذي أنضجته عقول صقلها الإسلام، وهذبها كتاب الله؟ ويكون شعر الكميت الشاعر الشيعي في رثاء زيد بن علي (عليه السلام) شعراً عاطفياً محضاً فمن قوله:

يعز علي أحمد بالذي *** أصاب ابنه أمس من يوسف

- يقصد يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام - ولا نضرب الأمثال، إذ ليس من قصدنا التوسع في المقارنة وضرب الأمثلة في هذا الموضوع فهو واسع لا يحاط بقليل من البيان وما ضمته كتب الأدب والدواوين يعدّ ثروة أدبية متميزة.

وأصارع الأستاذ بأنّ ما ذهب إليه في هذا الموضوع خطأ، وإن حصلت عنده قناعة شخصية فهي تزول بقليل من التأمل .

أما قوله إنّ الأدب الشيعي يصور العاطفة المتأججة والحبّ الصادق وإنّه أدب يمجّد آل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) . فهذا هو الواقع فإنّ الشيعة قد أحبّوا أهل البيت حباً صادقاً، واعتقدوا بهم اعتقاداً لم يخرجوا به عن حدود ما رسمه الإسلام . فهم أهل بيت الرسول الذين أمر الله بمودتهم، والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أوحى بإكرامهم، وحفظهم، وقد قرنهم بالكتاب العزيز، وهم حبل الله الذي أمر بالاعتصام به، وهم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تأخر عنها غرق وهوى و... وفي ذلك يقول الشاعر العبلي الأموي النسب، فحبّهم كان لله ورسوله لا حب دنيا، وفي ذلك يقول الشاعر العبلي الأموي النسب، والعلوي العقيدة :

شردوا بي عند امتداحي علياً *** ورأوا ذاك فيّ داء دويّاً
فوربيّ لا أبرح الدهر حتى *** تختلي مهجتي بحبي عليّاً
وبنيه لحبّ أحمد أتيّ *** كنت أحببتهم لحبّ النبيا
حبّ دين لا حبّ دنيا وشرّ الـ *** حبّ حبّ يكون دنياويا(٤٩٦)
ويقول شاعرهم الكميت :

ما أبالي إذا حفظت أبا القـ *** لاسم فيه ملامة اللوام
لا أبالي ولن أبالي فيهم *** أبداً رغم ساخطين رغام(٤٩٧)
وعلى هذا يسير الأدب الشيعي في طريق أهل البيت، وما أكثر الأمثال على ذلك! ولا أخطئ إن قلت إنّ أكثر من أن يحصى. فحبّ الشيعة لأهل البيت إنّما هو حب لله ولرسوله، امتثالاً لأمره(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يقول :
«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي» أخرجه الترمذي عن ابن عباس(٤٩٨) .

وقوله(صلى الله عليه وآله وسلم): أيّها الناس إنني أوشك أن أدعى إلى لقاء ربّي فأجيب وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني: أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا بماذا تخلّفوني فيهما(٤٩٩) .

(٤٩٦) الأغاني ج ١١ ص ٢٨٣ ديوان أشعار التشيع ص ٣١٥ .

(٤٩٧) أدب الشيعة ص ٢٥٩ .

(٤٩٨) انظر صحيح الترمذي ج ١٣ ص ٢٠١ في مناقب أهل البيت، وشرح المواهب اللدنية ج ٧ ص ٩ .

(٤٩٩) مصادر هذا الحديث كثيرة وصحيحة وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم كما ذكره المفسرون وقد أشرنا له في الجزء الأول ص ١٣١ والخامس ص ١٨٧ من هذا الكتاب وذكرنا بعض مصادره فلا حاجة إلى التكرار .

إلى كثير من وصاياه(صلى الله عليه وآله وسلم) التي أكد فيها وجوب المحافظة على العترة، والولاء لهم بما يطول المقام بذكر بعضها، وقد أشرنا إلى البعض من وصاياه(صلى الله عليه وآله وسلم) فيما سبق.

والخلاصة أنّ حبّ الشيعة حبّ صادق لا لغرض من حطام الدنيا، وقد تحمّل الشيعة في سبيل المحافظة على وصايا الرسول ما لا يمكن إنكاره .

وإنّ العاطفة التي يذكرها الأستاذ إنّما هي شعور بالمسؤولية التي تدعو إلى التوضيح وتحمل على الوقوف الى جانب الحقّ، وهذا الشعور هو الذي جعل الشيعة أمة ثورية مما دعا إلى تجمع القوى المختلفة ضدها، فكان ما كان من دعاية وتهريج واتهام بالباطل، والرمي بكلّ كراهية... إلخ.

والأستاذ يدرك هذا وقد أشار إليه في بعض أبحاثه وتعرضنا له من قبل .

وقد نوهنا برقة الشعر الشيعي أو فقل برقة المشاعر الشيعية عامة، لأنّ المآسي والأهوال التي أصابت أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام تثير مشاعر مصحوبة بعواطف مشبوبة وأحزان متدفقة تجعل من الشاعر الشيعي مصوراً للأحداث بقصيدته وناطقاً بالحقّ بعواطفه حيث تتداخل العقيدة وما تبثه النفس فهؤلاء أئمتهم عترة المصطفى وهم أثر وجوده وبقية نسبه تتلاقفهم السيوف وتغصّ بهم السجون وتردحم برفاتهم ساحات الحروب، ففي كلّ زاوية نصّ من عقيدة يحضّ على ولايتهم وحبّهم، وفي كلّ ناحية من الدنيا ألوان من الفجائع والمآسي التي تثير عواطف ممّن ليسوا على دين الإسلام فكيف بمن ينذر نفسه لصاحب الرسالة وللذبّ عن مبادئ القرآن وحملتها من أهل البيت النبوي الكريم؟ لا بدّ أن يكون الشعر الشيعي فيّاضاً بالعاطفة مملوءاً بالإيمان.

* * *

٣ - وأمّا النقطة الثالثة فإنّها بادرة حسنة، والأزهر الشريف جدير بأن يقوم بهذا العبء، ونحن نناشد المصلحين من الكتاب والمؤلفين الذين يدرسون تاريخ الشيعة أن تكون دراستهم لنشدان الحقّ، ووجه العلم بعيدة عن التعصب والتحيز، ولا سيما في هذا العصر الذي اشتد فيه وعي المسلمين - بعد طول تجارب - بالحاجة إلى الدعوة في الجمع كلمة الأمة الإسلامية، وقد سعى المصلحون إلى تقاربهم عن طريق التفاهم، والشعور بوجوب ترك ما خلفته العصبية السوداء والطائفية العمياء، ونسيان مآسي الماضي في عصور اشتدّ بها النزاع الحاد بين المسلمين، وما جرى بسببه من دمار وانهايار .

ونسأل الله جلّت قدرته أن يهي للمسلمين من أمرهم رشداً، وأن يجمع بين قلوبهم، وينزع ما في صدورهم من غل - على بعضهم البعض - فيصبحوا بنعمته إخواناً كما أراد الله لهم ذلك، وجاء به رسوله الأعظم..

ثم يتحول الأستاذ هذا من اختصاصه بالأدب إلى محدّث ناقد، وراوية مختص فهو يجوز علمياً بحكم تخصصه بالأدب أن يتجاوز ذلك فيتناول موضوع الأحاديث الموضوعية، ويسير على نفس الطريقة التي سار عليها غيره من الكتاب في اتهام الشيعة بوضع الحديث دعماً لما يدعونه، وحجة يقصدون بها تقوية مذهبهم كما يقول في ص ١٤ :

وهذه الدعاوى - أي الشيعة - لا بدّ لها من حجج تعضدها وتقوّيها، فالتمسوها في القرآن يؤولون آياته، والحديث يفسرون نصوصه، وليس من سبيل إلى اختراع قرآن يتفق مع مذهبهم، ويسدّ حاجة نفوسهم، فعصم الله قرآنهم منهم، ولكن السبيل سهل ميسور إلى اختراع الأحاديث، والكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتقول على أبنائه (عليهم السلام) فوضع الشيعة الأحاديث في فضل علي... إلخ .

ونحن نقول :

ولذلك وضعنا كتاب حميدة في جملة من رأينا ضرورة ردهم من بين عشرات أو مئات الكتب التي تقطر حقداً وكذباً، ومثل هذا القول من أوضح آيات العجز ومن أدل الأمور على القصور عن سلوك طرق العلم واتباع أساليبه، فهذه العبارات أو هذا التعبير لم يكن بالشيء الجديد ولم يكن هو صاحب هذه الفكرة وإنّها وليدة دراسته الأدبية.

إنّها ألفاظ مجّها السمع لكثرة تراددها، وملت الصحائف منها لكثرة سوادها. وإلا فإن العلم الذي أهّل أصحاب الشهادات لحمل الألقاب وتبوّء المناصب يقضي بالإنصاف والاطلاع على الآثار والأفكار بتجرد، ومن أبسط مواصفات المثقف طرح التعصب، لأنّه عدو العلم ولا يؤدي بمن سلك طريقه إلا البوار.

هذا عين ما نطق به المستشرقون^(٥٠٠) وتبعهم المقلدون، وكنا قريباً نناقش الأستاذ الذهبي حول هذه الفكرة والتي لا يخلو منها كتاب جديد وما هو بالشيء الجديد .

وأقول لماذا يتكفّ محبّو علي (عليه السلام) وضع أحاديث في فضله حتى تتحمّل وزره إلى يوم الدين، كما يقول المؤلف؟

كأن الإمام علياً(عليه السلام) لم تكن له فضائل واقعية حتى يلجأ محبّوه إلى الفضائل الادعائية، وهل هناك مسلم ينكر ما جاء لعلّي من الفضائل؟

إنّ قول المؤلف هذا هو بعيد عن الواقع، ولو أنّه تعمق في الدراسة، ونظر الموضوع بعين الإنصاف لما عبر بقوله في ص ١٥: فما لعلّي والمهدي المنتظر، وما لعلّي والتحدث عن الدول المستقبلية، وموقعة كربلاء، وولاية الحجاج، وما سيكون! ولكن الشيعة تريد أن تدعي لعلّي من الفضائل ما لا يتحمّله بشر، وتضعه في منزلة تساوي إن لم تفق مقام الرسالة.

إنّها لعمر الله جرأة على الحقّ، إنّه يشير بطرف خفي إلى التشكيك في نهج البلاغة، والذي أحدث هذا التشكيك هو ابن خلكان في القرن السابع الهجري، وأخذه من بعده المغرضون، فوسّعوا دائرته من دون رعاية للحقّ.

ولهذا فقد التزم المنصفون بردّ ابن خلكان، وإثبات ما أورده الشريف الرضي من مصادر قبله بعدّة سنين .

وقد كانت خطب الإمام علي في القرون السالفة هي المعولّ عليها عند الخطباء وعليها تدور خطاباتهم .

وقد حفظ الناس عنه الخطب، فإنّه خطب بأربعمئة خطبة، حفظت عنه وهي تدور بين الناس، ويستعملونها في خطبهم وكلامهم^(٥٠١) .

هكذا يقول المؤرخ ابن واضح وهو من أعلام القرن الثالث الهجري، وليس من قصدنا في هذا العرض أن نتعرض لهذه المسألة، ولكن المؤلف طلع علينا بصوره من ينشد الحقّ ووجه العلم، ومن الحقّ تنبيهه على خطئه وسوء تعبيره .

وما أبعد قوله هذا عن الحقّ ووجه العلم ورميه الشيعة بادعاء الفضائل لعلّي(عليه السلام)... إلخ. لم يكن إلاّ انصياعاً للعاطفة، وخروجاً على الحقّ وابتعاداً عن العلم .

إنّ عليّ بن أبي طالب لم يكن بحاجة إلى الفضائل الادعائية، فهو أجلّ من ذلك . ولنترك ما جاء من طريق الشيعة ونوّلّي وجهنا شطر ما ورد في كتب المسلمين من غير الشيعة، فهل بإمكان أحد أن يدّعي ذلك بأنه من الأمور الادعائية نصرّة للمذهب بقول الإمام

(٥٠١) انظر مشاكلة الناس لزمانهم ص ١٥ .

أحمد بن حنبل: ما ورد لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثلما ورد لعلي (عليه السلام) (٥٠٢) ؟

وبهذا قال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري وغيرهم (٥٠٣) .

وعلى أي حال فإنّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد اختص بمزيد فضل وعلو منزلة لا يدانيه فيها أحد؛ فقد ربّاه النبي في حجره ونشأ في ظلّه وتغذى تعاليمه منه، وأودعه أسراره (٥٠٤) ولازمه طول حياته، وسبق إلى تصديقه في الرسالة قبل كلّ أحد ولّبي دعوته في مؤازرته يوم نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وفداه بنفسه يوم أزمع كفار قريش على قتله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمره الله بالهجرة (٥٠٥) .

واختصه النبي بمؤاخاته يوم آخى بين أصحابه فأخذ بيد علي (عليه السلام) وقال: هذا أخي (٥٠٦) وهو منه (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنزلة هارون من موسى (٥٠٧) وكان أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يعبرون عمّن سبّ علياً بأنّه قد سبّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (٥٠٨) كما كانوا يعرفون المنافقين ببغضهم لعلّي بن أبي طالب (عليه السلام)، لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا عليّ، لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق (٥٠٩) .

قال جابر بن عبد الله، ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليّاً، ومثله عن أبي سعيد الخدري (٥١٠) .

وقد شهد النبي لعلّي في إقدامه وشدة بلائه في الله وقوة إيمانه ومحبته لله ورسوله ومحبة الله ورسوله له بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله يفتح الله على يديه.

(٥٠٢) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ١٦٣ .

(٥٠٣) مناقب الإمام علي للعيني ص ١٢ .

(٥٠٤) انظر مناقب الإمام علي (عليه السلام) ص ١٢ .

(٥٠٥) انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٥ .

(٥٠٦) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٤، وكنز العمال الإصابت ج ٥ ص ٢٩١ ح ٢٩١٤ ج ١١ ص ٦٠٩، ح ٣٢٩٤٧ وغيرها.

(٥٠٧) أخرجه البخاري في تاريخه الكبير ج ١ ص ١١٥، ومسلم في صحيحه ج ٧ ص ١٢٠ - ١٢١ وخرجه الحفاظ بطرق متعددة .

(٥٠٨) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٩ وخصائص النسائي ص ٢٤ .

(٥٠٩) أخرجه مسلم ج ٢ ص ٦٤ شرح النووي وخصائص النسائي ص ٢٤ .

(٥١٠) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٨ .

أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه ومسلم وأحمد بن حنبل وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شهد لعلي (عليه السلام) بهذه الشهادة في أخرج المواقف عندما اعتصم اليهود في حصونهم ولم يستطع أحد من الاقدام فيكون الفتح على يديه فأعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن الفتح لا يكون إلا عند رجل هذه صفته وهو علي (عليه السلام) الذي يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله .

قال ابن تيمية: إن في ذلك شهادة لعلي (عليه السلام) بإيمانه باطناً وظاهراً وإثباتاً لموالاته لله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووجوب موالاته المؤمنين له (٥١١) .

* * *

ويمكننا أن نقول بإيجاز: لو لم تكن السياسة قد كمنت وراء الواقع ونصبت حبالها لمن ينطق بالحقّ لما تجرّأ أحد على كثير من الحقائق؛ ولما استطاع أحد أن يتجاهل أموراً هي كالشمس في رائعة النهار أو تحدثه نفسه بالتشكيك أو التناول، ولولا بقايا تلك الأعمال التي لجأ الطغاة والخوارج في النيل من الإمام علي علامة استفهام وتعجب .

وإنّ الأستاذ الأديب في إثارته لهذا الموضوع ليثير عندنا كثيراً من الشكوك في تفهمه للقضايا وتعمقه في دراسة الموضوع وحيث كنا بمعزل عن قصد الخوض في مثل هذه الأبحاث فإننا نترك بسط القول فيه ونكتفي بأن نلفت نظر الأستاذ إلى التوسع في الدراسة ليقف على أمور تكشف له حقيقة الواقع .

وإذا أردنا الخوض في هذا الموضوع فباستطاعتنا أن نقدّم له آلاف المناقب المفتعلة لأناس هم دون علي ولا يجارونه في الفضل وشرف المحتد وعلوّ المنزلة، ونحن نؤثر أن نترك هذا الموضوع فما هو بالشيء الجديد أو البحث الذي لم يدرس، ولا تجنّيه وافتئاته بغريب على واقع العلم والأدب.

يقول المؤلف في ص ١٦ :

اقرأ - إن شئت - في أوثق كتبهم وأصحّها عندهم لترى كيف أصبح التشيع بعد القرن الثاني - خاصة - عقيدة تشل الفكر وتميت العقل كما أصبحت خطراً على الإسلام والمسلمين وشرّاً مستطيرواً على الدين.. ثم ينقل عن أحمد أمين في ضحى الإسلام ٣: ٢١٣ حديثاً عن الكافي وإن الكافي هو كالبخاري عند أهل السنة .

أقول :

أورد المؤلف هذا بعد كلام طويل أعرضنا، عنه لأنّ الخوض فيه يدعو إلى الإطالة وفيه أيضاً تعبير عما يحمله الأستاذ من فكرة خاطئة حول الشيعة وتطور نظرية الإمامة، وهو بهذه الأفكار يلتحق بالجماعات الذين شهدناهم على مرّ التاريخ وقد ملؤا الصفحات الطوال للاساءة للشيعة، فرأينا الإعراض عنها أولى من التعرّض لها .

وهنا يحكم الأستاذ الأديب بأنّ عقيدة الشيعة - أو التشيع - تشل الفكر وتميت العقل؛ بمعنى أنها عقيدة جامدة لا مجال فيها للعقل وحكمه ولا حق للتفكير فيها، هكذا يقول .

والأستاذ لم يحسن التعبير، فإنّ هذا القول المفتعل أو هذه النظرة لم تكن من بنات أفكاره وإنّما هو مقلد فيها للمستشرقين؛ فهم قد إدّعوا ذلك^(٥١٢)، ولم يستطع الأستاذ أن يطلق لفكره العنان في صحة ذلك، ونكتفي بالجواب عما أورده هنا برد الأستاذ عباس محمود العقاد لهذه الشبهة التي أثارها المستشرقون إذ يقول - في بحثه حول الاختلاف فيما يتعلق بمواضع النظر وأسباب الفهم والتفكير - :

هكذا خطر لبعض المستشرقين وكتاب الغرب، الذين بحثوا في علاقة اختلاف الشعوب باختلاف مذاهب النظر والاجتهاد، فظن بعضهم أن طوائف الشيعة آمنت بالإمام، لأنّها ورثت تقديس الرؤساء والأحبار، وقيدت من حقّ العقل في البحث والفهم، بمقدار ما أطلقت من سلطان الإمام، ووكّلت إليه من حقّ القيادة والإرشاد .

وفي هذا الظن من المستشرقين وهم لا شكّ فيه؛ لأنّ هذه المسألة بذاتها - مسألة الدراسة العقلية - قد كانت في طليعة المسائل التي اشتغل بها الشيعة الإماميون، ومن أفوه الشيعة الإماميين تلقى اساطين الفلسفة الإسلامية كلامهم في العقل والنفس، وفي مذهب الافلاطونية الحديثة، ومذهب افلوطين منها على التخصيص، ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا فيما رواه عنه تلميذه الجوزجاني: «كان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعدّ من الإسماعيلية، وقد سمعت منهم ذكر النفس والعقل، على الوجه الذي يقولونه، ويعرفونه وكذلك أخي» .

والفارابي أستاذ ابن سينا بالاطلاع والقُدوة نشأ فيما وراء النهر، ووعى أقوال الشيعة الإمامية في شروط الإمامة، ومزج بينها وبين شروط افلاطون في كتاب الجمهورية، فجعل الإمام صفوة الخلق في كمال الصفات، واجتماع الفضائل العقلية والنفسية، بل فضائل الجسد التي نزهت عن شوائب الضعف والمرض، وكان إخوان الصفا يدينون بمذهب في الإمامة

كهذا المذهب، ويؤلفون الرسائل مع هذا في المنطق، وفي علوم الرياضة، والفلك وما إليها، من علومهم العقلية .

فالدراسات المنطقية، وسائر الدراسات العقلية - كانت من شواغل الشيعة الإماميين، ولم يكن إيمانهم بالإمامة مما يصرف العقل عن التوسع في علم من العلوم، وربما أخذت عليهم طوائف المسلمين إفراطاً في هذا الباب، ولم تأخذ عليهم تفريطاً فيه يتعمدونه أو يساقون إليه على غير عمد^(٥١٣) .

* * *

هذا ما اقتطفناه من كلمة الأستاذ العقاد في رده على المستشرقين حول فكرتهم الخاطئة - وكم لهم من أخطاء - فيما يكتبونه عن الإسلام، وبصورة عامة، وعن الشيعة بصورة خاصة، للأسباب التي مر ذكرها^(٥١٤) .

ومن المؤسف له أن كثيراً من الكتاب قد تأثروا تأثراً أخرجهم عن حدود ما يجب عليهم أن يتبعوه في كتاباتهم ومنهم المؤلف .

وإنّ القول بأنّ الشيعة قد قيدوا العقل أو أثم جامدون إلى آخر ما في حقيبتهم من أفكار خاطئة ينطوي على غرض لا يخفى على أي منصف، فقد رأينا أصل مثل هذا الاتهام، وجاء البعض وسمح لنفسه بأن يأخذ أفكاره من المستشرقين وهم من قادة حملة السيطرة الأجنبية وأدوات النهب الاستعماري ومن السهل أن يعتذر الإنسان للأجانب ويتسامح معهم، لأنّ عوائق كثيرة تحول دون استيعابهم للأمور وتمثلهم للمسائل، ولكن بماذا نعتذر لمن هم من أبناء الإسلام؟

ويبقى الباحث بين ترديد هذه الدعاوى وجريانها على أقلام إخواننا وأبنائنا وبين صفات التخصص والمراكز والألقاب العلمية في حيرة.

فإذا جهل الأستاذ حميدة أنّ الشيعة كيما يخفوا من آثار سياسة الحاكمين في تقييد العقل وحرية الرأي جعلوا العقل قبل القياس في حركة الرأي ولم يطمئنوا الى القياس خشية أن لا يكون ضابطاً قوياً في استنباط الأحكام فجعلوا العقل محل ذلك، فهل جهل الأستاذ ما تناوله العلماء والباحثون في الحركة العقلية في الإسلام كحقيقة ثابتة ومساهمات الشيعة الكبرى في كلّ نتاجات العقل الإسلامي؟

يقول الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة:

(٥١٣) انظر التفكير فريضة اسلامية للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٦٠ - ٦١ .
(٥١٤) انظر الجزء الخامس ص ٣١ - ٣٧، وانظر ص ١٢٦ - ١٣٤ من هذا الكتاب.

إنّ أول من كتبوا في «الإمامة» كتابة علمية، وأول من تصدّوا إلى إثبات مذهبهم بالأدلة المنطقية، سواء أكانت الأدلة مبنية على أساس «ديني» - ثيولوجي - أم عقلي هم: الشيعة، فالشيعة لهم الفضل في خلق هذا النوع من العلم المسمّى بالإمامة، وهم الذين أوجدوه، وأفردوا له مكاناً بين مباحث علم الكلام، وإذا كان من المعروف أنّ «علم الكلام» فيما يختص بالعقائد الدينية إنّما نشأ كنتيجة للمناقشة والجدل بين الشيعة والمعتزلة وأهل الحديث، فذلك مباحث الإمامة - وهي الجانب السياسي منه - إنّما وجدت للنقاش بين الشيعة ومخالفهم: من خوراج، ومعتزلة، وأهل سنة.

وهذه الحقيقة ذات دلالة كبيرة؛ إذ أنّه ترتب على أنّ الشيعة هم الذين أوجدوا هذا العلم وأنهم طبعوه بطابعهم، وصاغوه الصياغة التي ارتضوها .

ومراعاة هذه الفكرة تفسّر لنا أشياء كثيرة: فالشيعة - في الغالب - هم الذين اختاروا للإمامة مصطلحاتها الفنية، بل هم الذين سمّوها بهذا الاسم، وهم الذين قسّموا العلم وبوّبوا أبوابه وعيّنوا مجاله، ورسموا حدوده، وهذا يشرح: لماذا ظلّ علم الإمامة أو علم «النظريات السياسية الإسلامية» محصوراً هكذا في نطاق محدود لا يعبده؟ ولماذا لم يتّسع نطاق البحث فيه حتى يشمل مسائل هامة كان ينبغي لمفكري الإسلام أن يبحثوها؟ فالحقيقة أنّ الشيعة هم الذين وضعوا الأساس، وأنّه كان على غيرهم من أهل الفرق الأخرى أن يملأوا الفراغ الذي حدّد بها الأساس، وأن يقيموا البناء معتمداً عليه، أو قل - بتعبير آخر - : إنّ أبحاث الفرق الأخرى إنّما كانت محصورة في أنّها أجوبة على الأسئلة التي يضعها الشيعة، ولم تكن إلا مجموعة من الردود على الدعاوى التي كان الشيعة يبدأون بإثارتها. بهذا شابها صيغة الجواب صيغة السؤال، وجاء مطابقاً للدعوى التي أريد منه أن يدفعها^(٥١٥) .

ولو أطلق الأستاذ مؤلف كتاب أدب الشيعة عقله من عقاله، وجعل لأدبه دوراً في هذا الموضوع؛ لما وقف جامداً على أقوال المستشرقين في اتهامهم للمسلمين بكلّ ما يوافق نعراتهم التعصبيّة والأغراض التي بيّتوها.

وإنّ هذا القول الذي تقبله بدون تمحيص، وجزم بصحته لدليل واضح على عدم خبرته وعدم تعمقه في الدراسة، وإلا كيف يعقل أن تكون عقيدة الشيعة في الإمامة (تشل الفكر وتميت العقل) - على حدّ تعبير المؤلف -؟ وقد كان القرن الثاني عصر جدل ومناظرات حادة، وكانت المجالس تعقد للمناظرة، وتشدّ الرحال للمدارسة والاحتجاج، ولا سيّما في الإمامة.

(٥١٥) النظريات السياسية في الإسلام، للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ٨١ - ٨٢ .

وقد انبرى للردّ على الشيعة كلّ من الخوارج، والمعتزلة، فكان مناظرات وجدلاً وقد اشتهرت مناظرات هشام بن الحكم المتكلم الشيعي المتوفى سنة (١٩٧ هـ) وهو من كبار تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) فقد ناظر علماء المعتزلة كعمر بن عبيد، وأبي الهذيل، وأبي بكر الأصم .

وكان هشام متفوقاً في علم الكلام، وسرعة الجواب، وممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب والنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام ووضع كتاباً في الإمامة^(٥١٦) .

ولسنا بحاجة إلى التعرّض إلى رجال الشيعة المتكلمين الذين تفوّقوا بوضوح البرهان وقوّة الحجة، كعلي بن إسماعيل التمار مؤلف كتاب الإمامة والاستحقاق، وهشام بن سالم ومحمّد بن النعمان وآل نوبخت الذين اختصوا بعلم الكلام وخاضوا تلك المنازعات الكلامية، وغيرهم كنصير الدين الطوسي الذي كان آية في التحقيق وحلّ المواضع المشكّلة، سيّما لطف التحرير الذي لم يلتفت إليه المتقدمون^(٥١٧)، لأنّ الأمر بات من الحقائق التي لم يملك أعداء الشيعة من قبل إلا الاعتراف بها، سواء كان ذلك منهم على كره ومضض أو عن صدق وأمانة، فإنّ الدور السيّء للمستشرقين بعد فضحه يبيّن لنا فيما جرى عليه المحدثون الذين رضوا لأنفسهم الانقياد لأعداء الإسلام والامتنال لأوامرهم وتقليد أفكارهم.

* * *

أسطورة

ويختم المؤلف هذا الفصل بأسطورة ينقلها ابن عبد ربّه، عن الجاحظ، والجاحظ ينقلها عن رجل من التجار: أنّه حدثه عن شيخ كان معهم في السفينة، شرس الأخلاق، يربد وجهه لذكر الشيعة، فلما سئل عن السبب، قال: ما أكره فيهم إلاّ هذه «الشين» التي في أوّل اسمهم فإنّي لم أجدها قط إلاّ في كلّ شر، وشؤم وو.. إلخ .

قال أبو عثمان - أي الجاحظ - فما ثبت لشيوعيّ بعدها قائمة^(٥١٨) .

هذه الأسطورة أو الدعابة التي ذكرها المؤلف كدليل على قوله: بأنّ التشيع أصبح بغيضاً إلى النفس، وسبيلاً إلى السخر والتهكم^(٥١٩) .

(٥١٦) فهرست ابن النديم ص ٢٤٩ .

(٥١٧) مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٦١ .

(٥١٨) انظر العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٠ .

(٥١٩) انظر أدب الشيعة ص ٢٠ .

وكان الأجدد بالمؤلف وهو يدرس هذا الموضوع بروحه الأدبية كما يقول: نسير في التاريخ السياسي للشريعة بروح الأديب لا بروح المؤرخ، أن يترك الخوض في مثل هذه الأكاذيب التي اخترعوها للدعاية والمجون للحط من خصومهم، والسيطرة على عقول السذج، لأنها أساليب تنافي العلم وتكشف عن العجز، ولكن الأستاذ حميدة مادام قد ارتضى لنفسه منهج الاتباع الذي يلغي العقل والعلم، فلا غرابة أن تكون مادته من ذلك، ولا مانع من أن نحاربه.

وأقول للمؤلف الأديب، لو أن السنة كانت موجودة في عصر الجاحظ وكان هذا الاسم معروفاً في ذلك الوقت لوضع الجاحظ إلى جنب هذه الاسطورة اسطورة أخرى، واخترع من بنات أفكاره وجود شيخ يكره السنة ويبغضهم، لأن السين في أول اسمهم لا يجدها إلا في كلّ سوء، وسقم، وسهاد، وسقر، وسل و. و .

ولكن اشتهار السنة كان في عصر متأخر من عصر الجاحظ؛ لأنّ هذا الاسم لم يظهر إلا بعد الثلاثمائة من الهجرة، وإنما ظهر هذا الاسم في القرن الرابع الهجري .

عندما قام أبو الحسن الأشعري في أول القرن الرابع الهجري في الرد على المعتزلة، بعد أن كان منهم، فأظهر دعوته إلى السنة، ومذاهب السلف^(٥٢٠) فانتشر مذهبه، وأظهر فيه مذهب السنة، وعرف اتباع عقيدته بهذا الاسم.

وقد انتشر مذهب الأشعري أيام وزارة نظام الملك، الذي كان أشعري العقيدة، وكان صاحب الكلمة النافذة أيام السلجوقيين، وأصبحت عقيدة الأشعري شبه عقيدة رسمية تتمتع بحماية البلاط.

وزاد في انتشارها وقوتها مدرسة بغداد النظامية التي كانت أكبر جامعة في العالم الإسلامي، كان الانتساب إليها شرفاً وفخراً للطالب والمتخرج ; وكانت وظيفة التدريس فيها مجداً للعالم، وشهادة علمية، فكان طبيعياً أن ينتشر المذهب الأشعري ويسود في العالم الإسلامي^(٥٢١) .

والغرض أنّ أمثال هذه الأمور ليس من العسير اختراعها في عصور اشتد فيها الخصام حتى اختل فيها توازن النقد والتهجم .

ومن الغريب إيراد أمثال هذه الأساطير في معرض الاستدلال والأبحاث الأدبية، ولا أدري ما معنى قوله: «فما ثبتت لشيعة بعدها قائمة؟» هل أنّ أثر هذه الأسطورة قضى على

(٥٢٠) مفتاح السعادة: ج ٢، ص ٣٧ .

(٥٢١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام للنووي - ١٣٨ .

دعوة التشيع فاستراح خصومهم، وهدأ جوّ المنازعات، إذ انتهى الدور الذي كان يدعو لذلك بمجرد أن تكلم ذلك الشيخ المجهول؟

أكانت هذه الكلمات أقوى من سيف معاوية بن أبي سفيان وادهى من سياسة زياد تجاه الشيعة؟ تلك السياسة التي يصفها المؤلف نفسه في ص ٣١: بأنها قامت على العسف والتنكيل، بكلّ من يحس فيه روح التشيع، وقد كان زياد من شيعة علي(عليه السلام) فكان بالشيعة أعرف، فأخذ يتتبعهم في كلّ سبيل، حتى أباد الألوف من شيعة الكوفة والبصرة، ومثل بهم اشنع تمثيل، فقطع الأيدي، والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم في جذوع النخل .

وناهيك بما فعلته غارات معاوية وحملاته على بلدان الشيعة الآمنة من قتل ونهب، وتخريب، وأعظمها غارة بسر بن أرطاة في اليمن وغيرها.

واستمرت الحالة بعد معاوية حتى جاء عهد الحجاج ذلك العهد الأسود فحكم السيف في رقاب الشيعة، فكان أحبّ إلى الرجل أن يقال له: زنديق وكافر، من أن يقال له: شيعي. وقد وصفه المؤلف بقوله:

ولكن الحجاج وإن غلت يده عن الهاشميين فقد انطلقت في شيعتهم يقتلهم، ويسفك دماءهم، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال له شيعة علي، وحتى خشي الناس من أن يتسموا بأسماء علوية.

وقف رجل في طريق الحجاج فقال: أيها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني علياً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك الحجاج وقال: بلطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا^(٥٢٢).

كلّ ذلك لم يخمد جذوة التشيع ولم يقعد بعزائهم عن المضي في مناصرة أهل البيت، والمناوأة لخصومهم، وكانت دماء شهدائهم تسقي بذور شجرة العقيدة - حتى استطاعوا أن يهدموا صرح الدولة الأموية قبل أن تهدم صرح التشيع .

وهكذا تمرّ الأيام ولهم في كلّ دور مواقف مشهودة وواجهوا من النكبات وعسف الولاة ما لم تواجهه طائفة أخرى، وليس بالإمكان عرض تلك الحوادث بهذه العجالة، وقد احتفظ التاريخ بها.

كلّ هذا وهم لم يخضعوا لسلطان جائر، ولم ينقضوا العهد الذي عاهدوا الله عليه، في سبيل المحافظة على وصايا رسوله الأعظم في آله الكرام .

ولم يترك خصوم الشيعة وسيلة في القضاء عليهم إلا استعملوها، حتى اتهموهم بالزندقة، والخروج عن الدين، على خلاف المعقول والواقع؛ كل ذلك تشويهاً للدعوة التي قام بها الشيعة، بإلقاء الشبهات عليهم من الوجهة الدينية، وصدرت الفتاوى بحقهم في الإبادة، فقد قتل الآلاف منهم بسبب ذلك، مما يطول بيانه - وليس بالشيء الجديد ذكره - فلم يقعد بالشيعة عن مواصلة الجهاد شيء من ذلك.

وأخيراً نأمل من المؤلف وغيره من إخواننا الكتاب - الذين يسوقون في معرض حديثهم عن الشيعة أمثال هذه الأساطير، فالأمر أرفع من ذلك - أن يخوضوا هذه الأبحاث أحراراً غير مقيدين في حدود ضيقة لا توصلهم إلى الحق والعدل، وأن لا يقبلوا كل شيء وقفوا عليه إلا بعد التمحيص فما أكثر الأمور الملققة، التي كانت من وراء الدوافع النفسية، والعوامل السياسية! وقد تحمل تبعاتها قوم خضعوا لذلك، ونقلها آخرون؛ وهكذا ضاعت الحقيقة وراء حجب الأغراض والله حسبنا ونعم الوكيل .

التاريخ السياسي للشيعة

يقول المؤلف في بداية الحديث تحت هذا العنوان :

نسير في التاريخ السياسي للشيعة بروح الأديب لا بروح المؤرخ. نسجل أثره الأدبي، وفواعله النفسية، فذلك بموضوعنا أليق:

منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - وشيعة علي تتطلب الخلافة له ولنسله - لأمر تجلت قبل، لذلك ظلت حياتهم بين وثبة واستعداد للوثبة، وغداً تاريخهم صفحة دامية، تذيب القلب وتستنزف الدمع .

ثم يستمر الأستاذ في الحديث فيتعرض لخلافة علي (عليه السلام) ونكت طلحة والزبير للبيعة، ويمضي للحديث عن صفين وبيان التحكيم... وكلّ هذا لا نريد أن نتحدث عنه، ولا نناقش الأستاذ في شيء منه، لا لأنّ كلّ ما ذكره هو وجه الصواب ففيه ما يستوجب النقاش ولفت النظر، ولكن ضيق المجال يدعو لأنّ نقتصر على أمور نشير إليها بإيجاز؛ لأنّ استيعاب ذلك أمر ليس من الممكن حصوله الآن، لأننا في معرض التنبيه عن أمور خاصة فلا نتعرض لأخطائه في سياسة الإمام علي (عليه السلام) كما في ص ٣٥ ولنترك حديثه حول الصلح كما أننا نسدل الستار بيننا وبين حديثه حول واقعة كربلاء واستشهاده على صفة قتل الحسين (عليه السلام) بقول زجر بن قيس إذ يصف ذلك عند يزيد، كما في ص ٣٧ ذلك الوصف الذي يمثل الحسين (عليه السلام) وأصحابه في معرض الهزيمة والاندحار، ولكن الأديب المؤلف قد دله

ذوقه الأدبي أن يستشهد بأحد قواد المعركة وهو رجل بمنتهى الاجرام، وقد مثل دور الوثنية، وعهود الجاهلية فيها.

ألا كان من المناسب - أو حسن الأدب - أن يستعرض واقعة كربلاء بدراسة واقعية، بعيدة كل البعد عن اتباع ذوي الآراء الشاذة، ممن انغمسوا في أتون العصبية، فافترضوا بتحاملهم البغيض فروضاً بعيدة عن الحق لا تتفق مع مقام الحسين (عليه السلام) ومكانته؟

نعم لو درس دراسة واقعية لأعطى البحث حقه، ولوقف على حقيقة الأمر، وظهر له أن من النقص أن يستشهد بقول رجل مجرم - كزجر بن قيس الذي اشترك في قتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبى عياله، وحمل رأسه، إلى يزيد طاغية زمانه، وعدو الإسلام اللدود، لنترك مناقشة المؤلف هنا ونعرض عن هذا الحديث - فهو حديث ذو شجون - كما أننا نفضل الاختصار في الرد والإيجاز في النقد، ونمضي بسرعة ونترك المؤلف حائراً يجيل وجهات النظر في المعاذير لمعاوية بن أبي سفيان في اعلانه سبّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) على المنابر ويحلو له أن تعجّ تلك المنابر بسبّ علي وآله .

ويقف المؤلف هنا حائراً وهو يخاطب نفسه فيقول في ص ٣٠: لن نستطيع أن نجتمع بين أمرين: دين معاوية وحلمه، ودهائه يحسبه الجاهل خوراً، حلماً يتسع به صدره إلى أن يسمع الاقذاع من الناس، والنقد لسياسته، فيقابل إساءتهم بالصفح، واقذاعهم بالعطاء ثم هو مع ذلك يحلو له أن تعج منابر بسبّ علي وآله.

وبهذا كان يفكر الأستاذ ويجيل النظر حتى اهتدى إلى حل هذه المشكلة بقوله:

ولعلّ معاوية - كساسة اليوم - قد علم أنّ الدعاية من أشد أسلحة الحرب مضاء، وابلغها نفاذاً، فاستعمل هذا السلاح ليصرف الناس عن آل البيت، ويحول قلوبهم عنهم، وفي هذا دوام ملكه، فاستحل سياسياً ما حرّمه الدين، ووضع لمن بعده شرعة السباب لهذا البيت الكريم، فاستعملها خلفاء بني أمية حتى غدت سخرية الناس وتندرهم إلى أن ابطلها إمام عادل... الخ

وبهذا انحلت تلك المشكلة التي تقف أمام الأستاذ في دراسته، فمعاوية استساغ سبّ علي لأجل الدعاية، وذلك لا ينافي الدين كما يظن الأستاذ، وهكذا يبدو المؤلف بهذا الموضوع بتفكيره الجديد في حلّ هذه المشكلة رغم عظيم وقعها .

ونحن كما قلنا لا نريد أن نقف هنا طويلاً، من الخير أن نشير إلى انكار الصحابة؛ منهم: أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فقد انكرت على معاوية فيما ارتكبه، فإنها أرسلت إلى معاوية تقول له :

إيكم تلعنون الله ورسوله، إذ تلعنون علي بن أبي طالب ومن يحبه وأشهد أن الله ورسوله يحبانه(٥٢٣).

* * *

ومرّ ابن عباس بقوم يسبون علياً(عليه السلام) فقال لقائده: أما سمعت هؤلاء ما يقولون؟

قال: سبوا علياً. قال: فردني إليهم. فردّه فقال :

أيكم الساب لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)؟

قالوا: سبحان الله! من سبّ رسول الله فقد كفر.

فقال: أيكم الساب لعلي؟

قالوا: أما هذا فقد كان. قال ابن عباس: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)يقول:

من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ أكبه الله على منخريه في النار(٥٢٤).

ولدينا أمثلة أخرى من انكار الصحابة على معاوية فيما ارتكبه من سبّ علي(عليه السلام)، وأصبح ذلك أمراً عاماً في جميع أطراف المملكة، ولكنّ المسلمين كانوا يقابلون ذلك بالإنكار، لأنّ صوت رسول الله يقرع أسماعهم في اعلانه بأنّ عليّاً نفسه، وهو منه كما أخرج البخاري أن النبي قال لعلي: أنت مني وأنا منك(٥٢٥) وأخرج ابن النجار عن ابن عمر والنضير عن عائشة أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)قال: علي نفسي(٥٢٦).

ولسنا بحاجة إلى إيراد كلّ ما صرح به (صلى الله عليه وآله وسلم) من بيان منزلة علي(عليه السلام) وألّه نفسه وألّه منه بمنزلة رأسه من بدنه(٥٢٧).

وقد شهد أصحابه(صلى الله عليه وآله وسلم) بشئى المناسبات بأنّه كان يشرك عليّاً في عمله؛ وينزله منزلة نفسه.

(٥٢٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٦٦.

(٥٢٤) النسائي في الخصائص ص ٢٤ والرياض النظرة ج ٢ ص ٢١٩.

(٥٢٥) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٨ وج ٤ ص ٢٠٧، وج ٥ ص ٨٥.

(٥٢٦) انظر الخصائص للنسائي ص ١٠٤ / ٧١.

(٥٢٧) الخطيب ج ٧ ص ٤١.

قال غرفة بن الحرث الكندي: شهدت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأتي بالبدن فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): أدعوا لي أبا حسن. فدعي له. فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): خذ بأسفل الحربة; وأخذ(صلى الله عليه وآله وسلم) بأعلاها، ثم طعنا بها البدن يوم النحر، فلما فرغ(صلى الله عليه وآله وسلم) ركب واردف علياً(٥٢٨).

قال الحافظ: اشترك(صلى الله عليه وآله وسلم) هو وعلي في نحر ثلاث وثلاثين بدنة. فهو(صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينزل علياً منزلة نفسه كما خصّه الله تعالى في ذلك بقوله عز وجلّ، قال: (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم)(٥٢٩).

ويحدّثنا البيهقي: أنّ رجلاً قام في مجلس ابن أبي عائشة فقال: يا أبا عبد الرحمن، من أفضل أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير.

فقال الرجل: فأين علي بن أبي طالب؟ فقال ابن أبي عائشة: تستفتيني عن أصحابه أم عن نفسه(صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقال الرجل: عن أصحابه. فقال ابن أبي عائشة: إن الله تبارك وتعالى يقول: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم... الآية)(٥٣٠) فكيف يكون أصحابه (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل نفسه؟(٥٣١)

* * *

إذاً فكيف يجتمع الدين مع اعلان السب لله ورسوله؟ وهل يكون الإنسان معذوراً إذا وجد طريقاً سياسياً لمخالفة الدين؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ ذلك السبّ منبعث عن البغض لعلي(عليه السلام) وبغض علي علامة النفاق. أخرج الترمذي عن عدي بن ثابت عن زرّ بن حبیش عن الإمام علي، قال: لقد عهد إليّ النبيّ الأمي(صلى الله عليه وآله) أنه: «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق». قال عدي بن ثابت: أنا من القرن الذي دعا لهم النبي(صلى الله عليه وآله)(٥٣٢). وإنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

* * *

(٥٢٨) شرح المواهب ج ٨ ص ١٩٤.

(٥٢٩) تحفة الأحوذى ج ٨ ص ٢٧٨.

(٥٣٠) آل عمران: ٦١.

(٥٣١) المحاسن والمساوى للبيهقي ص ٤٢.

(٥٣٢) صحيح الترمذي ج ١٣ ص ١٧٧.

وكذلك نترك الأستاذ المؤلف يماشي الشيخ الخضري ويذهب مذهبه في توجيه اللائمة على الحسين (عليه السلام) في خروجه على يزيد بن معاوية،^(٥٣٣) لأننا نفضل ترك الخوض في هذا الموضوع؛ لأنه يخرجنا عن الصدد في استعراض أخطاء الشيخ الخضري، وتهجمه على مقام الحسين (عليه السلام) مما يدل على نزعه، وانحرافه عن طريق الصواب .

والمؤلف فيما يظهر يؤيد ما ذهب إليه عن قناعة غير ناشئة عن تفهم الموضوع تفهماً واقعياً، لكنه استعذب القول فنقله بدون تريث، كما هو شأنه في كثير من آرائه التي لا يعترف بها العقل ولا يقرّها المنطق .

وعلى أيّ حال فليس من قصدنا أن نستوعب جميع ما في الكتاب من أشياء تستوجب النقد والرد.

ولنتحول الآن إلى أهم ما قصدناه في هذا العرض وأردنا إيضاحه وهو قضية ابن سبأ فلنجعلها بعنوان مستقل، ونبحثها على ضوء الواقع لنقف على الحقيقة التي هي أسمى هدف للمنصفين .

ابن سبأ مرة أخرى

ابن سبأ مرة أخرى

تمهيد

قلّما يصدر كتاب يتناول البحث عن تاريخ الإسلام إلا وعبدالله بن سبأ يحتلّ مكاناً في البحث ويشغل صحائف من الكتاب .

إنّ هذا الرجل الموهوم قد صوروه بألوان من الصور وأبرزوه بمختلف الأشكال . وقد وصفوه بأنّه بطل يخوض غمار الأهوال، ويتحمّل متاعب الانتقال، ومشقّة الأسفار، فمن المدينة لمكة، ومنها إلى البصرة، ثم الكوفة فالشام، ثم يجوب البراري ويقطع القفار. فلا يخلو منه مكان: هو موج ساحر أو برق يسير بسرعة الصوت.

إنّه داعية إحاد وشرك، يضلّل الناس بآرائه، ويسمّم العقول بقوله. يدعو إلى المبادئ اليهودية، والعقائد الزرادشتية، له سيطرة على العقول، وهيمنة على الأفكار، يقول فيصدق ويأمر فيطاع، يسوق العرب بعصاه، حتى انصاع له جمع من الصحابة - والعياذ بالله - واعتنقوا مبادئه كما يقولون وما أعظم ما يقولون! وأصبح أبو ذر خريج مدرسة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن شهد له الرسول بالصدق وعمار بن ياسر، المعذب - هو وأبوه وأمه - ، في الله من أنصار دعوته، وحملة عقيدته، والمتأثرين بأفكاره .

فتورة أبي ذر على ذوي الأثره الذين جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً كانت من آثار ابن سبأ - كما يفترون - والثورة على عثمان من دسائسه، وحرب الجمل من تصلّبه، ووقعة صفين عن أمره، ومبادئ التشيع من تفكيره وآرائه و. و. و.

فيالمهزلة العقل واسفاف الآراء، وخفّة الأحلام! وبالضياع الحقّ وظهور الباطل! إنّ اعظم شيء أن يحال بين العقل وبين الحقيقة ويزج به في متاهات من الاختلافات والتزييف والتضليل. ليكون من نتائجه التصديق بأكذوبة ابن سبأ وظهور نتاجات وكتابات كالتّي نحن بصدد تفنديها.

لقد حان الوقت لأن نلتفت إلى الوراء لنكشف حقيقة نشأة هذه الأسطورة، ونقف على عوامل تلك الأباطيل التي طالما ظلّت أيد سوداء ممتدّة فوقها في سكون وصمت .

إنّ تلك الأيدي العابثة بمقدّسات الدين، والتي تثير الغبار في طريق وحدة المسلمين، تتحرك اليوم بارتجاف واهتزاز، لأنّ الوقت قد حان لرفع الستار الذي تكمن وراءه، وافتضاح أولئك المحركين لها، لأنّ الوعي بوجود تدارك خطر الفرقة أصبح يندّر أولئك الدسّاسين بالخطر.

ويخطئ من يقول: بأن بحث قضية ابن سبأ من الأمور التي لا مندوحة في بحثها الآن وإثارتها في هذا العصر، فالزمن قد تغير، وهذه من دفائن الماضي، وليس من الصحيح نبش تلك الدفائن ونشر صحائف مطوية، أكل الدهر عليها وشرب .

وإننا نقول: إنّ هذه القضية ليست كما يتوهم المتوهمون بأنها من الصحائف المطوية، والآثار المنسية، بل هي في كلّ وقت غضة جديدة لا تغيرها الأيام مهما طال زمانها، فهي تنشر في كلّ وقت وتجعل من الأسس التي يستند إليها أكثر كتاب عصرنا الحاضر كوسيلة للطعن على الشيعة، وفي طليعة أولئك الكتاب شيوخ يرجى بهم سدّ ثغرة الخلاف، والسعي في اصلاح ما أفسدته ظروف قاسية، وعصور مظلمة.

وهناك أساتذة يؤمل بهم تنوير عقول الناشئة الإسلامية، بما يعود على الجميع بالنفع .

ولكنهم بمزيد الأسف استسلموا لعوامل كان أليق بهم أن يقفوا أمامهم موقفاً واعياً، يتمشّي مع مسؤوليتهم الملقاة على عواتقهم في تربية النشء وخدمة الأمة الإسلامية في اتباع مناهج الإسلام في التثبت في النقل، والاعتدال في النقد.

إنّهم قد نقلوا أشياء كثيرة بدون تثبت من صحتها، أو رجوع إلى مصادرها الموثوق بها. وأجلى مثال لذلك الاسترسال في تقبل كلّ شيء هو إيراد اسطورة ابن سبأ كدليل قاطع، وبرهان واضح لا يمكن ردّه وليس من المستطاع تكذيبه .

فقد توالى العصور والناس تتداول هذه الأكذوبة وتردد هذه الأسطورة، ولا بدّ من النظر الى الغد عندما تنجاب هذه الغمامة وتلك الحجب عن العقول والبصائر ويأخذ الجيل الواعي بنقد ما لا يقرّه العقل والمنطق، ونحن نرى اليوم الكثير من الكتاب والأساتذة الذين حكموا العقل ونزعوا قيود الاستسلام يبادرون الى رفض قصة عبدالله بن سبأ وكشف زيفها والتباسات قيامها، عند ذاك ماذا ستكون النظرة لمن أسهم في ترويج هذه الأكذوبة ونشر هذه الأسطورة.

نحن نرى أن لا مندوحة من التأكيد على الحقائق التي تضمّنها وقائع التاريخ منذ مبعث النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، ولا نرى بحال أنّ ذلك نبشاً للماضي، لأنّ جذور التشيع نمت في ظل الرسالة وولدت بذرتة معها، فحقائق الرسالة والسيرة النبوية وولاية الإمام علي (عليه السلام) ودور الأوصياء في حفظ الدين ورعاية الدعوة هي الوقائع التي تصاحب تطورات الأحداث وتختزن جوهر التاريخ. ولو نظرنا الى حملات العداء والكراهية لآل البيت الأطهار ومن يتولاها على امتداد العصور والأدوار لعلمنا أنّ القصد مصالح كاد يحققها الإسلام، وأغراضاً سياسية يحاربها الدين. ولقد كانت قصة عبدالله بن سبأ واحدة من

محاولات أعداء الحق وأهله ومحاربي دعاة العدل بقصد الإساءة الى مبادئ أهل البيت وتلطيخ تاريخهم الناصع الوضّاء.

ومن المؤسف أن نرى اليوم من يستسلم لمثل هذه الأسطورة ويتخلّى عن الأخذ بمقاييس العلم وأحكام العقل مستسلماً للنقل رغم وضوح جوانب الوضع وتهافت هذه القصة الأكذوبة. وللمثال نذكر ما كتبه بعض أولئك الرجال حول قضية ابن سبأ واستنتاجهم منها أموراً تركّز بحثهم عليها فمنهم :

أبو زهو

الشيخ محمّد أبو زهو - من علماء الأزهر الشريف وأستاذ كلية أصول الفقه في الوقت الحاضر - قال تحت عنوان «التشيع ستار لأعداء الإسلام»:

ويقيني أنّ التشيع كان ستاراً احتجب وراءه كثير من أعداء الإسلام، من الفرس واليهود، والروم، وغيرهم ليكيدوا لهذا الدين ويقلبوا نظام هذه الدولة الإسلامية...

إلى أن يقول: أخذوا - أي أعداء الإسلام - يتحسسون أبواب الضعف فلم يجدوا باباً أنجح لهم من الحيلة والخداع، فأظهر جماعة منهم الإسلام، وانضمّوا إلى أهل التشيع مظهرين محبة أهل البيت، وسخطهم على من ظلم علياً (رضي الله عنه)، ثم أخذوا يسلكون به مفاوز الفتن والمهالك، حتى أبعدوا كثيراً منهم عن التدين الصحيح، بما بثوه فيه من العقائد الزائفة، التي يدور معظمها على هدم قواعد الدين، والتحلل من تعاليم الإسلام وأحكامه، وأصل هذه الفتنة على ما ذكره المؤرخون: رجل يهودي يدعى عبدالله بن سبأ، غلا في حبّ علي حتى زعم أن الله تعالى حلّ فيه، وأخذ يؤلب الناس على عثمان... إلخ .

هذا ما يقرّه أخونا الشيخ المعاصر محمّد أبو زهو ويرسله إرسال المسلمات، فيلقيه على طلابه ليؤدي رسالة الأجيال التي تحمل في طياتها انتصار اليهود على المسلمين، وأنّ رجلاً واحداً منهم استطاع بمكره وخداعه، أن يسوق أصحاب محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويستدرجهم لأغراضه، ويفتنهم بدعوته فيستسلموا له بدون تدبّر وتفكير، ويقوموا بأمر لا باعث له إلاّ دعاية رجل يهودي فاستجابوا لدعوته، وخضعوا لإرادته وحاشاهم من ذلك، وهم أجلّ وأسمى، من أن ينزلوا إلى هذا الحضيض. ولكن الشيخ - سلمه الله - اقتنع بدون ما يوجب ذلك فنسأل الله لنا وله الهداية .

محمّد أبو زهرة

الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، جامعة القاهرة، يقول (٥٣٤) بعد ذكر الأسباب التي أدت إلى الفتن في عهد عثمان - : ولقد كان من نتائج هذا تولية عثمان ولاية من أقاربه، أن حرّك عوامل الاتهام بالمحاباة، وبعض هؤلاء لم يكونوا من ذوي السبق في الإسلام، وبعضهم كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أباح دمه إذ ارتد بعد إيمان «كعب الله بن سعد بن أبي سرح» وقد ولّاه عثمان بعد عمرو بن العاص وقد أخذ هذا - أي ابن العاص - يؤلب الناس على «عثمان» بسبب ذلك حتى كان يقول: «والله إن كنت لألقى الراعي فاحرضه عليه» - أي على عثمان - وانتشرت بتولية عبدالله حالة السوء عنه: إذ أخذ الناس يتحدثون عنه، وهو الرجل الذي آمن ثم كفر ثم كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم... وسلم.

إلى أن يقول: ومن الأسباب وهو أعظمها وجود طوائف من الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله، ويعيشون في ظله، وكان أولئك يلبسون لباس الإسلام، وقد دخلوا في الإسلام ظاهراً، وأضمرُوا الكفر باطناً، فأخذوا يشيعون السوء عن ذي النورين «عثمان» ويذكرون «علي بن أبي طالب» (رضي الله عنه) بالخير وينشرون روح النقرة في البلاد، ويتخذون مما يفعلُه بعض الولاة ذريعة لدعايتهم، وكان الطاغوت الأكبر لهؤلاء: عبدالله بن سبأ وقد قال فيه ابن جرير الطبري:

كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالهم فبدأ ببلاد الحجاز، ثم البصرة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ)، ثم محمداً أحق بالرجعة من عيسى...

ثم قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبيّ، ولكلّ نبيّ وصيّ، وكان عليّ وصيّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: محمداً خاتم النبيين وعليّ خاتم الأوصياء.

ثم قال بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وأيدوه بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتستميلوا الناس.. فبثّ

دعائه، وكان ممن استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتباً، يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكتبهم

اخوانهم بمثل ذلك، ووسّعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدو .

وهكذا نرى شيخ المؤرخين «الطبري» بين كيف كانت مؤامرة هؤلاء لإفساد المسلمين واتخذوا من الشكوى من بعض ولاة عثمان ذريعة للدعوة إلى الانتفاض وبث الأفكار المنحرفة، المفرقة إلى أن يقول :

وفي ظلّ هذه الفتن نبت المذهب الشيعي وإن كان الشيعة ومعهم غيرهم يقول: إنّ جذوره تمتدّ إلى وقت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. انظر المذاهب الإسلامية ص ٤٦ - ٤٧ .

أحمد أمين

وهذا الأستاذ أحمد أمين يصفه بأنه ممن أوعز إلى أبي ذر - صاحب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) - بتعاليمه فتأثر بها إذ يقول :

ونلمح وجه الشبه بين رأي أبي ذر الغفاري وبين رأي مزدك في الناحية المالية فقط، فالطبري يحدثنا: «أن أبا ذر قام بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء، واسوا الفقراء، بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوي من نار تكوى بها جباههم وظهورهم. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الأغنياء، وحتى شكّا الأغنياء ما يلقونه من الناس» ثم بعث به معاوية إلى عثمان بن عفان بالمدينة حتى لا يفسد أهل الشام. ولما سأله عثمان: ما لأهل الشام يشكون ذربك؟ قال: لا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا .

يقول أحمد أمين: فترى من هذا أن رأيه قريب جداً من رأي مزدك في الأموال. ولكن من أين أتاه هذا الرأي؟

وبعد أن يوجّه الأستاذ أحمد أمين هذا السؤال ويفكر عن وجود هذه الفكرة عند الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري (رحمه الله) وهنا ينقدح له الجواب عن ذلك فيقول :

يحدثنا الطبري أيضاً عن جواب السؤال فيقول: «ان ابن السوداء لقي أبا ذر فأوعز إليه بذلك، وان ابن السوداء هذا أتى أبا الدرداء وعبادة بن الصامت، فلم يسمعا لقوله، واخذه عبادة إلى معاوية وقال له: هذا والله الذي بعث عليك أباذر(٥٣٥) .

ثم يقول بعد ذلك: ونحن نعلم أن ابن السوداء هذا لقب لقب به عبدالله بن سبأ، وكان يهودياً من صنعاء، أظهر الإسلام في عهد عثمان، وأنه حاول أن يفسد على المسلمين دينهم، وبثّ في البلاد عقائد كثيرة ضارة قد نعرض لها فيما بعد، وكان قد طوف في بلاد كثيرة - في الحجاز، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر - ، فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه

الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن، واعتنقها أبو ذر حسن النية في اعتقادها وصبغها بصبغة الزهد التي كانت تجنح إليها نفسه، فقد كان من أتقى الناس، وأورعهم وأزهدهم في الدنيا، وكان من الشخصيات المحبوبة، التي أثرت في الصوفية^(٥٣٦).

* * *

الخطيب

ونرى أنفسنا مضطرين لأن ننقل ما كتبه الخطيب المعروف بمحبّ الدين؛ ليستبين القارئ ما بلغته الحالة من الاعتماد على الأكاذيب، والأخذ بالأساطير، وجعل ذلك في طريق الحجاج، كما يتجلى التحدي لمقام الصحابة الكرام، والطعن عليهم بدون مبرر وإنما هو جراءة على مخالفة الحق والانصياع لداعية الهوى.

وهذا الرجل قد صبّ هذه الأسطورة بقلب رغباته، وأبرزها في اطار هواه - وكم له من اختراع في شتى المجالات - بدون أن يستند إلى دليل، أو يعتمد على مصدر . يقول: - بعد ذكره لابن سبأ - إنّ هذا الشيطان هو عبدالله بن سبأ من يهود صنعاء، كان يُسمى ابن السوداء، وكان يبيّث دعوته بخبث وتدرج ودهاء، واستجاب له ناس من مختلف الطبقات.

إلى أن يقول : وعني بالتأثير على أبناء الزعماء من قادة القبائل، وأعيان المدن، الذين اشترك آباؤهم في الجهاد والفتح، فاستجاب له من بلهاء الصالحين، وأهل الغلو من المتنطعين جماعات - كان على رأسهم في الفسطاط: الغافقي بن حرب العكي، وعبدالرحمن بن عديس البلوي التجيبي الشاعر، وكنانة بن بشر، وسودان بن حمران، وعبدالله بن زيد بن ورقاء، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعروة بن النباع الليثي وقتيرة السكوني...

وكان على رأس من استغواهم ابن سبأ في الكوفة: عمر بن الأصم، وزيد بن صوحان العبدى، والأشتر مالك النخعي، وزباد بن النظر الحارثي وعبدالله بن الأصم .

ومن البصرة: حرقوص بن زهير السعدي، وحكيم بن جبلة العبدى

وذريح ابن عباد العبدى، وبشر بن شريح، والحطم ضبيعة القيسي، وابن المحرش بن عبد.

أمّا المدينة فلم يندفع في هذا الأمر من أهلها إلا ثلاثة نفر: محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة، وعمار بن ياسر .

ومن دهاء ابن سبأ ومكره: أنه كان يبيت في جماعة الفسطاط الدعوة لعلي، وفي جماعة الكوفة الدعوة لطلحة، وفي جماعة البصرة الدعوة للزبير.. ثم يذكر تزوير الرسائل من قبل ابن سبأ .

ثم يوجّه الخطيب لومه على أهل المدينة بل نقده للصحابة فيقول: وكان ينبغي أن يكون ذلك سبباً ليقظتهم ويقظة علي أيضاً إلا أن بين المسلمين من يزور عليهم الفساد لخطّة مرسومة تنطوي على الشر الدائم والشر المستطير، وكان ذلك كافياً لإيقاظهم إلا أن هذه اليد الشريرة هي التي زورت الكتاب على عثمان، بدليل أن حامله كان يتراءى لهم معتمداً ثم يتظاهر بأنه يتكتم عنهم، ليشير ربيتهم فيه، فراح المسلمون إلى يومنا هذا ضحية سلامة قلوبهم في ذلك الحين... إلخ^(٥٣٧) .

* * *

وهكذا رسخت هذه الأسطورة في أدمغة كثير من الكتاب المعاصرين وغيرهم، ولا نودّ الاستمرار بأقوال الآخرين منهم، وبما ذكرنا كفاية لإيضاح الموقف وخطره.

فابن سبأ - كما مرّ عليك من الأقوال وكما تقف عليه في غير هذه الكتب - هو الذي حرك أبا ذر على معارضة معاوية في تصرفه بالأموال، وأنّ تلك الفكرة لم تكن من روح الإسلام وتعاليمه، وإثما هي فكرة مزدكية، وكأنّ الآيات التي استشهاد بها أبو ذر كانت من تعاليم ابن سبأ لا من تعاليم الإسلام.

كما أن هؤلاء الذين ذكرهم الخطيب من صحابة وتابعين، أصبحوا يترأسون دعوة ابن سبأ - وهم البلهاء، أو أهل الغلو - على حدّ تعبير الخطيب - كعمار بن ياسر الذي ستقف على ترجمته قريباً وعبدالله بن زيد، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحكيم بن جبلة العبدي، وزيد بن صوحان و..

وأيّ جناية أعظم من هذه الجناية في هذا التهجم العظيم على رجال الأمة وعظمائها؟ ولا ندري ما هو دليل هذا الحكم، وسند هذه الأقوال؟ نعم ليس له مصدر إلا الطبري كما سيأتي .

وهذا الكاتب بالأخص - وهو الخطيب - لا يثق بأقوال الطبري إلا بشروط ستقف عليها. ولكن قضية ابن سبأ قد وافقت هوى في نفسه، فأصبح فيها - كحاطب ليل - خضوعاً لهواه .

من أين وإلى أين؟

إنّ قضية ابن سبأ قد لاقت هوى في قلوب كثير من الكتاب من مستشرقين وغيرهم؛ فأحاطوها بعناية خاصة، ومنحوها مزيداً من البيان فأسبغوا عليها ألفاظاً براقة خلابة دبجتها أقلامهم وصاروا يقررونها ويرددونها ترديد المؤمن بصحتها الوثائق بوقوعها، وكأنّها من الحقائق التي لا تقبل التشكيك، ولا ينالها النقاش من دون التفات إلى ما وراء الأكمة من الخطر .

وبمزيد الأسف أنّهم غفلوا أو تغافلوا عن مصدر هذه القضية من أين ابتدأت وإلى أين انتهت بأثرها العظيم وما كان من ورائها من نتائج سيئة وعواقب وخيمة .

فابن سبأ يقولون عنه - كما تقدم - هو مثير الخلافات بين المسلمين وهو مؤسس مذهب يربو على مائة مليون^(٥٣٨)، وهو البطل الذي استطاع أن يحقق آماله في مصر - بعد أن فشل في غيرها من البلدان الإسلامية - فجمع الجموع، وتوجه إلى عاصمة المسلمين، وفيها الخليفة عثمان ليقلب نظام الحكم، وقد تم له ما أراد كما ذكره الشيخان: أبو زهو، وأبو زهرة وغيرهما .

وهو الذي سيطر على مشاعر أبي ذر الصحابي الجليل - الذي وصفه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بالصدق - فأعلن على معاوية انكاره في احتكار الأموال .
وانّ ابن سبأ لقّن أبا ذر فكرة مزدك المجوسي الإباحي - نعوذ بالله من
خطل الرأي - .

وإن ابن سبأ استطاع أن يجعل من كبار الصحابة أعضاء لدعوته، ودعاة لفكرته، إلى آخر ما أحيطت بهذه القضية من مبالغات، وهي تزداد على ممرّ الأيام، ولا نعلم إلى أين ينتهي ذلك ما دام ضوء البحث والتتبع لم يتوجه إليها وما دامت الأقلام تكتب بدون مراعاة لحقّ العلم .

ويجب على كلّ مفكر أن يتساءل عن مصدر هذه القصة، وما هو المنبع الذي استقى منه المؤرخون، ومن بعدهم الكتاب من مستشرقين وغيرهم.

وهل تواتر النقل من طرق متعددة حتى يصبح الاعتماد عليها، وتكون ذات قابلية لا اعتبارها من الأمور التاريخية التي تعالج بعناء من حيث الدقة في تعيينها لما فيها من ملابسات، وما تضمنته من أمور لا يقبلها العقل حتى لو وردت بطرق متعددة موثوقة بها؟

ربما يظنّ أنّ لهذه القضية مصدراً موثقاً به نظراً لشهرتها وانتشارها، في عدة كتب من كتب التاريخ والأدب، ولكن كلّ ذلك لم يكن، وليس لها أي مصدر يمكن الركون إليه كما سنبينه إن شاء الله.

وبغض النظر عن مصدر القصة، والبحث عن سندها، ومعرفة رجالها فإنّ العقل يحكم بسقوطها عن الاعتبار، لما فيها من مخالفة للعقل وبعد عن الحقّ وعدم ارتباطها بالواقع . ولهذا فإنّ اللائق بمقام الأديب الباحث، أو المؤرّخ المنصف، أو الأستاذ المثقف، أن يقف موقف المتنبّث كما يقتضيه الحقّ ويفرضه الواجب العلمي، إذ المسألة ذات أهمية كبرى، لأنّها تضمّنت الخطّ من مقام المسلمين وسلبتهم ميزة التفكير، والنظر في الأمور عندما اطاعوا رجلاً لم يعرفوه، وساروا وراء خداعه سير الأغنام .

وفيها طعن على كبار الصحابة، وتوهين لرجال الإسلام، ووصفهم بالبلاهة - على حدّ تعبير بعضهم - وانصياعهم لأقوال وافد غريب، وداعية شرك وإلحاد، هذا من جهة. ومن جهة ثانية أنّ فكرته لم تلق نجاحاً إلا في مصر، فإنّهم انخدعوا فيه بسرعة، ومالوا إليه بأقصر وقت، وهو داعية مجهول، ورائد غريب، كيف يقوم فيهم بكلّ صراحة، ومن دون حذر، يدعوهم ويؤلّبهم على الانتفاضة ضد سلطان قائم، ويحثّهم على العصيان بدون سبب ولا سابقة؟

فأين أهل الرأي وذوو الحزم وذوو التفكير، أكانوا كلّهم بلهاء^(٥٣٩) لا يعقلون؟! إنّ هذا ليس من العقل ولا من المنطق أن تخضع مصر بهذه السرعة وهي الأمة المسلمة، وفيها أصحاب محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) من ذوي العقول الراجحة والفكر الثاقب، وذوي الخبرة والتجارب .

* * *

ولنترك الحديث للدكتور طه حسين حول أسطورة ابن سبأ وما فيها من مخالفات للواقع - باختصار - .

يقول الدكتور في كتابه الفتنة الكبرى عثمان الفصل ١٤ :
وهناك قصة أكبر الرواة المتأخرون من شأنها، وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء مصدراً لما كان من الاختلاف على عثمان، ولما أورث هذا الاختلاف من فرقة بين المسلمين لم تمح آثاره، وهي قصة عبدالله بن سبأ الذي يعرف بابن السوداء.

(٥٣٩) هكذا يعبر الخطيب المعروف (بمحب الدين) .

قال الرواة: كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء حبشي الأم، فأسلم في أيام عثمان، ثم جعل ينتقل في الأمصار يكدد للخليفة ويغري به، ويحرّض عليه، ويذيع في الناس آراء محدثة أفسدت عليهم رأيهم في الدين والسياسة جميعاً...

وإلى ابن السوداء يضيف كثير من الناس كل ما ظهر من الفساد والاختلاف في البلاد الإسلامية، أيام عثمان، ويذهب بعضهم إلى أنه أحكم كيده إكاماً، فنظم في الأمصار جماعات خفية تتستر بالكيد؛ وتتداعى بينها إلى الفتنة، حتى إذا تهيأت لها الأمور وثبت على الخليفة؛ فكان ما كان من الخروج والحصار وقتل الإمام .

ويخيل إليّ أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحدّ يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ اسرافاً شديداً، وأول ما نلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة التي قصت أمر الخلاف على عثمان، فلم يذكره ابن سعد حين قص ما كان من خلافة عثمان، وانتقاض الناس عليه، ولم يذكره البلاذري في أنساب الأشراف، وهو فيما أرى أهم المصادر لهذه القصة وأكثر تفصيلاً. وذكره الطبري عن سيف بن عمر، وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر .

ولست أدري أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن؟ ولكن أقطع بأنّ خطره - إن كان له خطر - ليس ذا شأن، وما كان المسلمون في عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان...

ومن أغرب ما يروى من أمر عبدالله بن سبأ هذا أنّه هو الذي لقن أبا ذر نقد معاوية فيما يقولون من أنّ المال هو مال الله، وعلمه أن الصواب أن يقول: إنه مال المسلمين. ومن هذا التلقين إلى أن يقال إنّّه هو الذي لقن أبا ذر مذهبه كلّ في نقد الأمراء والأغنياء...

فالذين يزعمون أنّ ابن سبأ قد اتصل بأبي ذر فألقى إليه بعض مقالته يظلمون أنفسهم، ويظلمون أباذر ويرقون بابن السوداء هذا إلى مكانة ما كان يطمع في أن يرقى إليها.

والرواة يقولون: إنّ أبا ذر قال ذات يوم لعثمان بعد رجوعه من الشام إلى المدينة: لا ينبغي لمن أدى زكاة ماله أن يكتفي بذلك حتى يعطي السائل، ويطعم الجائع، وينفق في سبيل الله، وكان كعب الأحبار حاضراً هذا الحديث. فقال: من أدى الفريضة فحسبه. فغضب أبو ذر وقال لكعب: يا ابن اليهودية! ما أنت وهذا ! أتعلّمنا ديننا؟ ثم وجأه بمحجنه. فأبو ذر ينكر على كعب الأحبار أن يعلمه دينه، بل أن يدخل في أمور المسلمين حتى بإبداء الرأي، مع أنّ كعب الأحبار مسلم، أبعد عهداً بالإسلام من ابن سبأ وكان مجاوراً في المدينة...

وأكبر الظن أنّ عبدالله بن سبأ هذا إن كان كلّ ما يروى عنه صحيحاً إنّما قال ما قال ودعا إليه بعد أن كانت الفتنة، وعظم الخلاف، فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها، وأكبر الظن كذلك

أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ هذا ليشككوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية، وليشنعوا على علي وشيعته من ناحية أخرى، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودي أسلم كيداً للمسلمين.. إلى أن يقول : هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل ولا تثبت للنقد، ولا ينبغي أن تقام عليها أمور التاريخ. ثم يأخذ الدكتور في بيان أسباب الثورة على عثمان. تركنا التعرض لها^(٥٤٠).

المدينة المنورة

ثم نعود لعاصمة المسلمين المدينة المنورة وفيها المهاجرون والأنصار الذين خاضوا غمار الحرب في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وفي طليعتهم الإمام علي بن أبي طالب . كيف يصحّ أن يقال بأنهم استسلموا ولم يقفوا موقف الحزم أمام جيش قاده ابن سبأ، وقطع به تلك المسافة البعيدة من مصر إلى المدينة، فيحتلها، ويقلب نظام الحكم، ويقتل الخليفة، ولم يقف المسلمون موقف الدفاع، لإنقاذ الموقف ودفع هذه الكارثة.

ولكن الواقع هو غير هذا؛ فإنّ الثورة لم تكن من مصر فقط، ولم يكن القائد لها ابن سبأ إذ لا وجود له، وإثما كانت من المدينة للاستياء العام الذي انتشر في بلاد الإسلام من سوء تصرف الأمويين، وأعمال مروان خاصة، ممّا دعا إلى تداول الرأي بين الصحابة لاصلاح الوضع الراهن، كما ذكر ذلك أكثر المؤرخين .

ولنترك الحديث للأستاذ أحمد أمين: في آخر مؤلف ظهر له وهو «يوم الإسلام، يقول أحمد أمين: وقد سار عثمان في السنين الست الأولى سيرة عادلة رحيمة، ولكنه في الست الأخيرة كانت قد كبرت سنه، وخضع لأقاربه من الأمويين، فترك تصرف الأمور لرئيسهم مروان بن الحكم الأموي... فأغضب ذلك كثيراً من الصحابة، وخصوصاً علياً والزبير وطلحة وغيرهم، فأرادوا أول الأمر أن يحرروا الخلافة من هذه السلطة، فنصحوا عثمان بالاعتزال فأبى، ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى كان عثمان في المدينة، وليس معه إلا نفر قليل من الأصدقاء، وكان من أكبر الشخصيات في محاربتة وتأليب الناس عليه - عائشة بنت أبي بكر، واستطاع خصومه جميعاً أن يثيروا الأمصار عليه، واجتمع أهل المدينة حول بيته، ورفضوا أن يتزحزحوا عنه، وثار المصريون أيضاً لما علموا أنّ كتاباً كتب باسم عثمان إلى عامله عبدالله بن أبي سرح يأمره فيه بالفتك بالزعماء عند عودتهم..^(٥٤١)

(٥٤٠) راجع الفتنة الكبرى ص ١٣٤ .

(٥٤١) انظر يوم الإسلام لأحمد أمين ص ٥٧ .

ويقول: وكان من أهم ما نقم الناس على عثمان أن طلب منه عبدالله بن خالد بن أسيد الأموي صلة فأعطاه أربعمئة ألف درهم، وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن نفاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأعطاه مئة ألف درهم، وتصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بموضع سوق المدينة على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم، وأقطع مروان فذك، وقد كانت فاطمة طلبتها بعد وفاة أبيها، تارة بالميراث، وتارة بالنحلة، فدفعت عنها وحمي المرعى حول المدينة كلها، من مواشي المسلمين كلها إلا عن بني أمية، وأعطى عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقيا بالغرب، وهي من طرابلس إلى طنجة من غير أن يشركه أحد من المسلمين.

وأعطى أبا سفيان مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمئة ألف وقد كان زوج ابنته أم أبان. فجاء زيد بن أرقم صاحب المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى.

فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟ قال: لا ولكن أبكي لأنني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت انفقته في سبيل الله في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والله لو أعطيت مروان مئة درهم لكان كثيراً. فقال عثمان: إلق المفاتيح فإننا سنجد غيرك.

وأتاه أبو موسى الأشعري بأموال كثيرة من العراق فقسّمها كلها في بني أمية. وزوج الحارث بن الحكم فأعطاه مئة ألف من بيت المال، ونفى أبا ذر (رحمه الله) إلى الربرة لمناهضته لمعاوية في الشام في كنز الذهب والفضة.

وضرب عبدالله بن مسعود حتى كسر أضلاعه، وعدل عن طريق عمر في إقامة الحدود، وردّ المظالم، وكفّ الأيدي العابثة، والانتصاب لسياسة الرعية... إلخ^(٥٤٢).

* * *

وكيف كان فإنّ الثورة ابتدأت من المدينة، وقام جلّ الصحابة في المعارضة لإصلاح الوضع مما إرتكبه الأمويون عندما استغلوا تلك الفرصة. وقد كاتب الصحابة أهل الأمصار: إن أردتم الجهاد فهلمّوا فإنّ دين محمد قد أفسده خليفتم^(٥٤٣).

المصدر

نرى أنفسنا ملزمين بأن نستعرض مصدر هذه القصة، ونقف على المنبع الذي استقى منه الكتاب معلوماتهم عنها، لأننا قد وجدنا بعض الكتاب ممن يميل إلى التشكيك في صحتها؛

(٥٤٢) يوم الإسلام لأحمد أمين ص ٥٨ - ٥٩ .

(٥٤٣) انظر البلاذري ج ٥ ص ٦٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ١٦٨، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٤٤ وغيرهم .

ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا ذلك بصراحة لأنهم يظنون أنها متعددة الروايات متواترة عن الثقات من المؤرخين، الأمر الذي يدعو إلى عدم طرحها ولكنه ينفي المبالغات التي فيها. ويذهب بعضهم إلى الجزم بصحتها لأنها وردت عن راو خرج حديثه الترمذي^(٥٤٤)، ومن هذا وذاك اختلط الأمر على كثير منهم.

يقول الدكتور ضياء الدين الرئيس: وقد أخذ بعض المؤلفين يميل إلى الشك في شخصية هذا الرجل - وهو عبدالله بن سبأ - ولكن تعدد الروايات عنه، وتواتر أنباء الثقات من المؤرخين تؤيد القول بوجوده، وإن كان محل المبالغة أنهم ينسبون إليه كل ما حدث في عهد عثمان ويحملونه تبعته... إلخ^(٥٤٥).

فالدكتور الرئيس هو واحد من أولئك الذين اشتبه عليهم الأمر فظن تعدد طرق الروايات لقضية ابن سبأ إذ وجدها مذكورة في عدة كتب، ولكنه لا يرى صحة ما أحاط بهذه الشخصية من حكايات، فهو يذهب إلى وجود شخصيته مجردة من المبالغات، وكلّ اعتماده في هذا القول هو أنّ الروايات متعددة، والأنباء عن ابن سبأ متواترة، قد نقلها الثقات من المؤرخين. ونحن هنا نستشعر إدراكه للحقيقة وميله إلى الشك بوجود شخصية في التاريخ اسمها عبدالله بن سبأ، غير أنه لا يقوى على الإفلات من تأثير الأساليب القديمة وقواعدها والتي أخذت من طبيعة العمل بالرواية واتصالها بالحديث الشريف، فكان ما يرويه الثقات قطعياً وإن كان الأمر يتعلق بحوادث أو أفكار أو أشخاص لكلّ الناس الحق في النظر إليها نظرة واقعية، ونرى أنّ واجبنا العلمي يقضي بتوجيه أشعة البحث العلمي لنرى على ضوءه ما كمن في ظلمات الجهالة من حقائق يلزم إبرازها، وإزالة كل ما يعترئها من خفاء. ولا شك أنّ مسألة كهذه يجب على كلّ باحث حرّ أن يعطيها مزيداً من الوقت؛ لأنها ذات نتائج وخيمة أدّت بالمجتمع إلى أضرار ووقوع فواحذ يذوب لها قلب كلّ مسلم، فلننظر على ضوء البحث ما هو مصدرها؟

إنّ المصدر الأوّل لهذه القضية التي لم يسبقه أحد إلى ذكرها هو: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠ هـ) صاحب التفسير الكبير، ومؤلف تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري. وهو المصدر الوحيد لهذه القصة وجميع ما يتعلق بأخبار عبدالله بن سبأ. وأخذ عن ابن جرير كلّ من ابن الأثير المتوفى سنة (٦٣٠ هـ) وابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) وابن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨ هـ) وغيرهم.

(٥٤٤) صحيح الترمذي ج ٥ ص ٦٩٧، ح ٣٨٦٦.

(٥٤٥) النظريات السياسية الإسلامية ص ٤١.

وكل ما أورده ابن جرير حول أخبار ابن سبأ وحوادث عهد عثمان وأخبار الردّة إنّما كان مصدره سيف بن عمر المتوفى في عهد الرشيد أو بعده .

وليس لنا أن نتكلم حول ابن جرير ونقله لأمثال هذه الأسطورة، فإنّه نقل أقوالاً وذكر ما بلغه وسمى قائلها، وترك للباحث الحكم لها أو عليها وقد خرج الطبري عن عهدة المؤاخذات بما ذكره في مقدمة كتابه بقوله:

«فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه، أو يستشنع سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنّه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنّما من قبل بعض ناقله إلينا، وإنّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا»^(٥٤٦).

* * *

وبهذا فهو لم يقرّر صحة كل ما نقل إليه، وقد ترك باب النقاش مفتوحاً للباحث، كما أنّه يأتي في كتابه بالأخبار المتعارضة التي يستحيل أن تصح معاً، ولا يتعرض لها بالموازنة والترجيح إلا إذا دعت الحاجة لذلك.

والطبري، لاشك مؤرخ جليل وفقه عالم، نذر نفسه للعلم والمعرفة ومن وجوه علمه أن يجعل في المقدمة تنبيهاً على طريقة كتابته لتاريخ الأمم والملوك وبيان أنه أخذ أخبار الماضين كما نقلت إليه وبذلك فهو ينأى بنفسه عن مؤاخذات عدم الصحة والاختلاق والوضع، ولم يجعل نفسه وراء نقوله والأخبار التي أثبتّها، ولم يطالبنا بتصديق كلّ ما ورد في كتابه والاعتراف منا بصحة ما ضمّه تاريخه.

أخبار الطبري

ونرى من الأنفع هنا أن ننقل للقارئ الكريم ما كتبه الخطيب - المعروف بمحب الدين - حول تاريخ الطبري. يقول الخطيب:

إنّما ينتفع بأخبار الطبري من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل، فتراجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد في مثل تذكرة الحفاظ للذهبي، وتراجم الرواة الذين كانوا إلى أواخر المائة الثانية توجد في خلاصة تذهيب الكمال للصفى الخزرجي، وتهذيب التهذيب للحافظ بن حجر، والذين تناولهم الجرح من الضعفاء يترجم لهم الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال، وفي طبقات ابن سعد، وتاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير، وإن كتب مصطلح الحديث تبين

الصفات اللازمة للراوي، ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف، ولا نعرف أمة عني مؤرخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها، وشروط الانتفاع بها كما عني بذلك علماء المسلمين، وأنّ العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي .

أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم، ولا يتعرفون إلى رواتها ويكتفون بأن يشيروا في ذيل الخبر إلى الطبري رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني، ويظنون أنّ مهمتهم قد انتهت بذلك فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي من ألوف الأخبار .

ولو أنهم تمكّنوا من علم مصطلح الحديث وأنسوا بكتب الجرح والتعديل واهتموا برواية كلّ خبر كاهتمامهم بذلك الخبر، لاستطاعوا أن يعيشوا في جو التاريخ الإسلامي، ولتمكّنوا من التمييز بين غثّ الأخبار وسمينها، ولعرفوا للأخبار أقدارها، بوقوفهم على أقدار أصحابها^(٥٤٧).

* * *

هذا ما يقرره الكاتب الخطيب. وقبل أن ندخل في موضوع البحث عن سند الروايات في قضية ابن سبأ نوّد أن نسأل هذا الكاتب :

هل التزم هو بما قرره هنا فبحث عن رجال السند لما ينقله عن الطبري وغيره؟ وهل تمكن من علم مصطلح الحديث؟ وأنس بكتب الجرح والتعديل فوقف عن قبول رواية من جرحوه؟ وتقبل رواية من عدلوه؟ فإن أجاب بنعم. فالواقع يكذبه، لأنّه أورد في كتاباته أشياء لا تستند إلى مصدر موثوق به، فقرر قبولها طاعة لهواه .

وأجلى مثال لذلك هو ما ذكرناه هنا عن قضية ابن سبأ التي انفرد بها الطبري، ولم يكن في سند الرواية من يتصف بصفة القبول فكيف اعتمد عليها؟ ولا أدري أنّ ما ذكره هنا لماذا لا يطبقه على نفسه بل يريد ذلك للغير؟ وما هو إلا من الأمرين بالمعروف التاركين له الناهين عن المنكر الفاعلين له. وإلى القراء بيان سند الرواية ليوضح لهم أنّ ما كتبه الخطيب لا يعدو حبراً على الورق .

السند

رأينا فيما سبق كيف أخذت اسطورة ابن سبأ مأخذها في التاريخ الإسلامي، وشقت طريقها إلى الهدف الذي وضعت من أجله، وهو الطعن في عقائد المسلمين، وإبرازهم في إطار الجهالة والانخداع، ممن يتظاهر لهم بأمور ينسبها إلى الدين، وقد عبّر كثير من الكتاب عن أولئك الرجال العظام الذين يدّعي بعض الكتاب أنهم استجابوا لابن سبأ: بأنهم قبلوا ذلك عن حسن نية. وبعضهم يصفهم بالبلاهة، وبعضهم بالغلو إلى آخر ما عندهم من سوء التعبير.

وقد رأينا أيضاً أنّ ابن سبأ أصبح ذا قوة وسلطان ينشر عقائده، ويبثّ مفسده في المجتمع الإسلامي بدون خوف من سلطان، أو حذر من مؤاخذة الرأي العام، حتى استطاع أن ينحرف بأكثر المسلمين عن جادة الحقّ بدون أن تمسّه عقوبة، أو يناله ضرر من ولاية الأمصار الذين عرفوا منه السعي بما يضرّ بالدولة، في دعوة الناس إلى ثورة ضد الخليفة عثمان.

وقد ذكروا أنّ والي البصرة أكتفى بإخراجه من البلد، وأنّ معاوية عندما علم بأمره لم يعمل معه أي شيء، وابن أبي سرح في مصر لم يؤاخذ به شيء، وهو يرى تحشد جموعه، وتأهبهم لغزو المدينة، لحدوث انقلاب إلى آخر ما ذكره من تهويل أمره ورفع شأنه. يقول الدكتور طه حسين - بعد ذكره لقضية ابن سبأ واستبعاده صحتها - :

فلنقف من هذا كله موقف التحفظ، والتحرج والاحتياط، ولنكبر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يعبت بدينهم، وسياستهم، وعقولهم رجل أقبل من صنعاء، وكان أبوه يهودياً، وكانت أمه سوداء وكان هو يهودياً ثم أسلم - لا رغباً ولا رهباً - ولكن مكرراً وكيداً وخداعاً، ثم أتيح له من النجح ما كان ينبغي، فحرّض المسلمين على خليفته حتى قتلوه وفرّقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً .

هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل، ولا تثبت للنقد، ولا ينبغي أن تقام عليها أمور التاريخ^(٥٤٨)

نعم إنّ هذه الأمور التي أحاطت بهذه القصة وما تضمّنته من أشياء لا يمكن تصديقها - وهي كافية في طرحها، وعدم الاعتماد عليها، ولا حاجة بعد هذا إلى البحث عن السند ومعرفة حالة الرواة، لأنّ ذلك - كما هو الواقع - شيء زائد لا يحتاج إليه .

ولكن نظراً لما لهذه القصة من أهمية، وأنّ بعضهم يظنّ أنّ روايتها ثقات فقد دعت الحاجة إلى معرفة حالة رجال السند، والاستماع لأقوال علماء الرجال ليتّضح الأمر، وتظهر الحقيقة، ويكون الحكم للعقل لا للعاطفة وللعلم لا للجهل، وللحق لا للباطل .
وأنّ مستند هذه القصة هو واحد لا غير وهو سيف بن عمر، وقد انفرد الطبري بذلك وعنه أخذ بقية المؤرخين كما سبق. والآن نضع رجال السند أمام القراء ولهم الحكم .

رجال السند

الطبري - في حوادث سنة (٣٠ هـ) - يقول: وفي هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبي ذر، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها - من الشام إليها إلى المدينة - أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها، فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إلى السري يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف، عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله... إلخ^(٥٤٩) كما ذكره أحمد أمين في استدلاله على أنّ ابن السوداء لقن أبا ذر مبادئ مزدك المجوسي إذ يقول أحمد أمين: ونلمح وجه الشبه بين رأي أبي ذر وبين رأي مزدك في الناحية المالية فقط فالطبري يحدثنا:

إنّ أبا ذر قام بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء، واسوا الفقراء. بشر الذين يكتزون الذهب والفضة... إلخ كما تقدم .

ثم يقول أحمد: ولكن من أين أتاه هذا الرأي؟ - أي أبا ذر - يحدثنا الطبري أنّ ابن السوداء لقي أبا ذر فأوعز إليه بذلك...^(٥٥٠) .

وهو ما أشرنا إليه الآن، فحديث الطبري كان عن مكاتبة من السري أنّ شعيباً حدثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي.

فهؤلاء هم رجال سند هذه القصة ومستند حكم أحمد أمين على أبي ذر بأنّه يرى رأي مزدك، وأنّه أخذه عن ابن السوداء.

فمن هم هؤلاء الرجال؟ وما هي منزلتهم؟ وما محلهم من الصدق؟ ستأتي الإجابة عن ذلك قريباً إن شاء الله .

(٥٤٩) الطبري ج ٥ ص ٦٦ ط ١ .

(٥٥٠) انظر فجر الإسلام ص ١١٠ .

ولا يفوتنا هنا أن نلفت نظر القارئ إلى أن الطبري يجعل هذه القصة من قبل العاذرين لمعاوية، وهم المتعصبون له وناهيك ما للتعصب من أثر في الافتعال .

* * *

أمّا ما يتعلّق بقضية ابن السوداء وتجواله في الأمصار الإسلامية وفشل محاولاته، وأخيراً يحطّ رحله في مصر وإظهار قوله بها في الرجعة والوصاية، وأنه بثّ دعائه - كما يروي الطبري - وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه أمرهم إلى آخر ما رواه الطبري^(٥٥١) وذكره الشيخ أبو زهرة وغيره من الكتاب .

وإذا رجعنا لمصدر القصة فحديث الطبري هكذا يقول: فيما كتبه إلى السري: عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمّه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة ثم الكوفة إلى آخر ما ذكر في ج ٥ ص ٩٨ - ٩٩ ط ١ .

فالحديث يدور حول الطبري، والسري، وشعيب وسيف وعطية ويزيد الفقعسي. هؤلاء رجال سند الرواية وهؤلاء مستند من ذكروا ابن سبأ في كتبهم وعظموا أمره في كتاباتهم وخلقوا منه شخصية قوية ذات أثر في تاريخ المسلمين بل غير مجرى التاريخ .

وأصبحت الرواية متواترة ومشهورة وقد لعبت طريقة الاتباع دورها في تجميد العقل وترك التحقيق على ما فيها من مخالفة لقواعد التطور وقوانين الحياة التي تقضي باستخدام مقاييس العقل فيما يروى ويصدر عن الناس فأبيّ مقتع في أن تكون أقوى دعامة لعدم الرد على صحة قضية ابن سبأ تواترها، أو صدورها من ثقات كالطبري وهو راوية ولم يفصح عن تقرير كلّ ما حواه تاريخه؟ ولم يقل بصحة ما ضمّه .

كما أنّ أي رواية في قيمتها تتأثر بسندها. وقد انحصرت قصة ابن سبأ في دائرة الطبري وبدأ عرضها على لسان سيف ولم يشارك الطبري أحد من المؤرخين الثقات الآخرين، كما أنّ الفجوة الزمنية تبقى قائمة لا تغلقها أو تملأها ذيول من الأكاذيب.

فأين كان ذكر ابن سبأ قبل روايه سيف؟

ونتنزل لمقتضيات الأمانة ومستلزمات التحقيق ونسلط أشعة التحقيق على رجال قصة ابن سبأ.

والواجب يقضي علينا عدم التصديق بأمثال هذه المفتريات، ولكن لزيادة الإيضاح والتنازل للحصول على ما هو الواقع نجعل هؤلاء الرجال تحت أشعة التحقيق العلمي.

التحقيق

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠ هـ) صاحب التأريخ الكبير المعروف بتاريخ الطبري، ولا يتعلق لنا غرض بالبحث عن شخصيته فهو شخصية معلومة ومن رؤساء المذاهب البائدة، وقد تبرأ من عهدة النقل بقوله الأنف الذكر: فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنع سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا^(٥٥٢). وعلى هذا أصبحت المسؤولية على عاتق الرواة الذين روى عنهم، وهنا تجري التحقيق العلمي عن رجال سند هذه القصة الذين روى عنهم الطبري وهم: السري، وشعيب، وسيف بن عمر، وعطية، ويزيد الفقعسي، فمن هم هؤلاء وما مقدار تحملهم للرواية؟ وماذا يقول عنهم علماء الرجال؟

١ - السري

هذا هو أوّل سلسلة الرواية، والطبري عندما يروي عنه يقول: كتب إليّ السري، أو فيما كتب إليّ به السري. من دون أن ينسبه إلى أبيه أو عشيرته. ولكنه روى عنه مرة مشافهة فقال: حدثني السري بن يحيى^(٥٥٣). فظهر أنّ الذي يحدث عنه الطبري هو السري بن يحيى، وهو مع ذلك مجهول لا يعرف ويتردد هذا الاسم بين جماعة هم: السري بن يحيى بن أياس وهذا لم يعاصر الطبري، لأنّ وفاة السري بن يحيى سنة (١٦٧ هـ) أي قبل ولادة الطبري بسبع وخمسين سنة إذ ولادة الطبري سنة (٢٢٤ هـ) ووفاته سنة (٣١٠ هـ) فهذا لا يمكن أن يكون هو.

السري بن يحيى بن السري ابن أخي هناد بن السري، ذكره ابن أبي حاتم المتوفى سنة (٣٢٧ هـ) وهذا كان في عصر الطبري لأنّه عاصر ابن أبي حاتم، ولكن، لم تذكر له

(٥٥٢) الطبري ج ١ ص ٥.

(٥٥٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٣.

رواية، أو يشير أحد إلى من روى عنه ولم يصفه أحد بأنه محدث أو حدّث عن أحد أو حدثوا عنه وبهذا فهو مجهول .

وعلى أيّ حال لا يوجد بهذه النسبة من عرف بالحديث أو اشتهر بالرواية .
وبعضهم يرى أنّ السري الذي يروي عنه الطبري هو السري بن إسماعيل الهمداني الكوفي ابن عم الشعبي وكاتبه، وهذا أيضاً لا يصح لأنّ وفاة الشعبي سنة (١٠٣ هـ) وولادة الطبري سنة (٢٢٤ هـ) ولا يمكن أن يمتد عمر السري هذا إلى زمن الطبري فيحدثه، ومع هذا فقد اتصف بصفات توجب ردّ ما يرويه فهو ضعيف ومتروك الحديث كما يقول ابن المبارك وأبوداود، والنسائي وهو ليس بثقة وأحاديثه التي يرويها لا يتابعه عليها أحد كما يقول ابن عدي. وقال ابن حبان: كان يقلّب الأسانيد، ويرفع المراسيل إلى آخر ما وصفوه به^(٥٥٤) .

ويرى بعضهم أنّ السري الذي يروي عنه الطبري هو: السري بن عاصم ابن سهل أبو عاصم الهمداني مؤدب المعتز بالله، وقد ينسب إلى جدّه، وهذا معاصر للطبري لأنّ وفاته سنة (٢٥٨ هـ) في بغداد وكان عمر الطبري عند وفاة السري هذا ثلاثين سنة فيمكن أن يكون هو .

ومع هذا فقد كدّبه ابن خراش ووهّاه ابن عدي، وقال: يسرق الحديث وقال النقاش: إنّه وضّاع، وذكر الذهبي حديثين من وضعه^(٥٥٥) .
وكيف كان فإنّ الجهالة تحيط بهذا الراوي الذي يروي عنه الطبري، ولو فرضنا أنّه معروف وأثّه ثقة، ولكن يلزمنا أن نحقق عن شيخه الذي يروي عنه وهو شعيب .

٢ - من هو شعيب ؟

شعيب بن إبراهيم وهو مجهول، قال الذهبي: شعيب بن إبراهيم راوية كتب سيف عنه: فيه جهالة؛ وذكره ابن عدي وقال ليس بالمعروف، وهذا لا يحتاج إلى إطالة بحث، لأنّ الجهالة قد أرخت عليه سدولها ولا يعرف إلا أنّه راوية سيف بن عمر .

٣ - من هو سيف ؟

(٥٥٤) انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٥٩ - ٤٦٠، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧٠ .
(٥٥٥) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧٠، ولسان الميزان ج ٣ ص ١٢ .

سيف بن عمر الضبي الأسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي المتوفى بعد سنة (١٧٠ هـ) وهو راوية أحاديث السقيفة والردة، وحوادث عهد عثمان، وهو نقطة إنطلاق أسطورة ابن سبأ، وعليه تدور أخبار السبئية، ونشأتهم وأثرهم في المجتمع الإسلامي، وما أحدثوه من بدع، وما أوجدوه من خلاف .
إنّهُ هو المبدع لهذه الأساطير، والموجد لتلك الحوادث، والمنفرد بتصوير شخصية ابن سبأ، والبناني لكيانه .

وقد وصفوه بأنّه وضّاع كذاب، زنديق يروي الموضوعات عن الأثبات^(٥٥٦)، ولننظر أولاً إلى من يروي عنهم سيف أو بعبارة أوضح من يضع عنهم الروايات، ثم نعود إلى الحديث عن سيف .

من هو عطية؟

لا يدري من هو عطية الذي يروي عنه سيف فهل هو عطية العوفي المتوفى سنة (١١٠ هـ) أم عطية بن قيس الكلابي المتوفى سنة (١٢١ هـ) أم غيرهما؟ فإن كان المراد به العوفي فذلك شيء بعيد جداً لأنّ عطية العوفي كان من التابعين وتوفي سنة (١١٠ هـ) فسيف بن عمر لم يدركه لأنّه متأخّر عنه بل كان في بطون الأرحام وليس من الصعب على سيف أن يدعي الرواية عنه وهو لم يدركه. أما عطية بن قيس الكلابي فهو شامي ولم يتصل به سيف، ونحن لا ندري من هو؟ ولئن حصلت لنا دراية فماذا تنفع وسيف ثبت أنّه وضّاع؟ ومن جهة ثانية أنّ يزيد الفقعسي وهو نهاية السلسلة وبداية الأسطورة لم يعرف من هو، ولا يوجد في الرجال من يسمى بهذا الاسم ويلقب بالفقعسي، وهنا تنقطع السلسلة، ولا يبعد أنّه شخصية وهمية كشخصية عبدالله بن سبأ، فسيف بن عمر قادر على أن يخلق ألف شخصية وشخصية، ويخترع آلاف الأساطير. فهو وضّاع بارع ويوجد من لا شيء أشياء كثيرة وإليك بعض ما وصف به .

سيف بن عمر في الميزان

وبعد أن كشف التحقيق عن رواة هذه القصة، أي قصة ابن سبأ نوّد أن نضع بطل هذه الأسطورة سيف بن عمر في الميزان، لنعرف قيمة روايته ممّا بيّنه علماء الرجال من حاله .

قال ابن حجر: سيف بن عمر التميمي البرجمي ويقال السعدي، ويقال الضبعي، ويقال الأسدي الكوفي صاحب كتاب الردة والفتوح روى عن عبدالله ابن عمر العمري وأبي الزبير...

قال ابن معين: ضعيف الحديث وقال مرة: فليس خير منه - أي لا يأتي منه خير - وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي وقال أبوداود: ليس بشيء. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات. وقال ابن حبان أيضاً: وقالوا عنه إنه كان يضع الحديث، وأتهم بالزندقة، وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك. وقال الحاكم: أنهم بالزندقة^(٥٥٧).

وقال الذهبي: سيف بن عمر الضبي الأسدي التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والردة.

ثم يذكر أقوال علماء الرجال كما ذكر ابن حجر، ونقل عن جعفر بن أبان أنه سمع ابن نمير يقول: كان سيف يضع الحديث، وقد أنهم بالزندقة^(٥٥٨).

وقال ابن أبي حاتم: سيف بن عمر الضبي: عن يحيى بن معين أنه قال: سيف بن عمر الضبي الذي يحدث عنه المحاربي ضعيف الحديث. وقال سئل أبي عن سيف بن عمر الضبي فقال متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي^(٥٥٩).

وفي ترجمة القعقاع عند ابن أبي حاتم أورد له حديثاً رواه سيف بن عمر، عن عمر بن تمام، عن أبيه عن القعقاع، وقال ابن أبي حاتم: وسيف متروك الحديث فبطل الحديث. وإنما كتبنا ذلك للمعرفة^(٥٦٠).

والحديث هو ما رواه سيف عن القعقاع بن عمر قال: شهدت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما صليت الظهر جاء رجل حتى قام في المسجد فأخبر بعضهم أن الأنصار قد اجمعوا أن يولوا سعداً - يعني ابن عبادة - ويتركوا عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستوحش المهاجرون^(٥٦١).

(٥٥٧) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٩١.

(٥٥٨) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٣٨.

(٥٥٩) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٢ قسم ١ ص ٢٧٨.

(٥٦٠) الجرح والتعديل ج ٣ ص ١٣٦ قسم ٢.

(٥٦١) انظر الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٢٣٩ ط ١.

قال ابن السكن: سيف بن عمر ضعيف. وذكر ابن حجر قول ابن أبي حاتم: سيف بن عمر متروك الحديث، وكذلك ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣، ص ٢٦٣ بهامش الإصابة . وقال السيوطي: سيف وضاع. وذكر حديثاً من طريق السري بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف فقال السيوطي: موضوع فيه ضعفاء أشدهم سيف.

* * *

ولعلنا فيما أوردناه من أقوال علماء الرجال هو كاف لمعرفة سلسلة هذه الأسطورة، وبالأخص بطلها الأول سيف بن عمر، فقد استبان وزنه، وعرفت حالته، ولم يرد عن أحد منهم فيه كلمة ثناء كما وقفت عليه.

وربما يقال: إن سيف بن عمر خرّج له الترمذي وروى له في صحيحه فيظنّ أنّ له أحاديث في الأحكام وغيرها، أو أنّ الترمذي صحّح حديثه؛ وبهذا يتثبت من يريد أن يخلق لسيف بن عمر شخصية يوثق بها.

ولكن الترمذي لم يرو له إلا حديثاً واحداً وقال - بعد أن ذكره: وهذا منكر . والحديث الذي رواه الترمذي هو عن أبي بكر بن نافع عن سيف بن عمر السعدي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فالعنوه. قال الترمذي: وهذا الحديث منكر. وبهذا فهو ساقط عن الاعتبار (٥٦٢).

* * *

ولسنا بحاجة إلى أكثر من هذا البيان لمعرفة حالة سيف بن عمر، ومقدار تحمله للرواية؛ فهو كما رأيت: وضاع كذاب، زنديق متروك الحديث، أحاديثه منكورة و. و. إلخ .

ونحن إذ نتكلف البحث عن سند هذه الأسطورة وغيرها من أحاديث سيف التي هي أبعد ما تكون عن الواقع، فكل قصدنا التنبيه على ما يظنّ أو يتبادر إلى ذهن البعض بأن تلك الأساطير قد اشتهرت، وذكرها كثير من المؤرخين فلا بد أنّهم وثقوا من الناقلين فأثبتوها، فنالت هذه الشهرة .

والواقع أنّ هذه الشهرة لم تكن للتواتر، ولا لصحة ما يروى عن سيف وإلّا المصدر الوحيد هو الطبري كما قدمنا، وقد أخذ عنه كل من ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وأبي الفداء وغيرهم .

فأما ابن الأثير فقد صرح في مقدمة تاريخه بأنه أخذ ما في كتاب الطبري وزاد عليه... إلخ^(٥٦٣).

وأما ابن كثير فقد ذكر في تاريخه عن سيف بن عمر - فقط - أن سبب تألب الأحزاب على عثمان: أن رجلاً يقال له عبدالله بن سبأ، كان يهودياً فأظهر الإسلام، وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل... إلخ^(٥٦٤) ثم ينقل القصة وبعد ذلك ينقل عن سيف وحده بعض الحوادث كما في ص ١٦٩، ثم يمضي في ذكر الحوادث، حتى يأتي إلى صفحة ٢٤٦ فيقول: هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر محمد بن جرير (رحمه الله).

وأما ابن خلدون فإنه ذكر السبئية في حادثة الدار والجمل وقال: هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري^(٥٦٥).

وقال في ص ٤٥٧ منه: هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة، والفتوحات ثم الاتفاق والجماعة، أوردتها ملخصة من كتاب محمد ابن جرير الطبري، وهو تاريخه الكبير... إلخ.

أما ابن عساكر في تاريخه مدينة دمشق وهو مرجع لكثير من الكتاب: إمّا إليه نفسه أو إلى تهذيبه لابن بدران، وقد يرجعون إليهما معاً.

فإن ابن عساكر في حديثه عن السبئية ينقل عن الطبري بل ينقل نفس العبارة كما في تهذيبه^(٥٦٦) لابن بدران ولكنه يترك السند وفي ج ٧ ص ٤٢٩ يقول: وروى سيف بن عمر عن أبي حارثة وأبي عثمان. ثم يذكر قصة ورود ابن سبأ إلى مصر.

ويروي ابن عساكر في تاريخه عن أبي القاسم السمرقندي، عن أبي الحسين النصور عن أبي طاهر المخلص، عن أبي بكر سيف، عن السري بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر.

فهذا هو سند ابن عساكر لجميع ما ينقله حول ابن سبأ، وأنت تراه يلتقي مع الطبري في السند الذي أورد فيه تلك الحوادث.

وصفوة القول أن الجميع عيال على الطبري في إيراد حوادث ابن سبأ، والطبري كما تقدّم لم يضمن أصلاً صحة ما أورده في تاريخه، بل هو ناقل وترك لقراءه البحث والتنقيب لأنه

(٥٦٣) انظر الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٣ الطبعة الاولى سنة (١٣٠١ هـ).

(٥٦٤) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٧.

(٥٦٥) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٤٢٥.

(٥٦٦) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٤٢٨.

تبرأ من عهدة رواياته في التاريخ، وحملها على أكتاف رواتها له، وقد تقدم، وأن الراوي هو سيف بن عمر ولا طريق غيره.

* * *

هذا ونرى أنفسنا في غنى عن التوسع في البحث حول هذه القضية إن كان الأمر يدور حول الواقع، ومعرفة الحقيقة، وأنّ الحكم للعلم من دون مغالطة وتعصّب. وقد أثبت التحقيق العلمي مقدار ما لهذه الأسطورة من الواقع، فهي بعيدة كلّ البعد عنه. وما أوردته هنا من الموهنات لهذه الأسطورة وما ورد في نقد سلسلة رجالها ليس كل ما ورد فيها، بل هناك أشياء كثيرة لم نذكرها اختصاراً. ومن الحقّ والإنصاف أن نشير إلى ما كتبه العلامة السيد المرتضى العسكري حول أحاديث سيف بن عمر وأسطورة ابن سبأ، في كتاب عبدالله بن سبأ^(٥٦٧) بصورة واسعة مستقصياً أحاديثه في الحوادث التاريخية، وماله من افتعالات وأحداث. وقد تعرّض إلى أسماء الصحابة الذين افتعل سيف بن عمر أسماءهم؛ ولم توجد إلا من طريقه بل إبتكاره.

وقد سبق أنّ العلامة الأميني في الجزء الثامن من كتابه الغدير قد تعرّض لأحاديث سيف بن عمر الموضوعية وأحصاها وهي ٧٠١ وقال: تحت عنوان: نظرة في تاريخ الطبري: شوّه الطبري تاريخه بمكاتبات السري الكذاب الوضع عن شعيب المجهول الذي لا يعرف، عن سيف الوضع المتروك، الساقط المتهم بالزندقة؛ وقد جاءت في صفحاته بهذا الإسناد المشوه ٧٠١ رواية وضعت للتمويه على الحقائق الراهنة في الحوادث الواقعة من سنة (١١ هـ) إلى (٣٧ هـ) عهد الخلفاء الثلاثة، ولا يوجد شيء من هذا الطريق الوعر في أجزاء الكتاب كلها غير حديث واحد ذكره في السنة العاشرة.

وإنما بدأ برواية تلكم الموضوعات من عام وفاة النبي الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) وبنّها في الجزء الثالث، والرابع، والخامس، وانتهت بانتهاء خامس الأجزاء:

ذكر في الجزء الثالث من ص ٢١٠ في حوادث سنة (١١ هـ)، ٦٧ حديثاً.

أخرج في الجزء الرابع في حوادث سنة (١٢ هـ)، ٤٢٧ حديثاً.

أورد في الجزء الخامس في حوادث السنة الـ (٢٣ هـ ٣٧ هـ) ٢٠٧ أحاديث فيكون المجموع ٧٠١ حديث^(٥٦٨).

* * *

(٥٦٧) طبع منه الجزء الأول الطبعة الأولى في النجف الأشرف والطبعة الثانية في القاهرة.

(٥٦٨) الغدير ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

وعلى أي حال فإنّ هذه الأسطورة التي أخذت مفعولها في المجتمع وأثرت أثرها السيء، هي نتيجة للتعصب الأعمى الذي ينحرف بأصحابه عن جادة الصواب ويطلق الأوهام والخرافات من عقالها، وقد مرت قرون وهي تحتلّ مكاناً من الكتب التاريخية، بدون أن ينالها التحقيق أو تسأل عن كفاءتها لاحتلال ذلك المكان .

وقد تصرف فيها كثير من الكتاب، وفقاً لأهوائهم، وطبقاً لرغباتهم ولم يهتدوا بهدي عبقرياتهم، ومواهبهم العلمية .

وإنّ لا ننكر أنّ هناك من أنكر وجود هذه الأسطورة في صفحات الكتب واستنكر وجودها، وأنّها لا تستحق أن تحتلّ ذلك المحل من التاريخ الإسلامي؛ فأخذ يحارب وجودها، ويطالب بإبعادها، وبعض يشك في أمرها، ويتوقف عن نفيها أو إثباتها.

ومن الغريب أن نجد من يتعصب لابن سبأ ويثبت وجوده وسعيه المنكر في إثارة الفتنة بين الصحابة، ويتحامل على من ينكر ذلك، ويصل به تعصبه من ابن سبأ الى حدّ القول بأنّ إنكاره كمن ينكر وجود عيسى بن مريم، أو ينكر الشمس، وهذا قول بدون دليل، بل هو من المتناقضات كما سنبيّنه، فمن هو هذا المنكر؟ هو محمّد زاهد كوثرى وإليك نصّ قوله:

يقول الكوثرى (٥٦٩)

عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء اليماني، كان يتعثّر في أدبياله في سبيل الرخص وراء إثارة فتن بين الصحابة رضي الله عنهم، متنقلاً بين اليمن، والحجاز، والبصرة والكوفة، ومصر والشام، للدس وتعكير الصفاء بين المسلمين في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما، أيام كان المسلمون ما خبروا أساليب الماكريين، وطرق فتن الفاتنين، من قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور، على ما في صحيح البخاري وغيره، ونتائج تلك الفتن ماثلة أمام كلّ باحث، مدونة في كتب ثقات المؤرخين من علماء هذه الأمة، من أمثال ابن أبي خيثمة، وابن جرير، وابن عساكر، وابن كثير، وابن السمعاني وغيرهم رغم محاولة بعض المسفسطين من أبناء اليوم إنكار وجود شخص يقال له عبدالله بن سبأ، فضلاً عن أن يكون أحدث تلك الأحداث، ضارباً أقوال هؤلاء السادة عرض الحائط، فيما يمسّ بني العمومة - والعرق دساس - وشأن هذا الصنف من الكتاب شأن من ينفي صلة إسماعيل (عليه السلام) بمكة،

(٥٦٩) الشيخ محمّد زاهد بن حسن الكوثرى أصله من القوقاز ولد في الأستانة المتولد سنة ١٢٩٦ هـ والمتوفى سنة ١٣٧١ هـ وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية وصاحب المؤلفات الكثيرة في المذهب الحنفي وغيره. وله تعليقات على بعض الكتب ينتصر بها للحنفية وهو شديد التحامل على من خالف مذهبه. وله رد على الخطيب البغدادي حول ما ذكره في ترجمة أبي حنيفة.

وشأن من ينكر وجود شخص يقال له عيسى بن مريم، في محاولة إنكار الشمس في رابعة النهار...

إلى أن يقول: فاستبعاد سعي ابن سبأ في الفتنة في عهد عثمان بعد اعتراف جولد تسهير اليهودي بذلك تحزباً لليهود فوق اليهود أنفسهم وسيف بن عمر من رجال جامع الترمذي فلا يستغني عن أنبائه... إلخ (٥٧٠).

* * *

هذا هو حكم الشيخ الكوثري على قضية ابن سبأ، وأنها كالشمس في رابعة النهار، وأن من أنكرها من الكتاب يكون من أبناء عمومة سيف بمعنى أنه يهودي إذ العرق دساس - على حدّ تعبيره - وأن سيف بن عمر لا يستغني عن أنبائه وهو من رجال جامع الترمذي، والراوي وهو الطبري وهو ثقة وأن جولد تسهير ذكرها .

وهذه أدلة يسوقها الكوثري لإثبات قضية ابن سبأ بطل الفتنة، وقائد جيش الانقلاب على الخليفة عثمان .

ولعلّ هناك ممن يطلع على هذا القول فيظنّ أنّ الكوثري حكم بهذا نتيجة لنتبعه وقناعته في الموضوع، وكلّ ذلك لم يكن .

وإنّما كان هذا الحكم نتيجة لتعصّب وتعمّده لإخفاء الحقائق والتمويه والجدل، ونحن من فمه ندينه في نقض هذا الحكم .

من فمك أدينك..

بين أيدينا مقال للشيخ الكوثري عنوانه: «كلمة عن خالد بن الوليد وقتل مالك بن نويرة» . يتحدث الشيخ في هذه الكلمة حول حادثة مالك بن نويرة، وقتل خالد له ودخوله على زوجة مالك في ليلة قتله، كما ذكرها المؤرخون .

يقف للدفاع عن خالد ويندد في كتب الغربيين الذين نقلوا هذه الحادثة ويقول: وكانت طريقة كتاب الغرب في النيل من الإسلام طريقة الإقذاع المجرّد...

ثم يطعن في كتب السير أمثال محمّد بن إسحاق فيكذّبه، ويكذّب رواته . وكتاب الواقدي وأه غير متثبت بل يروي عن كلّ من هب ودب ويروي الأخبار الكاذبة.

إلى أن يأتي إلى الطبري وهو أحد رواة تلك الحادثة فيقول: وابن جرير الطبري عمدة أمثال ابن الأثير، وأبي الفداء، وابن كثير، وابن الوردي، وأنّ الطبري لم يضمن صحة ما أورده في تاريخه وأنه تبرأ من عهدة رواياته في التاريخ وحملها على أكتاف رواتها له . وهكذا يقف الشيخ في الدفاع عن خالد ويطعن في كتب التاريخ ويكذب الرواة . وليس هذا محل القصد من ذلك بل نريد أن نستمع في دفاعه حول سيف ابن عمر وشيوخه، ومن روى عن سيف، وقد تقدّم قوله مما يشعر بأنه من رجال جامع الترمذي ويؤخذ بأحاديثه .

فلنترك الشيخ يتحدث عن سيف في مقام دفاعه عن خالد فيقول: سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة والفتوح، يقول عنه أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي. وقال الحاكم: أتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط. وقال ابن حبان: إنه كان يضع الحديث، يروي الموضوعات عن الإثبات، أتهم بالزندقة وضعفه غير واحد. وراويته شعيب بن إبراهيم يقول عنه الذهبي: فيه جهالة . ويقول ابن عدي: ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار فيها ما فيه تحامل على السلف . والراوي عنه السري بن يحيى غير موثق، وهو شيخ ابن جرير في رواياته عن سيف، وأما من فوق سيف من الرجال مجاهيل في الغالب^(٥٧١) .

* * *

هذا ما جاء في دفاع الكوثري عن خالد بن الوليد، وقد ظهر لنا أنه يطعن في مرويات سيف ويكذبه، وهذا السند هو نفسه الذي خرّج الطبري فيه أحاديث وحوادث السبئية . فما معنى جزمه بصحة ما جاء في هذا السند عن حوادث السبئية وأنها كالشمس في رابعة النهار؟ وفي قضية خالد بن الوليد وقتله لمالك ونزوه على امرأته يحكم بكذبه، ويجزم بتوهمه كما مرّ، على أنّ قضية خالد وزنائه بزوجة مالك بن نويرة قد خرّجه الطبري من طريق آخر وهو: عن عبدالحميد بسند عن عبدالرحمن بن أبي بكر - وفيه قول عمر بن الخطاب لأبي بكر في ذمّ خالد بن الوليد: عدا الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزي على امرأته. وأقبل خالد بن الوليد قافلاً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر وقال: إرثاً قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته والله لأرجمك بأحجارك... إلخ^(٥٧٢) .

* * *

(٥٧١) انظر مقالات زاهد كوثري ص ٤٥٥ - ٤٦٢ .

(٥٧٢) الطبري ج ٣ ص ٢٤٣ .

ولسنا بصدد إيراد هذه القصة والبحث عن ورودها ولكننا نريد أن نبين مدى ما بلغت إليه الحالة من التكرار للحقائق، والابتعاد عن الواقع، نتيجة للتعصب الأعمى، وانقياداً للهوى المردي.

ولعلّ الشيخ الكوثري يعتذر بأمر واجب وهو: أنّ رواية قتل مالك بعد ثبوت إسلامه وقد شهد له جماعة عند خالد ونزوه على امرأته وبذلك طعن على خالد وهو صحابي، ولا يصح الطعن، وحينئذ يجب تأويل كلّ رواية تتضمن ذلك، وقد تقدم قول النووي، قال العلماء: الأحاديث الواردة في ظاهرها حمل على صحابي يجب تأويلها^(٥٧٣).

والشيخ الكوثري قام بواجبه في الدفاع عن خالد في إرتكابه بتلك الفعل الشنيعة. ولأنّ سيفاً في بعض طرق الطبري لرواية خالد إنهال عليه الكوثري ببراهين الحق، ولكنّ التعصّب أو العناد يحول سيفاً الى راوية ثقة ولا يستغنى عن أنبائه لأنه مصدر قصة ابن سبأ، فهل هذا من العلم والأمانة في شيء؟!.

وعلى أيّ حال، فإنّ قضية ابن سبأ تتضمن الطعن على أغلبية الصحابة، ووصفهم في اتباع رجل يهودي يضلّهم عن دينهم، ويدعوهم إلى ما نهى الإسلام عنه، وفيها: أنّ أبا ذر تلقن مبادئ الزرادشتية والتعاليم اليهودية من ابن سبأ، وعمار بن ياسر من استهواه ابن سبأ، فأصبح على رأس الدعاة لابن سبأ ومبادئه.

وبهذا تكذيب لأقوال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصفه لأبي ذر بالصدق ولعمار: بآثمه مع الحق والحق معه وإنه ما خير بين أمرين إلا اختار أशدهما وأنّ عماراً هو ميزان لمعرفة الفئة المحقة ولا تقتله إلا الفئة الباغية.

ونرى من اللازم هنا ختاماً لهذا الموضوع أن نشير لبعض الأحاديث الواردة من صاحب الرسالة الأعظم نبينا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) في أبي ذر وعمار بن ياسر .

أبو ذر الغفاري

أبو ذر: جندب بن جنادة بن سكن المتوفى سنة (٣١هـ) - (٣٢هـ) بالربذة هو رابع الإسلام، والمعذب في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وهو الزاهد المشهور الصادق اللهجة، الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء، أصدق لهجة من أبي ذر^(٥٧٤).

(٥٧٣) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٧٧ .

(٥٧٤) الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٦٤ .

وأخرج الترمذي بلفظ: ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم .

وهذا الحديث مشهور رواه جماعة وخرّجه الحافظ كالترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وأبو نعيم، وغيرهم^(٥٧٥) .

وكان أبو ذر هو رابع الإسلام، وأوّل من جهر في الدعوة، وأعلن الإسلام بين قومه، وفي مكة حتى ناله العذاب، وهو ممن أمر الله تعالى نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) بحبّه كما عن بريدة: عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: إن الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنّه يحبهم: علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان. أخرجه الترمذي في صحيحه^(٥٧٦) وابن حجر في الإصابة^(٥٧٧)، وأبو نعيم في الحلية^(٥٧٨)، وأبو عمر في الاستيعاب^(٥٧٩) وغيرهم .

وقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): أبو ذر في أمّتي على زهد عيسى بن مريم^(٥٨٠) . وقال علي(عليه السلام): أبودر وعاء ملئ علماً ثم أوكئ عليه^(٥٨١) .

وروى ابن عبد البر عن الأعمش بسند عن عبدالرحمن بن غنم قال: كنت عند أبي الدرداء إذ دخل رجل من أهل المدينة فسأله أبو الدرداء فقال: أين تركت أبا ذر؟ فقال: بالربذة . فقال أبو الدرداء: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو أنّ أبا ذر قطع مني عضواً ما هجته لما سمعت رسول الله يقول فيه^(٥٨٢) .

وأخرج الطبراني من طريق ابن مسعود مرفوعاً: من سره أن ينظر إلى شبه عيسى خلقاً فليُنظر إلى أبي ذر^(٥٨٣) .

* * *

والأحاديث في فضله وزهده وعلمه كثيرة، ومواقفه في الذب عن الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشهورة لا تحصى بهذه العجالة .

(٥٧٥) انظر صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٢١، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٤٢ .

(٥٧٦) صحيح الترمذي ج ٥ ص ٦٣٦ ح ٣٧١٨ .

(٥٧٧) الإصابة ج ٧ ص ١٠٥ ح ٩٨٧٧ .

(٥٧٨) حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٠ .

(٥٧٩) الاستيعاب: ج ٢، ص ٤٢٣ .

(٥٨٠) انظر أسد الغابة ج ٥ ص ١٨٧ .

(٥٨١) الإصابة ج ٤ ص ٢٤، وأسد الغابة ج ٥ ص ١٨٧ .

(٥٨٢) الاستيعاب ج ١ ص ٢١٧ .

(٥٨٣) الاستيعاب ج ١ ص ٢١٦ .

وبمزيد الأسف أنّ ذلك الرجل المجاهد قد وصفوه بما لا يليق به، وأصبح ممن تستهويه الدعايات الكاذبة فيكون ممن لقنه ابن سبأ واستهواه وصار ينطق بلسانه ويعبّر عن فكره كما هو منطوق أسطورة ابن سبأ .

فأين حمل الأخبار أو الأحاديث التي فيها حمل على الصحابة، على غير الوجه التي تدل عليه؟ وكأنّ أبا ذر لا يشمل ذلك، مع أنّهم صدقوا في حقّه من لا يصدق كيف يكون أبو ذر يحمل فكرة ابن سبأ ويدعو لها وهو الصادق للهجة؟ وفي ذلك نصر لليهود، بأن يميل إليهم رجل وصفه رسول الله بالصدق والأمانة والزهد .

عمار بن ياسر

أبو اليقظان عمار بن ياسر المقتول في صفين سنة (٣٦ هـ) .
وكان عمار بن ياسر قد عذب هو وأبوه في أوّل الدعوة الإسلامية وتمسكوا بإسلامهم، رغم ما واجهوا من المحن والبلاء.

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة يعدّبونهم برمضاء مكة، فيمرّ بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول: صبراً آل ياسر موعدهم الجنة، صبراً آل ياسر موعدهم الجنة^(٥٨٤) .

وقد وردت عن صاحب الرسالة الأعظم كلمات الثناء على عمار مما يدلّ على عظيم منزلته، وجلالة قدره كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ملئ عمار إيماناً إلى أخمص قدميه. وفي حديث عائشة تقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه. وأخرجه ابن ماجه وأبو نعيم من طريق هاني بن هابي قال: كنّا عند علي (عليه السلام) فدخل عليه عمار فقال مرحباً بالطيب المطيب، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه^(٥٨٥) .

وعن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت فشكاني إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما جئت رفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأسه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله^(٥٨٦) . قال خالد فما زلت أحبه يومئذ.

وقد حتّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على اتباع عمار عند نزول الفتن وأنّ عماراً لا يكون إلاّ مع الحقّ.

(٥٨٤) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٢، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٤١ .

(٥٨٥) انظر الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

(٥٨٦) الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ . والاستيعاب بهامش الإصابة .

روى البيهقي عن الحاكم وغيره بسند عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعمار: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق^(٥٨٧).

وجاء رجل إلى عبدالله بن مسعود فقال: إنّ الله قد آمننا أن يظلمنا، ولم يؤمننا أن يفتننا، أرايت إذا نزلت فتنة كيف أصنع؟ قال ابن مسعود: عليك بكتاب الله. فقال الرجل: أرايت أن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله؟

فقال ابن مسعود: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق^(٥٨٨).

ولما احتضر حذيفة بن اليمان وقد ذكر الفتنة قالوا له: إذا اختلف الناس بمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سمية فإنه لن يفارق الحق حتى يموت أو قال: فإنه يدور مع الحق حيث دار^(٥٨٩).

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنّ عماراً مع الحق والحق معه، يدور مع الحق أينما دار وقاتل عمار في النار^(٥٩٠).

وقد اشتهر قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): بأنّ عماراً تقتله الفئة الباغية. وقد ورد هذا الحديث من طرق متعددة رواه جماعة من الصحابة منهم: عثمان بن عفان، وعائشة أم المؤمنين، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر بن سمرة، وعبدالله ابن مسعود وغيرهم. ومنهم معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبو الغادية قاتل عمار.

وكان الناس يعرفون ذلك، ولكن معاوية موه على الناس بتأويل هذا الحديث تأويلاً باطلاً ليتستر بذلك عن المؤاخظة عندما قتل عماراً وارثك جيش الشام، وعلموا أنّهم الفئة الباغية على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلجأ معاوية إلى حيلة تؤثر على البسطاء السذج فقال: نحن لم نقتل عماراً وإنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا.

وهذا من حيل ابن العاص ودهائه، وقد أثرت هذه المغالطة أثرها على ضعفاء النفوس. يقول ابن القيم الجوزية تلميذ ابن تيمية: ومن التأويل الباطل تأويل أهل الشام قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمار: تقتلك الفئة الباغية. فقالوا نحن لم نقتله وإنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا. وهذا التأويل مخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإنّ الذي قتله هو الذي باشر

(٥٨٧) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٧٠.

(٥٨٨) المصدر السابق.

(٥٨٩) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٨٠.

(٥٩٠) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٧ ط ليدن.

قتله، لا من استنصر به، ولهذا ردّ عليهم من هو أولى بالحقّ والحقيقة منهم، فقال: أفيكون رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه هم الذين قتلوا حمزة والشهداء معه حتى أوقعوهم تحت سيوف المشركين؟(٥٩١).

* * *

وإنّ الاستمرار في مناقب عمار وذكر مواقفه وما ورد فيه من أحاديث وما نزل فيه من آيات لا يتسع المقام لاستطرداها، وليس من غرضنا أن نترجم له هنا. إنّ الشيء الذي نودّ أن نقوله: إن من أعظم الجرأة على الله وعلى رسوله أن ينسب لهذا الرجل الذي بدأ حياته في الجهاد وملاقاة العذاب وختمها في الشهادة، دفاعاً عن الإسلام، واتباعاً لحقّ وإحقاقه، مثل هذه الإساءات، أو يوصف بأنه ممن استهواه ابن سبأ فسار في ركابه وكان من دعائه؛ حتى يسلم خصومه من المؤاخذات ويتبرأوا مما إرتكبوه من مخالفات؟

وليت إنهم استدلوا بما يوجب الشبهة في ذلك فضلاً عن الجزم بالحكم فيما وصفوه فيه، فرحم الله عماراً، فلقد لزم الحقّ وحارب الباطل ومات شهيداً بسيوف الفئة الباغية كما أخبر الرسول المعظم(صلى الله عليه وآله وسلم).

إنّ الذين وصفو عماراً بما وصفوه من اتباع ابن سبأ قد إرتكبوا إثماً لا يغتفر، وقد ردّوا على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أقواله في عمار. وكذلك جنايتهم بحق الصحابي الجليل زيد بن صوحان فجعلوه على رأس الدعاة لأبن سبأ؛ ومن الخير أن نشير إلى زيد بن صوحان بموجز من البيان إيضاحاً لما قد يتوهم صحة ما قاله أولئك المفترون في حقّه.

زيد بن صوحان

زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث أبو سلمان العبدي المقتول سنة (٣٦هـ) وقد سمّاه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بزيد الخير.

وكان زيد ممن يصوم النهار ويقوم الليل، وإذا كانت ليلة الجمعة أحيها. وأخرج ابن حجر وابن سكين، وابن أبي شيبة وغيرهم أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر عن زيد بن صوحان بأنه يسبق عضو من أعضائه الجنة. وقد قطعت يده في حرب المشركين وقيل في نهاوند(٥٩٢).

(٥٩١) الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ص ١٠.

(٥٩٢) انظر تهذيب ابن عساكر ج ٣ ص ٤١٠، والإصابة ج ١ ص ٢٥٠ في ترجمة جندب بن كعب.

وقال ابن عبر البر: روي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من وجوه: أنه كان في مسير له فهوّم فجعل يقول: زيد وما زيد زيد جندب وما جندب فسئل عن ذلك؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): رجلان من أمتي أما أحدهما فتسبّقه يده أو قال: بعض جسده إلى الجنة، وأما الآخر فيضرب ضربة يفرق فيها بين الحقّ والباطل.

قال أبو عمر: أصيبت يد زيد يوم جلولاء ثم قتل يوم الجمل مع علي(عليه السلام)، وجندب بن كعب قاتل الساحر... إلخ^(٥٩٣) وقد شهد كعب حرب الجمل مع علي(عليه السلام).

وكان زيد وجيهاً مقداماً، وقد وفد على عمر بن الخطاب فأكرمه، وجعل يرحل لزيد بيده، ويطأ على ذراع راحلته ويقول: يا أهل الكوفة، هكذا فاصنعوا بزيد.

ولمّا أراد زيد أن يركب دابته أمسك عمر بركابه، ثم قال لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه^(٥٩٤).

وكان سلمان يقدّمه للصلاة والخطابة وهو أمير، وأخرج الحافظ وابن عدي عن علي(عليه السلام) قال، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): من سرّه أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان.

قال ابن عساكر: ورواه الخطيب البغدادي، وأبو يعلى، وقال: قطعت يده في جهاد المشركين، وعاش بعد ذلك دهرًا حتى قتل يوم الجمل^(٥٩٥).

ولمّا قتل زيد أوصى بأن يدفن في ثيابه، وقال قبل أن يقتل: إني رأيت يداً خرجت من السماء تشير إليّ أن تعال، وأنا لاحق بها يا أمير المؤمنين^(٥٩٦).

* * *

ومهما يكن من أمر فإننا نأسف الأسف الشديد لغفلة كثير من الكتاب الذين تناولوا البحث عن التاريخ الإسلامي، ولم يقفوا أمام هذه الأسطورة موقف الباحث المتثبت، وتساهلوا في نقلها والتعليق عليها بما يزيد جذورها تشبثاً في المجتمع ويضاعف شرّها على الأمة وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

ولو رجعوا إلى الواقع لوجدوا أنفسهم أمام صورة جامدة منحوتة بيد الأغراض السياسية لتحقيق أهدافهم في تضليل الناس بأوهام باطلة تنتشر هنا وهناك، وتملاً أوهام الصغار والكبار بمشاعر لا أصل لها.

(٥٩٣) الاستيعاب ج ١ ص ٥٦٠.

(٥٩٤) ابن عساكر ج ٦ ص ١١.

(٥٩٥) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١١.

(٥٩٦) ذكرنا ترجمة زيد مفصلة في كتابنا تاريخ الكوفة.

ونحن نأمل أن تدرس هذه القصة وغيرها من الخرافات التي اختفى من ورائها النزاع السياسي والصراع العقائدي دراسة واقعية على ضوء التحقيق العلمي المجرد من التعصب والتحيز؛ ليظهر الحقّ والحقّ أحقّ أن يتّبع. وإنّ تلك الأباطيل لا تقف أمام الواقع بل هي أشباح خيالية لا بدّ لها من الزوال .

وإنّا لو اتقنوا بأنّها لن تدوم؛ فهي سحب تنجلي، وعقبات تندك، وحجب ترفع، ما دام للعلم كلمته، وللعدل حكمه .

إنّنا نكتب للعلم وللعدل، وليس أجمل بالمرء من أن يتكلّم على موازين العلم، ولا أبهى من العدل في الحكم بعد أن يعرفها العلم، فالحكم على الشيء قبل معرفته خطأ لا يغتفر .

خلاصة البحث

هذه دراسة قدّمناها باختصار عن أثر المستشرقين في ثقافتنا الإسلامية وتاريخنا الذي نستمد منه معلومات أسلافنا الماضين .

وقد رأينا بهذه العجالة كيف كانت دراسة أولئك الكتاب، وأنّها لم تكن دراسة تتركز على أسس علمية، وقواعد منطقية، وأمور واقعية، بل كانت دراسة محدودة لا تتجاوز التعصب أو التساهل في النقل، بل دراسة تقليد لا تعتمد على تحقيق، وملاحظة للأمور الواقعية.

إنّهم ينظرون إلى الحوادث بمنظار غيرهم من الذين يحوِّرون الحقائق، ويبدّلونها لتلبس تلك القوالب التي يفرضونها فرضاً وهي قوالب أفكار لا تمت إلى الواقع بشيء، بل تخيلات وهمية ترسم لنا صورة الاندفاع وراء مضلّلات العاطفة، ومرديات التعصّب الأعمى.

وقد أشرت سابقاً إلى ضرورة الالتفات إلى الخطر الذي يحدق بنا من أثر ما يبثّه أولئك المستشرقون من سموم الفرقة، بضروب مختلفة، في تحطيم بناء وحدة المسلمين، والحيلولة بينهم وبين تمسكهم بتعاليم دينهم، ليقوموا على أنقاضها معاقل تضمن لهم تنفيذ ما يطلبه خصوم الإسلام، وتحقيق ما يرجونه .

ولا أحيد عن الواقع إن قلت: إنّ الاستشراق أصبح طريقاً ينفذ منه المستعمرون لأغراضهم، ووسيلة من وسائل سيطرتهم على الشعوب المسلمة؛ وقد رأينا كيف كانوا يتوارون من وراء البحث عن الإسلام لينفثوا سموهم، ويحققوا أهدافهم .

كما إنّنا نلاحظ إعجاب كثير من الكتاب بأساليبهم الخداعة، وألفاظهم البراقة، فنقولها كما هي بدون تمحيص، بل اجترأوا آراءهم وسكبوها في أبحاثهم، ولم يجعلوا للبحث عن الواقع محلاً، ولم يحفلوا بما يتصف به أولئك من التعصب على الإسلام .

وإنا لندرجو أن يتنبّه الكتاب لخطر تلك الآراء، وأضرار تلك الأبحاث التي يشوبها الخلط والخطب والتشويه والتمويه .

وقد تعرضت هنا - وفي الأجزاء السابقة - لمناقشة بعض الكتاب الذين تناولوا الشيعة بما لا يتفق مع الواقع، وتهجموا عليهم دونما انصاف وتدبر .

ولم أكن في مناقشتي قد جنيت على نفسي بإهمالها أو أفسح لها المجال في ميدان العاطفة والتأثر، ممّا وقفت عليه من عبارات الغمز والطعن والقول بالباطل، ولم اتخل عن المنهج الذي نهجته وهو الاستقامة في النقد والالتزان في الرد .

وقد خفّ وزن البعض فانحدروا إلى مستوى المهاترات والجدل العقيم، ويريدون أن يحشروا ألفاظاً فارغة في تليفيق التّهم ; وقد اعرضنا عن أقوالهم وألقيناها في سلة المهملات . وفي الختام نقول: لقد ذهب الزمن بما فيه ومرّت الحوادث بما فيها من آلام، ومضى زمن تلاعب ذوي الأغراض بمقدرات الأمة، وتكالبهم على السيادة بوسائل التفرقة بين صفوف الأمة .

ولقد فتك داء الفرقة بجسم الأمة ولم تنل من ذلك إلا الخسارة والدمار; ومن الله نسأل أن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم، وأن تنمو بينهم روح المحبة والتسامح ويحصل بينهم كلّ ما يوصلهم إلى رضا الله وإلى سعادة الأمة إنّه سميع مجيب .

رجال الصّاح من الشيعة

رجال الصحاح من الشيعة

تمهيد

تقدّم الكلام حول تدوين العلم، وفي أيّ عصر بدأ، وقد وقع الخلاف بين المؤرخين في ذلك، فهل هو في الصدر الأول، أم في العهد الأموي، أم في العهد العباسي؟ وقد تقدم بيان ذلك وذكرنا سبق الشيعة إلى التدوين، فلا حاجة لإعادة القول فيه^(٥٩٧).

أما علم الحديث فقد اعتنى رجال الأمة في معرفة الأحاديث النبوية واهتموا به، لأنّه المقدار لتفصيل الأحكام، وتبيين الحلال من الحرام. وكان الشيعة أعظم الجميع اهتماماً وأشدّهم محافظة؛ لأنهم قد تلقوا تلك الثروة العظيمة عن الإمام علي(عليه السلام) في عصره، وهو باب مدينة العلم؛ ومن بعده أخذوا عن أبنائه.

يقول الأستاذ مصطفى عبدالرزاق - عند ذكره لأول من دوّن الفقه - وعلى كلّ حال فإنّ ذلك لا يخلو من دلالة على أنّ النزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشيعة، لأنّ اعتقادهم العصمة في أئمتهم، أو ما يشبه العصمة كان حرياً أن يسوقهم إلى الحثّ على تدوين أفضيتهم، وفتاواهم^(٥٩٨).

والذي يقرره الواقع التاريخي، أنّ العهد الأموي قد منع الناس عن التحدّث بعلم علي(عليه السلام) أو نقل فتاويه وأقواله للناس.

فقد كان لاضطهاد الأمويين لأهل البيت وأتباعهم أثر كبير في منع الناس عن الحديث عنهم، وكانوا لا يتمكنون أن يتحدّثوا عن علي فالتجأوا إلى التورية بقولهم قال: أبو زينب^(٥٩٩) كما يحدثنا الحسن البصري بذلك لأنه يريد أن يحقن دمه.

وقد كانت العلامة بين المشايخ إذا حدثوا عن علي (عليه السلام) قالوا: الشيخ^(٦٠٠)، لأنهم لا يستطيعون أن يذكروا اسمه.

وكيف يستطيع أحد أن يذكره بخير أو يسند عنه حديثاً ومنابرهم تعجّ بسبه، ومشايخهم تلهج بدمه، وقصاصهم يختمون احاديثهم بلعنه؟^(٦٠١) إلى غير ذلك من الوسائل التي حاولوا

(٥٩٧) انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ص ٢٩٨. تحت عنوان تدوين العلم.

(٥٩٨) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٥٢.

(٥٩٩) انظر الحسن البصري لابن الجوزي ص ٧.

(٦٠٠) مناقب أبي حنيفة للمكي ج ١ ص ١٧١.

(٦٠١) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠٧.

ففيها القضاء على مآثر علي(عليه السلام) فهل يستطيع أحد من المحدثين أن يروي عن علي(عليه السلام)، أو يروي في فضله شيئاً؟ وقد نكلوا بالحافظ النسائي عندما حدث في الشام بفضل علي(عليه السلام) حتى مات من جراء ذلك.

ولهذا فقد أكتب الشيعة على تدوين قضايا علي(عليه السلام) وأحاديثه، وأخذوا عن أهل بيته الذين أودعهم تلك الثروة العظيمة، واستمر الشيعة على التدوين في كل عصر .

* * *

وقد ابتدأ التدوين عند الشيعة في عصر الإمام علي(عليه السلام)، وأول من دوّن الحديث أبو رافع من خواص الإمام علي(عليه السلام) وشيعته، وابنه عبيدالله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين وأحد خواصه، ومحمد بن قيس البجلي وغيرهم.

وعلى أيّ حال فإنّ اهتمام الشيعة بحفظ الحديث وتدوينه كان أكثر من غيرهم، كما تعرضنا لذلك فيما سبق.

ونحن لا نريد أن نخوض في علم الحديث وتدوينه، وتبويبه وتقسيمه، ولكننا نود أن نتعرض لأثرهم العظيم في التشريع الإسلامي، رغم تلك المعارضات والحواجز التي كانت تقف أمام نشر ما تحمله من رسالة الإسلام يوم كانت السياسة تقف وراء تلك العقبات، وتثير تلك الشكوك في اتهام الشيعة بأمور هي خلاف المعقول، ولا يقرّها المنطق، وكان القصد من ذلك هو تشويه سمعتهم بإلقاء الشبه عليهم من الوجهة الدينية، لأنهم أنصار العلويين في مقاومة الدولة .

ولهذا فقد غدت تلك الشكوك عقول كثير من المؤرّخين، فاستعملوا ألفاظاً فارغة عندما يترجمون لشييعي كقولهم: مبتدع، زائع عن الحقّ سيئ المذهب وغير ذلك.

ولكنّا إذا أردنا أن نسأل عن مصداق ذلك ما هو الموجب لهذا فلا نجد جواباً إلاّ الخضوع لدعاية خصومهم الذين تجاوزوا في اضطهاد الشيعة أبعد الحدود .

وحيث كانت تلك الأقوال لا تقوم على أسس صحيحة، فقد اضطربت أقوال علماء الرجال في قبول رواية الشييعي وعدمها، ومن هو الذي تقبل روايته ومن تردّ روايته .

وما هي البدعة التي ابتدعها الشيعة فاستوجبوا ردّ أحاديثهم وعدم قبولها وستقف على الجواب في ترجمة أبان بن تغلب .

* * *

وقد هبّت زوبعة أقوال حول رواية الشيعة للحديث؛ ولكنها لم تؤثر إلاّ على ضعاف النفوس، ومن لا يقفون أمام الافتعالات موقف تثبت وتدبر .

ومع كلّ تلك الحملات على الشيعة فقد أصبح لمدرستهم مكان في التشريع، رغم محاولة السلطة وأعوانهم منعها، لأنّ الشيعة يحملون من الآثار النبويّة في الأحكام الشرعية ما لا يمكن الاستغناء عنه ولم يجد العلماء بديلاً منه .

قال علي بن المديني: لو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي يعني التشيع خربت الكتب .

قال الخطيب البغدادي: قوله خربت الكتب يعني لذهب الحديث^(٦٠٢) .

وروى الخطيب عن محمّد بن أحمد بن يعقوب، عن محمّد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا عبدالله محمّد بن يعقوب، وسئل عن الفضل بن محمّد الشعراني، فقال: صدوق في الرواية إلا أنّه كان من الغالين في التشيع .

قيل له فقد حدثت عنه في الصحيح. فقال: لأنّ كتاب أستاذي - ملآن من حديث الشيعة. يعني مسلم بن الحجاج^(٦٠٣) .

ورجال الحديث الثقة من الشيعة الذين اعتمدتهم رجال الصحاح منبئين في الأسانيد والطرق. أما كتب الجرح والتعديل فقد مرّ في ثنايا البحث طريقتهم في الخضوع للحقّ وأن لا مندوحة من الاعتراف بقول الراوية إذا كان شيعياً وذكر صفاته من الورع والصدق إلا أنّ ذلك لا يعني أحداً من ذكر التهمة والإشارة الى تشييعه.

ولقد اضطر بعض العلماء - وحتى رؤساء المذاهب - الى التعبير عن الثقة الشيعي بالقول: حدثني من لا أتهمه... إشارة الى الراوية الشيعي وما ذلك إلا امتداد لضرورات سياسية النصب التي أشرنا الى نتائجها في منع الرواية عن أمير المؤمنين الإمام علي، ولجوء العلماء الى الإشارة إليه بالكنية أو بقلب آخر.

* * *

وبالجملة فإنّ تلك الخصومة التي نشبت بين الشيعة وبين الدولة قد أثرت هذا الأثر السيئ على عقول كثير من الناس، وقد سرى ذلك إلى بعض المحدثين وعلماء الرجال؛ ممّن لم يذكروا الشيعة إلا مع التقبيح والتشنيع، فأعطوا عنهم فكرة سيئة، وصورة مشوهة كما ذكرنا ذلك مراراً .

وقد أخذ القصاصون نصيبهم في نشر تلك الصورة، واستغلّ الوضّاعون تلك الفرص فكثرت الحكايات، وانتشرت الأحاديث الموضوعة والسياسة من وراء ذلك تشدّ أزهرهم، وتتولّى نشر ما يفترون .

(٦٠٢) الكفاية في علم الدراية ص ١٥٧ طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

(٦٠٣) الكفاية في علم الدراية ص ١٥٩ طبعة دار الكتاب العربي بيروت .

وقد وضعوا على السنة أئمة المذاهب أقوالاً مؤداها الامتناع عن قبول رواية الشيعة، كما نجد في أكثر كتب الأصول كثيراً من ذلك؛ فمثلاً يقولون إنّ أبا حنيفة كان لا يجيز أخذ الآثار عن الشيعة، كما أوردوا ذلك عن أبي عصمة أنّه سأل أبا حنيفة ممن تأمرني أن أسمع الآثار؟ فقال أبو حنيفة من كل عدل في هواه إلا الشيعة، فإنّ أصل عقيدتهم تضليل أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهذه الكلمة قد أخذت مكانتها من أدمغة كثير من كتاب الأصول والحديث في السابق والحاضر، وبنوا عليها تأييد ما يدعونه على الشيعة من الطعن على الصحابة. وتلك أمور تخضع لدرجة علم المرء وإيمانه فإذا غلب العلم على ذهن الإنسان وساده الإيمان تحرّج من النيل من الآخرين، وهؤلاء لو أنهم قصدوا الخير وخدمة الحقيقة لبحثوا عن أصل هذه الفرية والأكذوبة، التي نسبوها لأبي حنيفة، وذلك أنّ أبا عصمة كان من أشهر الوضاعين، وكان يرى ذلك حسبة، وأنّه ينال أجراً على كذبه فيما يؤيد مذهبه، فيالضياح العلم!! (٦٠٤).

وكذلك نجد أقوالاً عن الشافعي ومالك وأحمد شبيهة بهذا؛ والكل لا أصل له لأنّا لم نجد طريقاً يصح في الإسناد إليهم، مع أنّهم - أي أئمة المذاهب - لم ينفصلوا عن مدرسة الشيعة، فكلهم قد أخذوا الحديث منهم ورووا عنهم.

وأبو حنيفة كان من تلامذة الإمام الباقر وولده الإمام الصادق (عليهما السلام)، ومالك من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)، والشافعي تلميذ لمالك، وأحمد تلميذ للشافعي، والكل قد روى عن رجال الشيعة وخرّجوا أحاديثهم.

وهؤلاء الأئمة لم يرد عنهم حول رواية الشيعة ما يدل على الطعن، وكلّ ما نقل عنهم إنّما هي أشياء انتحلها أناس لا يتورعون عن الكذب كما كذبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته من قبل، تهزّهم جوائز الحكام وتطربهم انفعالات العامة فيتحللون من كلّ قيد ويتحلون عن كلّ وازع.

(٦٠٤) أبو عصمة هو نوح بن مريم المروزي المتوفى سنة (١٧٣ هـ) كان من الحنفية ولكنهم تركوا حديثه مع شهرته لأنّه كان من الوضاعين، وله مجالس يحدث فيها وهو واضع فضائل سور القرآن عن عكرمة وغيرها. انظر ترجمته في الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٢٢١، وشرح ألفية العراقي ج ١ ص ٢٦٨ وغيرها.

ثم نأتي إلى رواة الحديث وأهل الصحاح فنجد كتبهم ملىء برواية الشيعة وأحاديثهم، فهذا البخاري وهو أمير المؤمنين في الحديث - كما يسمّونه - كان شيوخه من الشيعة^(٦٠٥) يربو عددهم على العشرين رجلاً، وكذلك مسلم، والترمذي وغيرهم من رواة الحديث .

وإننا نجد اليوم كتاباً في علوم الحديث أو التاريخ يتغافلون عن الحقائق الراهنة، ويلبسونها أبراداً من التمويه، ليغذوا عقول الناشئة بأباطيل عصور التطاحن، فينالون بأفلامهم المسمومة الحديث عن الشيعة بكلّ ما توحى إليهم عاطفتهم فيصفون الشيعة بما يروق لهم من الأوصاف التي لا يصح إطلاقها ولا يجوز ذكرها لو كان هناك أدنى أثر للروح الإسلامية أو ذمة الإيمان وصفهم بها، ولكن التعصّب يوجد من لا شيء شيئاً .

وكيف كان فإنّ الباحث المنصف لو أعطى من وقته شيئاً يساعده على دراسة موضوع الحديث عند الشيعة وتشدّدهم في قبول الرواية وتثبتهم في النقل، لحكم بالعدل وبذل قليلاً من الجهد في التحقيق لخرج بنتيجة على عكس ما ادعوه.

* * *

ونحن هنا نقدم طائفة من الرجال الذين حملوا الحديث، فكان منهم أئمة تشدّد إليهم الرجال، وتقصدتهم طلاب العلوم من الأقطار النائية، وقد التزمنا بذكر بعض تلامذتهم، ومن خرّج حديثهم من كتب الصحاح الستة وذكرنا أقوال علماء الرجال فيهم .

وأشرنا قبل قليل إلى تعبير بعضهم عندما يترجمون لرجل من الشيعة فيقولون: صدوق ولكن مذهبه مذهب الشيعة أو أنه صدوق ولكننا نقموا عليه التشيع، أو أنه سيء المذهب أو مبتدع إلى غير ذلك مما ستقف عليه.

ومن الحقّ أن نتساءل ما هو الواجب في مثل هذه الأمور، وهل التشيع لعلّي(عليه السلام) وأهل بيته بدعة في الإسلام؟ ولماذا هذه النقمة على من يتشيع؟ ولا نجد جواباً إلاّ الاتهامات التي تكمن وراءها أغراض الخصوم لأهل البيت(عليهم السلام) الذين رموا أتباعهم بالزندقة. وقد مرّ تفصيل ذلك .

ومن السفه والجهل معاً أن يكون الاقتناع بكل ما ورد فيكون عقبة في طريق البحث والنظر، ولئن أخطأ بعض الباحثين الطريق إلى الواقع لتقليدهم الغير فيما ينقلونه، فإنهم قد أساءوا لأنفسهم أولاً، ولأمتهم ثانياً .

وإنّ تلك النظريات الخاطئة التي تصور الشيعة بغير صورتها الواقعية إنّما كان من أسبابها تلك الغشاوة التي أرختها العصبية الرعناء، وقد آن الأوان لأن ننظر إلى الأمور

بمنظار الواقع، وأن نترك وراء ظهورنا ما ورثناه من عصور التطاحن، فإننا أحوج ما نكون إلى ذلك اليوم .

وسيُضح بهذه الدراسة خطأ القائلين بأنّ السنة لا يروون عن الشيعة، أو أن الشيعة ليس لمدرستهم الفقهية في التشريع أثر محسوس .

وهذه النظرة الخاطئة التي تصور الشيعة بمعزل عن المجتمع الإسلامي، وأنهم صفر الأكف من العلوم، وبالأخص الفقه والحديث هي وليدة ظروف خاصة، وأغراض مقصودة، قد تعرّضنا لها مراراً من قبل .

ولا بأس أن نشير هنا الى ما أدّت إليه مواقف الحكّام والظلمة الذين اصطعنوا رجالاً تزيّوا بزي العلم ولبسوا لبوس الورع، ولكنّهم كانوا أعوان الفسقة ورجال الجور، فخانوا مبادئ دينهم، وتنگروا لقيم الرسالة فأصبحوا أدوات بيد الجبارين والمتسلطين، وراحوا يصفون سمات الإسلام على النظم التي لم تتورع عن قتل الأبرياء وسفك الدماء وهتك الأعراض وانتهاب الأموال التي هي حقّ للمسلمين، وكان هؤلاء الذين استسلموا لأغراض الحكام يؤثرون في عقول العامة ويشنون حرباً على مبادئ أهل البيت ويرمون من نبغ منهم بالضلالة والبدع، ونجحوا في تأليب الناس وإخضاعهم لأغراض الحكّام. ولكن علماء الشيعة على مر العصور لم تفتر همهم، ولم يصدهم عنف الطغاة، فكانت لهم هيئاتهم الخاصة التي تتصل بالأئمة من أهل البيت ونوابهم حسب المراحل الزمنية. كما أنّ نتاج علماء الشيعة ومبادئ أهل البيت كانت تجد طريقها الى النفوس فهي قرين الإيمان الحقّ، وكم انطوت الجوانح وضمت الصدور ميولاً ومشاعر لولا قسوة الحكام، لوجدت طريقها وأفصحت عن نفسها في مجامع الملوك المتسلطين وقصورهم عبر كلّ العهود.

ونحن بهذا البيان عن حملة العلم من الشيعة، ومن كانت تشدّ لهم الرحال للانتفاع منهم والأخذ عنهم نقدم جانباً واحداً من جوانب الحركة العلمية عند الشيعة ونعطي صورة مبسّطة لرجال الشيعة الذين اقتحموا حواجز العداء واجتازوا أسوار المقاطعة فوردت أسماؤهم عسى أن نوفق لتصحيح بعض أخطاء الكتاب الذين أخطأوا الصواب في تحاملهم على الشيعة حول الحديث بالأخص والله الموفق .

والآن نقدّم جملة من أولئك العلماء الذين روى لهم أصحاب الكتب الستة: البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأبو داود مع ذكر بعض من روى عنهم. كما أننا لم نتعرض لأقوال الشيعة وآرائهم فيهم، بل اقتصرنا على ما ذكره علماء السنة، من منصفين ومتحاملين كالجوزجاني الذي لا يذكر الشيعة إلا بسيء العبارة، لأنّه شديد

النصب لعلّي(عليه السلام) وكذلك لم نستوف جميع من خرّج لهم أصحاب الكتب الستة، بل اقتصرنا على البعض منهم وهم :

أبان بن تغلب

أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح الحريري المتوفى سنة (١٤١ هـ) (٦٠٦). خرّج حديثه مسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وروى عنه موسى بن عقبة الأزدي، وشعبة بن الحجاج وحماد بن زيد بن درهم الأزدي، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن حازم التميمي وعبدالله بن المبارك، وزهير، وعلي بن عابس وغيرهم. كان أبان من أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) وقد تقدّمت ترجمته في ج ٣ ص ٥١ - ٥٩ ط ١ من هذا الكتاب (٦٠٧).

قال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبان فقال: ثقة. وقال ابن حجر: أبان ثقة تكلم فيه للتشيع. وقال أحمد بن حنبل وابن معين: أبان ثقة، وقال محمد بن سعيد المقرئ: سمعت عبدالرحمن بن الحكم يذكر عن أبان صحة حديث وأدب وعقل. وقال ابن عدي: أبان بن تغلب له نسخ عامتها مستقيمة، إذا روى عنه ثقة، وهو من أهل الصدق في الرواية وإن كان مذهبه مذهب الشيعة، وهو في الرواية صالح لا بأس به. وقال الذهبي: أبان بن تغلب الكوفي شيعي جلد لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته، وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم وأورده ابن عدي، وقال: كان غالباً في التشيع. وقال السعدي(٦٠٨): زائع مجاهر، فلقلل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحدّ الثقة العدالة والاتقان فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟

(٦٠٦) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٣، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٥٠، وفهرست ابن النديم ص ٣٠٨، ومعجم الأدباء ج ١ ص ١٠٧، وبغية الوعاة ص ١٧٦، ومرآة الجنان ج ١ ص ٢١٠، والجرح والتعديل ج ١ ص ١٩٦ قسم ١، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤ وغيرها من كتب الرجال والحديث والتاريخ.

(٦٠٧) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٣ ص ٦٩.

(٦٠٨) السعدي هو إبراهيم بن يعقوب أبو إسحاق السعدي الجوزجاني المتوفى سنة ٢٥٦ هـ كان حروري المذهب شديد العداء لعلّي(عليه السلام) وقد وصفوه بأنه صلب في السنة، وقال ابن عدي: كان شديداً إلى مذهب أهل دمشق على علي(عليه السلام). ولكنهم وثقوه لأنّ أحمد بن حنبل كان يكتبه إبراهيم هذا كان شديد الحمل على رجال الشيعة فلا يصفهم إلا بسبّي القول لسوء عقيدته وانحراف نزعه.

وجوابه أنّ البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرق، فهذا أكثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة .

ثم بدعة كبرى: كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة...

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، ولم يكن أبان يعرض للشيخين أصلاً بل قد يعتقد علياً أفضل^(٦٠٩) .

أقول: هذا هو جواب الأسئلة المتقدمة، وقد أورد الذهبي هذا الجواب وظهر من فحواه أنّ مطلق التشيع هو بدعة ولكن هذه البدعة تختلف شدة وضعفاً: فالبدعة الصغرى غلو التشيع أو التشيع بلا غلو بمعنى مطلق الحبّ لعلي ومشايعته .

ولا أدري هل يبقى بعد هذا التقسيم أحد من المسلمين غير متلبس بهذه البدعة إلا المنافقون الذين وصفهم الحديث النبوي بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي، لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، ونعوذ بالله من النفاق .

واتضح لنا أنّ هذه البدعة - وهي التشيع مع الغلو ومعناه حبّ علي (عليه السلام) والاعتماد عليه - كانت كثيرة في التابعين وتابعيهم مع أنّهم من أهل الورع والدين فكيف يوسمون بالبدع؟ يقول أبو قيس الأودي^(٦١٠) المتوفى سنة (١٢٠ هـ): أدركت الناس وهم ثلاث طبقات: أهل دين يحبون علياً، وأهل دنيا يحبون معاوية، والخوارج^(٦١١) .

وعلى أيّ حال لا نريد أن نخوض في هذا الموضوع ونسأل من أين جاء هذا التحديد؟ ولماذا اختص الشيخان بهذه المنزلة دون غيرهم من أصحاب محمد؟ ولماذا لا يطبق ذلك على من أعلن شتم علي (عليه السلام) وانتقاصه؟! وكيف تقبل رواية من عرف بالعداء له مع أنّهم لم يسمّوه بالبدعة ولم يتوقفوا عن قبول روايته أمثال عثمان بن حريز والحسين بن نمير والهيثم بن الأسود و.و.

(٦٠٩) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤ - ٥ .

(٦١٠) أبو قيس الأودي هو: عبدالرحمن بن ثروان الكوفي المتوفى سنة ١٢٠ هـ وهو من رجال صحيح البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي .

(٦١١) أخرجه ابن عبد البر بسند عن سفيان الثوري في الاستيعاب ج ٣ ص ٥١. في هامش الإصابة طبعة دار الكتاب العربي.

أحمد بن المفضل

أبو علي الكوفي أحمد بن المفضل القرشي الأموي الحفري محله بالكوفة المتوفى سنة (٢١٥ هـ) مولى عثمان بن عفان .

خرج حديثه مسلم وأبو داود والنسائي^(٦١٢) وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وابن أبي شيبة وأحمد بن يوسف السلمي^(٦١٣) .

وقال أبي حاتم: سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: كتبنا عنه وسئل أبي عنه، فقال: كان صدوقاً من رؤساء الشيعة^(٦١٤) .

وقال ابن حجر: أحمد بن المفضل الحفري صدوق شيعي، وأشار إلى تخريج مسلم وأبي داود والنسائي لحديثه^(٦١٥) .

وقال صفي الدين الخزرجي: أحمد بن المفضل روى عنه أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة وأبو حاتم، كان صدوقاً من الشيعة مات سنة (٢١٥ هـ)^(٦١٦) .

إبراهيم بن يزيد

أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي المتوفى سنة (٩٦ هـ) .

خرج حديثه البخاري، ومسلم، والجماعة، وروى عنه الأعمش ومنصور ابن عون، وزبيد البامي، وحamad بن سليمان، ومغيرة بن مقسم الضبي وغيرهم .

ذكره ابن قتيبة في رجال الشيعة، وترجم له سيدنا شرف الدين في مراجعته^(٦١٧) ومات إبراهيم مختفياً من الحجاج ولم يشيعه إلا سبعة رجال...

إبراهيم بن محمد

(٦١٢) الخلاصة لصفى الدين الخزرجي ص ١١ .

(٦١٣) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٨١ .

(٦١٤) الجرح والتعديل ج ١ ص ٧٧ قسم ١٠ .

(٦١٥) التقريب ج ١ ص ٢٦ .

(٦١٦) تهذيب الكمال ج ٢ ص ١٨٤ / ٢٣٦ .

(٦١٧) المراجعات ص ١٣٨ طبعة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) .

أبو إسحاق المدني إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى المتوفى سنة (١٨٤ هـ) شيخ الإمام الشافعي وابن جريح - وأبو يحيى اسمه سمعان - خرّج حديثه ابن ماجة، وروى عنه الحديث داود بن عبدالله الجعفري، ويحيى بن آدم، وإبراهيم بن موسى السدي، والحسن بن عرفة، وإبراهيم بن طهمان، وابن جريح والشافعي، وسعيد بن أبي مريم، وأبو نعيم وطائفة غيرهم^(٦١٨).

وقد تحامل على إبراهيم كثير من الحفاظ واتهموه بالكذب ووثقه آخرون. قال الذهبي: إبراهيم بن أبي يحيى الفقيه المحدث، أبو إسحاق الأسلمي، أحد الأعلام، حدث عنه الشافعي، وابن جريح، وهو من شيوخه وإبراهيم السدي، والحسن بن عرفة وطائفة، وكان الشافعي يمشيه ويدلّسه فيقول: أخبرني من لا أتهم .

وقال: ما كان ابن أبي يحيى في وزن من يضع الحديث وكان من أوعية العلم، وعمل موطأ كبيراً، ولكنه ضعيف عند الجماعة ولو كان عند الشافعي ثقة لصرّح بذلك، كما يقول في غيره: أخبرني الثقة. ولكنّه عنده غير مّتهم بالكذب، كما حطّ عليه بذلك بعضهم .

وقال الشافعي لأن يخر إبراهيم من بعد أحبّ إليه من أن يكذب وهو ثقة في الحديث، وقال الشافعي أيضاً في كتاب اختلاف الحديث: ابن أبي يحيى أحفظ من الدراوردي .

وقال أبو أحمد بن عدي: سألت أحمد بن سعيد يعني ابن عقدة فقلت له: تعلم أحداً أحسن القول في إبراهيم غير الشافعي؟

فقال: نعم؛ حدثنا أحمد بن يحيى الأودي، سمعت حمدان بن الاصبهان قلت: أتدين بحديث إبراهيم؟ قال: نعم. وقال ابن عقدة: نظرت في حديث إبراهيم كثيراً وليس بمنكر الحديث . قال ابن عدي: وهذا الذي قاله ابن عقدة هو كما قال: وقد نظرت أنا أيضاً في حديثه الكثير فلم أجد فيه منكراً، إلا عن شيوخ يحتملون، وإثما يروي المنكر من قبل الراوي عنه، أو من قبل شيخه، وهو في جملة من يكتب حديثه، وله الموطأ أضعاف موطأ مالك^(٦١٩) .

أقول: كان إبراهيم من تلامذة الإمام الباقر (عليه السلام) وولده الإمام الصادق (عليه السلام)، وكان من شيوخ الإمام الشافعي، وابن جريح وغيرهما من المحدثين. وقد أكثر الشافعي عنه. ولشدة ما تحامل الناس على إبراهيم فقد كان الشافعي لا يحدث عنه باسمه في بعض المواطن، فيقول حدثني الثقة أو يقول حدثني من لا أتهمه ويصرّح باسمه في مواطن آخر . وقد روى الشافعي عن إبراهيم عن الصادق (عليه السلام) في عدّة أحاديث .

(٦١٨) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: ج ١: ص ١٥٨ - ١٦١، والخلاصة للخزرجي ١٨، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١ ص ٢٢٧ .

(٦١٩) تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٥٩ .

قال إسحاق بن راهويه: ناظرت الشافعي بمكة، في كري بيوت مكة فاحتج بالحديث: هل ترك لنا عقيل من ظل؟

قال إسحاق فقلت للشافعي - فيما كنت أحتج فيه عليه: كيف جعفر بن محمد الصادق عندك؟

فقال: ثقة، كتبنا عن إبراهيم بن يحيى عند العمارة حديثاً عنه فقال إسحاق: حدثني حفص بن غياث القاضي عن جعفر بن محمد.. وسردت الباب في كري بيوت مكة^(٦٢٠). وعلى أي حال فإن إبراهيم هذا من الشيعة وله كتاب مبوب في الحلال والحرام، وهو أول من وضع موطأ أضعاف موطأ مالك. ولم يكن لمن تحاملوا عليه حجة إلا ما ادعاه بعض الناس عليه من أنه كان ينال من الشيخين، كما ذكر ذلك يعقوب بن سفيان في تاريخه^(٦٢١).

أجلح

أبو حجية الكندي أجلح، وقيل اسمه يحيى بن عبدالله والأجلح لقب، المتوفى سنة ١٤٥ هـ).

خرج حديثه البخاري في الأدب المفرد ومسلم في صحيحه والأربعة. وروى عنه الثوري وابن المبارك ويحيى القطان وشعبة وأبواسامة وجعفر بن عوف.

قال ابن حجر: أجلح يقال اسمه يحيى صدوق شيعي مستقيم الحديث من الطبقة السابعة مات سنة (١٤٥ هـ)^(٦٢٢).

وقال ابن عدي: أجلح شيعي صدوق. وقال الجوزجاني: أجلح مفتر. وقال النسائي له رأي سوء^(٦٢٣).

وقال ابن معين: أجلح صالح، ثقة، وليس به بأس. وقال ابن عدي: أجلح له أحاديث صالحة ويروي عنه الكوفيون وغيرهم، ولم أر له حديثاً منكراً مجاوزاً للحد لا إسناداً ولا متناً إلا أنه من شيعة الكوفة وهو عندي صدوق^(٦٢٤).

(٦٢٠) أخبار الشافعي ومناقبه للرازي ج ١ ص ١٨٧.

(٦٢١) فهرست الشيخ الطوسي ص ٣.

(٦٢٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٩، والجرح والتعديل ج ١ ص ٣٤٦ قسم ١، والتقريب ج ١ ص ٤٩ وغيرها.

(٦٢٣) انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧.

(٦٢٤) التهذيب ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠.

وذكره الشيخ الطوسي في عداد تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) واسماه يحيى بن عبدالله بن معاوية الكندي الأجلح^(٦٢٥).

إسحاق بن منصور

أبو عبدالرحمن إسحاق بن منصور السلولي الكوفي المتوفى سنة (٢٠٥ هـ).
خرج حديثه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه. وروى عنه أبو نعيم وهو من أقرانه، وابنا أبي شيبة، وعباس العنبري وأبو كريب، وابن نمير، والقاسم بن زكريا، وأحمد بن سعيد الرباطي وعباس الدوري. ويعقوب ابن شيبة السدوسي وجماعة^(٦٢٦).

قال ابن حجر: إسحاق بن منصور السلولي مولاهم أبو عبدالرحمن صدوق، تكلم فيه للتشيع، مات سنة (٢٠٤ هـ) وقيل بعدها^(٦٢٧).

إسماعيل بن أبان

أبو إسحاق إسماعيل بن أبان الأزدي الوراق الكوفي المتوفى سنة (٢١٦ هـ).
خرج حديثه البخاري، والترمذي في الصحيح، وأبو داود في مراسيله وكان من شيوخ البخاري.

روى عنه أحمد بن حنبل، وابن معين، والدارمي، وأبو حاتم وأبو زرعة، وأبو خيثمة. وعثمان بن أبي شيبة، والقاسم بن زكريا بن دينار، والذهلي، ويعقوب بن شيبة، وجماعة آخرهم إسماعيل سمويه، وأبو إسماعيل الترمذي^(٦٢٨).

قال ابن حجر: إسماعيل بن أبان الأزدي أبو إسحاق أو أبو إبراهيم كوفي ثقة، تكلم فيه للتشيع مات سنة ست عشرة من الطبقة التاسعة^(٦٢٩).

وقال الذهبي: إسماعيل بن أبان الكوفي الوراق شيخ البخاري، حدث عنه يحيى وأحمد، وقال البخاري: صدوق وقال غيره: كان يتشيع^(٦٣٠).

(٦٢٥) رجال الشيخ الطوسي ٣٣٥ / ٤١ .

(٦٢٦) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٥٠ .

(٦٢٧) التقريب ج ١ ص ٦١ والخلاصة لصفي الدين ص ٢٥ .

(٦٢٨) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٢٩، والجرح والتعديل ج ١ ص ١٦٠ .

(٦٢٩) التقريب ج ١ ص ٦٥ .

(٦٣٠) الميزان ج ١ ص ٩٩ .

وقال الجوزجاني: كان مائلاً عن الحق ولم يكن يكذب. قال ابن عدي: حول هذا القول: الجوزجاني كان مقيماً بدمشق يحدث على المنبر، وكان أحمد يكتابه فيتقوى بكتابه، ويقرأه على المنبر، وكان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي (عليه السلام) فقله في إسماعيل مائل عن الحق يريد به ما عليه الكوفيون من التشيع (٦٣١).

وقال ابن حجر: الجوزجاني كان ناصبياً منحرفاً عن علي فهو ضد الشيعي، المنحرف عن عثمان، والصواب موالاتهما جميعاً، ولا ينبغي أن يسمع قول مبتدع في مبتدع (٦٣٢).

وقال البزاز: إنما كان عيبه - أي إسماعيل - شدة تشيعه لعلي إنه عير أو عيب عليه في السماع، وقال الدراقطني: ثقة مأمون.

إلى آخر ما جاء حول أبان شيخ البخاري وأحمد وغيرهما، وقد وصفوه بالصدق والأمانة إلا أن عيبه هو حبه لعلي (عليه السلام).

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: إسماعيل بن أبان الوراق ثقة. صدوق في الحديث صالح الحديث، لا بأس به كثير الحديث (٦٣٣).

تميز

ربما اشتهر بعضهم في ترجمة إسماعيل بن أبان الوراق بإسماعيل بن أبان الخياط الغنوي الكوفي المتوفى سنة (٢١٠ هـ).

فإسماعيل بن أبان الوراق ثقة صدوق شيعي، كما تقدّم وإسماعيل بن أبان الخياط كان كذاباً.

قال عثمان بن أبي شيبة: إسماعيل بن أبان الوراق ثقة صحيح الحديث قيل له: فإن إسماعيل بن أبان عندنا غير محمود!

قال ههنا إسماعيل آخر يقال له: ابن أبان غير الوراق وكان كذاباً (٦٣٤).

وقال الذهبي: إسماعيل بن أبان الخياط الغنوي: كذبه يحيى بن معين، وقال أحمد بن حنبل: كتبنا عنه عن هشام بن عروة ثم روى أحاديث موضوعة.

ثم ذكر الذهبي الأحاديث الموضوعة عنه وإن كان يضعها على الثقات، ومنها حديث السابع من ولد العباس يلبس الخضرة.

(٦٣١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٦.

(٦٣٢) هدى الساري ص ٨٨.

(٦٣٣) الجرح والتعديل ج ٢ ص ٥٣٨ / ١٦١.

(٦٣٤) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٧٠.

وكان أبان هذا يضع الأحاديث على سفيان الثوري وجابر الجعفي وغيرهم من الثقات^(٦٣٥)

وعلى أي حال فإنّ زمن ابن الوراق والغوي واحد وربما وقع الاشتباه بين الاسمين .

إسماعيل السدي

أبو محمّد إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي - نسبة إلى سدة مسجد الكوفة - المتوفى سنة (١٢٧ هـ) من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)^(٦٣٦).

خرج حديثه مسلم، والترمذي، وابن ماجّة ; وأبو داود، والنسائي. وروى الحديث عنه حملة الآثار منهم: سماك بن حرب، وإسماعيل بن أبي خالد، وعيسى بن عمر الهمداني، وسليمان التميمي، وعثمان بن ثابت، ومالك بن مغول، وسفيان الثوري، وزائدة، وزيد بن أبي أنيسة، وزيد بن أبي خيثمة، وأبو إسرائيل الملائني، وإسرائيل بن يونس، وحسن وعلي ابنا صالح، وشريك ابن عبدالله، وأبو عوانة وأبو الأحوص، وأبو بكر بن عياش^(٦٣٧). قال ابن حجر: إسماعيل السدي أبو محمّد الكوفي صدوق يتهم، ورمي بالتشيع من الطبقة الرابعة^(٦٣٨).

وقال الخزرجي: رمي بالتشيع. وقال ابن عدي: مستقيم الحديث صدوق .

وقال علي بن المديني: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما رأيت أحداً يذكر السدي إلا بخير^(٦٣٩).

وسئل القطان عن السدي، فقال: لا بأس به، ما سمعت أحداً يذكر السدي إلا بخير، وما تركه أحد ثم قال: روى عنه شعبة، والثوري وزائدة^(٦٤٠). قال أحمد بن حنبل: قال يحيى بن معين يوماً عند عبدالرحمن بن المهدي: السدي ضعيف، فغضب عبدالرحمن وكره ما قال^(٦٤١).

* * *

(٦٣٥) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٩٨ .

(٦٣٦) رجال الشيخ الطوسي ص ١٤٩ / ١٠٥ .

(٦٣٧) انظر الجرح والتعديل ج ١ ص ١٨٤ ق ١ .

(٦٣٨) التقريب ج ٢ ص ٢٢ .

(٦٣٩) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١ .

(٦٤٠) الجرح والتعديل ج ١ ص ١٨٤ ق ١ .

(٦٤١) المصدر السابق .

وكان السدي من المفسرين المشهورين ومن الثقات في الحديث، وخرّج حديثه الجماعة إلا البخاري، ولكنه كان شيعياً ولهذا قال فيه الجوزجاني المتعصب: حدثت عن معمر عن ليث: كان بالكوفة كذابان فمات أحدهما السدي أو الكلبي^(٦٤٢).
وقد لُقّق خصومه حوله تهماً ونسبوا إليه أشياء حسب ما توحى إليه نزعتهم المنحرفة عن الحق. وإلا فإنّ الرجل من حملة الحديث، وكان يقصده العلماء للأخذ عنه، وقد وثقه جماعة منهم: أحمد بن حنبل، وابن مهدي، وأبو حاتم وغيرهم.
وقال شريك ما ندمت على رجل لقيته إلا أكون كتبت كل شيء لفظ به. إلا السدي. قال أبو محمد: يعني السلف الماضي^(٦٤٣).

إسماعيل بن خليفة

أبو إسرائيل إسماعيل بن خليفة العبسي الملائي الكوفي المتوفى سنة (١٦٩هـ). خرّج حديثه الترمذي، وابن ماجه، وروى عنه الثوري، وعبد الرحمن الرازي، ووكيع وأبو نعيم، وإسماعيل بن صبيح اليشكري، وأبو أحمد الزبيري وأبو الوليد الطيالسي.
قال ابن حجر: إسماعيل بن خليفة صدوق سيّئ الحفظ نسب إلى الغلو في التشيع.
وقال أبو زرعة: إسماعيل صدوق إلا أنّ في رأيه غلو^(٦٤٤) وقال يحيى بن معين: أبو إسرائيل صالح. وقال عمر بن علي: أبو إسرائيل الملائي ليس من أهل الكذب. وقال ابن أبي حاتم: كان من الثقات روى عنه أبي وأبوزرعة رحمهم الله^(٦٤٥).
وقال ابن حبان في الضعفاء: روى عنه أهل العراق، وكان رافضياً شتّاماً، وهو مع ذلك منكر الحديث، حمل عليه أبو داود الطيالسي حملاً شديداً^(٦٤٦).
وقال ابن سعد: إسماعيل بن خليفة يقولون إنّه صدوق، وكان بهز بن أسد يحكي أنّه سمع أبا إسرائيل تناول عثمان^(٦٤٧).
وقال الجوزجاني: إسماعيل بن خليفة مفتر زائع. أي أنّه شيعي لأنّ هذه لهجة الجوزجاني في تراجم الشيعة.

(٦٤٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١٠.

(٦٤٣) الجرح والتعديل ج ٢ ص ١٨٥ / ٦٢٥.

(٦٤٤) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٩٣.

(٦٤٥) الجرح والتعديل ج ١ ص ١٦٧ ق ١.

(٦٤٦) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٩٤.

(٦٤٧) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٨٠ ط ٢.

وكيف كان فالرجل وثقه العلماء وأخذ عنه جماعة منهم وقد اتهموه بالحمل على الخلفاء .

إسماعيل بن زكريا

أبو زياد إسماعيل بن زكريا بن مرّة الخلقاني المتوفى سنة (١٧٤ هـ).
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن ماجه وروى عنه
سعيد بن سليمان سعدويه، ومحمد بن الصباح الدولابي وأبو الربيع الزهراني، ومحمد بن
بكار بن الريان، ومحمد بن سليمان، وسعيد بن منصور، ولوين وعدة^(٦٤٨).
قال الذهبي: إسماعيل بن زكريا الخلقاني الكوفي صدوق شيعي لقبه شقوصاً، قال أحمد:
ما به بأس، وقال مرة حديثه حديث مقارب، وقال مرة ضعيف الحديث، وثقه ابن معين^(٦٤٩)
وقال ابن خراش: إسماعيل صدوق. وقال الدوري وابن أبي خيثمة عنه: إنه ثقة^(٦٥٠).

إسماعيل بن موسى

أبو محمد إسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي المتوفى سنة (٢٤٥ هـ).
روى له البخاري في أفعال العباد وخرج حديثه أبو داود، والترمذي وابن ماجه.
وروى عنه ابن خزيمة، والساجي، وأبو يعلى، وأبو عروبة، ومطين وبقي ابن مخلد، وأبو
حاتم، وأبو زرعة^(٦٥١).
قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال صدوق. وروى عنه أبي وأبو زرعة.
وقال ابن حجر: إسماعيل بن موسى نسيب السدي صدوق يخطئ ورمي بالرفض، من
الطبقة العاشرة^(٦٥٢).
وقال الذهبي: إسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي روى عنه أبو داود وأبو عروبة، وابن
خزيمة وخلائق، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي ليس به بأس. وقال ابن عدي: انكروا
منه غلوّه في التشيع^(٦٥٣).
وقال مطين: كان إسماعيل بن موسى صدوقاً، وقال أبو داود: إسماعيل صدوق في
الحديث وكان يتشيع^(٦٥٤).

(٦٤٨) تاريخ بغداد ج ٦ ص ١١٥، وتهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٩٧ .

(٦٤٩) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٠٦ .

(٦٥٠) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٨٥ / ٢٣٢١ .

(٦٥١) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٣٥ .

(٦٥٢) التقريب ج ١ ص ٧٥ .

(٦٥٣) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١٧ .

وقد اتهموه بشتم السلف، وكان هناد ينهى عن الحضور عند إسماعيل بن موسى لأنه يشتم السلف. وشتم السلف في عرفهم يدخل فيه نقل كل رواية فيها حط على واحد منهم حتى لو قال أحد إن معاوية خالف الكتاب والسنة بإلحاقه زياد بن سمية بأبي سفيان، أو يقال بأنه سلب بسر بن أرطاة على المسلمين فقتل الأطفال، والشيوخ، والنساء، أو يقال: إنه سم الحسن بن علي(عليه السلام) أو يُقال إن المغيرة بن شعبة زنى بأم جميل وخالد بن الوليد قتل مالك ابن نويرة ظلماً ونزى على امرأته إلى غير ذلك . فالتعرض لأمثال هذه الحوادث يرمي صاحبها بالفسق كما نقل الذهبي عن ابن أبي شيبة، أو هناد أنه قال لمن يذهب لسماع الحديث من إسماعيل هذا: ماذا عملتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف^(٦٥٥) ؟ .

إسماعيل بن عبدالله

إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي المتوفى سنة (١٤٥ هـ). خرج حديثه ابن ماجة. وروى عنه ابن أخيه صالح بن معاوية والحسين بن زيد بن علي بن الحسين وعبدالله بن مصعب الزبيري . ووقع اشتباه في خلاصة الخزرجي بقوله وروى عنه الحسين بن علي، وهذا خطأ والصحيح ما بيناه: وهو الحسين بن زيد بن علي، ولهذا ذكرناه هنا لأننا لم نذكر حملة الحديث من العلويين في هذا العرض .

إسماعيل بن سلمان

إسماعيل بن سلمان بن المغيرة الأزرق التميمي الكوفي . خرج حديثه ابن ماجة، والبخاري في الأدب المفرد، وروى عنه إسرائيل ووكيع، ومحمد بن أبي ربيعة، وعبيدالله بن موسى. قال ابن أبي حاتم: سمعت ابن نمير يقول: إسماعيل بن الأزرق الذي يروي عن أبي عمر كان من غلاة الشيعة، وأبو عمر صاحب ابن الحنفية^(٦٥٦) .

(٦٥٤) التهذيب ج ١ ص ٣٣٦ .

(٦٥٥) انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١٧ .

(٦٥٦) مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ص ٣٢٥ .

وقد تحامل الحفاظ على إسماعيل هذا لأنه أحد رواة حديث الطائر المشوي، الذي أخرجه الترمذي، والبغوي في المصابيح الحسان، وأخرجه الخري، وابن البخاري وغيرهم عن أنس بن مالك قال: قدّمت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طيراً، أو كان عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طير فقال اللهم انتني بأحبّ خلقك إليك، ليأكل معي هذا الطير فجاء علي (عليه السلام) فأكل معه. وحديث الطائر مشهور، وأحد رواته إسماعيل بن سلمان ومن أعجب الأمور أن يكون سبب تضعيف هذا الرجل لروايته لهذا الحديث، ولم ينفرد هو به بل روي من طرق متعددة ليس هذا محل التعرض لها حتى أنّ الذهبي صححه، وجعل فيه جزءاً منفرداً. ومن أظرف الأشياء: أنّ الحافظ عبدالله بن محمد بن عثمان الواسطي المتوفى سنة (٣٧٣ هـ) كان من العلماء الأعلام، وله حلقة درس، ومن الحفاظ المتقنين، فاتفق أنّه أملى على تلامذته حديث الطير، فلم تحمله نفوسهم، فوثبوا به وأقاموه، وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته، ولم يحدث أحداً.

قال الذهبي: ولهذا قلّ حديثه عند الواسطيين (٦٥٧).

ومن هذا وأمثاله يتجلّى لنا شدة الأمر على الحفاظ الذين يحملون الآثار الصحيحة في فضائل أهل البيت، ممّا يدعو إلى التكتّم وترك ذلك، ولهذا قال بعض الحفاظ في الإمام علي (عليه السلام): ماذا أقول في رجل كتم أعداؤه فضائله حسداً له وكتم أولياؤه فضائله خوفاً من أعدائه، فظهر له ما بين ذا وذا ما ملأ الخافقين؟

أصبع بن نباتة (٦٥٨)

أبو القاسم أصبع بن نباتة التميمي ثم الحنظلي الكوفي. خرّج حديثه ابن ماجه، روى عنه سعيد بن طريف، والأجلح، وفطر بن خليفة ومحمد بن السائب الكلبي وغيرهم. كان من خواص الإمام علي (عليه السلام) وكان على شرطته. قال ابن حبان: أصبع فتن بحبّ عليّ فأتى بالطامات.

وقال ابن عدي عامة ما يرويه عن علي (عليه السلام) لا يتابعه عليه أحد، وهو بين الضعف ثم قال: وإذا حدث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته.

(٦٥٧) انظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٦٥.

(٦٥٨) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٦٢، وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٦٥، والخلاصة للخزرجي ٣٣، وتقريب التقريب ج ١ ص ٨١، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١ - قسم ١ وغيرها.

وقال العجلي: أصبغ كوفي تابعي ثقة. وقال ابن سعد. أصبغ كان شيعياً وكان يضعف في روايته وكان على شرطة علي(عليه السلام)، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم. وقال الجوزجاني: زائع^(٦٥٩).

ولا بدّ هنا بأن نشير إلى ما يبدو من كلمة ابن عدي بأن أصبغ بن نباتة ثقة، ولكنّه مذكوب عليه وهذا غير بعيد أن يضع المغرضون عنه أخباراً غير صحيحة لتنسب إلى شيعة علي(عليه السلام) حتى يكون طريقاً للوقية فيهم، وهذا كثير في تلك العصور . والغرض أنّ أصبغ من الثقات ومن خواص أمير المؤمنين ولكن تحاملهم عليه لشدة حبه لعلي(عليه السلام). ولا يضر مكانته ما سدده القوم إليه، ولعمري فإنّها عليهم وليست لهم ما دام أصبغ على بينة من دينه وعلى ثقة من علمه.

بسام الصيرفي

أبو الحسن بسام بن عبدالله الكوفي من تلامذة الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام)خرج حديثه النسائي. وروى عنه حاتم بن إسماعيل، وخلاّد بن يحيى، وابن المبارك ووكيع، وأبو نعيم، والحسن بن عطية، وعبيدالله الأشجعي^(٦٦٠).

قال يحيى بن معين: بسام الصيرفي صالح. وقال مرةً إنّهُ ثقة. وقال أبو حاتم: بسام الصيرفي لا بأس به، صالح الحديث . وقال الحاكم في المستدرک: هو من ثقة الكوفيين ممن يجمع حديثه ولم يخرجاه - أي مسلم والبخاري - وذكره ابن عقدة في رجال الشيعة وكذلك الطوسي وابن النجاشي^(٦٦١).

تليد بن سليمان^(٦٦٢)

أبو سليمان أو أبو إدريس تليد بن سليمان المحاربي الكوفي المتوفى سنة (١٩٠ هـ) . خرج حديثه الترمذي في صحيحه، وروى عنه هشيم بن أبي ساسان، وأحمد بن حاتم الطويل، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن موسى الأنصاري، ومحمد بن عبدالله بن نمير، وأبو سعيد الأشج، ويحيى بن يحيى النيسابوري.

(٦٥٩) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٢٨ / ٥٨٥ .

(٦٦٠) انظر تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٣٤، والجرح والتعديل ج ١ ص ٤٣٣ ق ١ .

(٦٦١) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٣٥ .

(٦٦٢) انظر تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٣٦، والجرح والتعديل ج ١ ص ٤٧١ ق ١، وتهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٠٩، ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٦٦ وغيرها.

قال أحمد بن حنبل: تلديد كان مذهبه التشيع. وقال البخاري: تلديد تكلم فيه يحيى بن معين ورماه. وقال العجلي: تلديد كوفي، روى عنه أحمد بن حنبل لا بأس به كان يتشيع ويدلس . وقال أحمد بن حنبل: كتبت عنه حديثاً كثيراً. وقال يعقوب بن سفيان: تلديد رافضي خبيث^(٦٦٣) .

وأخرج الخطيب البغدادي عن تلديد بن سليمان عن أبي الجحّاف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم» .

وقد اتهم تلديد بأنه يشتم عثمان، ولهذا حملوا عليه فكذبوه، يقول عباس بن محمّد: سمعت يحيى بن معين يقول: تلديد كذاب كان يشتم عثمان وكلّ من شتم عثمان أو طلحة، أو أحدًا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(٦٦٤) .

* * *

هذا ما نقل عن ابن معين وهو الرجل الحافظ المتضلع بعلم الرجال، ولكن لا ندري هل أنّ ما ذهب إليه ابن معين من هذا الرأي هو عام لكلّ من شتم أحدًا من أصحاب محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، أم خاصّ بالبعض دون البعض؟

فإن كان ذلك على وجه العموم فبأيّ وجه يصدق من يحمل على أول الصحابة إسلاماً، وأعلمهم بأحكام القرآن، وأقضاهم بالحكم، وأعدلهم في الرعية، وأقربهم من رسول الله بل هو نفسه، وهو الإمام علي.

فإنّنا نجد كتب الحديث مملوءة من روايات من نصب العداء لعلي وولديه أمثال الخوارج كعمران بن حطان وثور بن زيد الديلي والجوزجاني وغيرهم فقد وثقوهم وأخذوا عنهم . وكذلك النواصب كإسماعيل بن سميع الحنفي وأزهر بن عبدالله و. و.

ثمّ ماذا يقول ابن معين في الرواية عمّن اتخذ شتم أهل البيت سنة؛ فهل تركوه أم خرّجوا أحاديثه ووسموه بأنه صلب في السنة ثقة في الحديث؟

وإن كان هذا شيئاً يخصّ جماعة دون آخرين فهذا أمر لا نعرفه وليس له دليل. ونحن لا نريد أن نخرج عن الصدد في الخوض بهذا الموضوع نترك تقديره للقراء المنصفين.

(٦٦٣) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٦٨ / ٨٥١ .

(٦٦٤) تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٣٦ .

ثابت بن أبي صفية

أبو حمزة ثابت بن أبي صفية الثمالي المتوفى في خلافة أبي جعفر المنصور.
خرّج حديثه الترمذي، وابن ماجه، والنسائي في مسند علي(عليه السلام)، وهو من تلامذة الإمام الباقر(عليه السلام)^(٦٦٥).

روى عنه الثوري، وشريك، وحفص بن غياث، وأبو أسامة وعبد الملك بن أبي سليمان وأبو نعيم، ووكيع، وعبيد الله بن موسى، وزافر بن سليمان.
قال ابن حجر: ثابت بن أبي صفية الثمالي - بضم المثلثة - أبو حمزة واسم أبيه دينار - وقيل: سعيد - كوفي رافضي من الطبقة الخامسة مات في خلافة أبي جعفر المنصور^(٦٦٦).
وقال الخزرجي: ثابت بن أبي صفية الثمالي أبو حمزة رافضي^(٦٦٧) وعلى أي حال فقد ذكروا أبا حمزة بالتضعيف وليس لهم حجة إلا أنه رافضيّ كان يحمل على عثمان .

ثوير بن أبي فاخنة

أبو الجهم ثوير بن أبي فاخنة سعيد بن علاقة الهاشمي أبو الجهم الكوفي مولى أم هاني وقيل: مولى زوجها جعدة .
خرّج حديثه الترمذي في صحيحه، وروى عنه الأعمش، والثوري وإسرائيل، وشعبة وحجاج بن أرطاة وغيرهم .
قال يونس بن أبي إسحاق: كان رافضياً وقال ابن معين: ليس بشيء وقال أبو حاتم وغيره ضعيف^(٦٦٨).
وقد نقموا على ثوير هذا تشييعه لعلي(عليه السلام) وروايته عن أبيه أبي فاخنة وكان أبوه من كبار التابعين ووثقه جماعة .
وقد روى ثوير عن أبيه - كما حدث عنه أبو مريم الأنصاري - أنه سمع علياً(عليه السلام) يقول: لا يحبني كافر ولا ولد زنا^(٦٦٩).

(٦٦٥) تهذيب الكمال ج ٤ ص ٣٥٧ / ٨١٩ .

(٦٦٦) التقريب ج ١ ص ١١٦ .

(٦٦٧) الخلاصة ص ٤٨، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٦٤ .

(٦٦٨) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٧٤ .

(٦٦٩) نفس المصدر .

جعفر بن زياد

أبو عبدالله - وقيل: أبو عبدالرحمن - جعفر بن زياد الأحمر الكوفي المتوفى سنة (١٦٧ هـ).

خرج حديثه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وروى عنه سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وعبيدالله بن موسى، وأبو غسان النهدي، وأسود بن شاذان، وابن إسحاق، وإسحاق بن منصور السلولي، وعبدالرحمن بن مهدي، وقبيصة، وعدة غيرهم؛^(٦٧٠) وهو من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)^(٦٧١).

قال ابن حجر: جعفر بن زياد صدوق يتشيع من الطبقة السابعة^(٦٧٢).
ووثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة^(٦٧٣) وقال أبو داود صدوق شيعي حدث عنه ابن مهدي، وقال ابن أبي شيبة: جعفر بن زياد صدوق ثقة وقال العجلي: كوفي ثقة^(٦٧٤).
ويقول الجوزجاني: جعفر بن زياد مائل عن الطريق. قال الخطيب البغدادي - بعد نقله لكلمة الجوزجاني - : قلت: يعني في مذهبه وما نسب إليه من التشيع.

ولقد تحمل جعفر بن زياد في سبيل حبه لآل محمد وتشيعه لهم جور السلطة وعنف الولاة، لأنه كان من رؤساء الشيعة في خراسان. فقد كتب المنصور إلى هراة بإشخاصه مع جماعة من الشيعة فحبسوا في المطبق دهرًا طويلاً وكان إشخاصه من الإهانة والتحقير وذلك أنهم أشخصوه في ساجور، والساجور خشبة تعلق في عنق الكلب أو قلادة تجعل في عنقه والمراد هنا أنهم أشخصوه وفي عنقه حبل يجر به^(٦٧٥) وقد كان لا يصلي مع الولاة ولا يميل إليهم.

وكان الحسن بن صالح يصلي الجمعة مع الأمراء، وكان الحسن من الشيعة فمنعه جعفر بن زياد عن صلاة الجمعة معهم، فقال له الحسن أصلي معهم ثم أعيدها .
فقال له جعفر: يراك إنسان فيقتدي بك^(٦٧٦) ولهذا فقد وصفوه بالغلو مع توثيقهم له .

(٦٧٠) انظر تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٥٩، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٩٢ .

(٦٧١) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٨٣ / ٩٩٥ .

(٦٧٢) التقريب ج ١ ص ١٣٠ .

(٦٧٣) الجرح والتعديل ج ١ ص ١٨٠ ق ١ .

(٦٧٤) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٩٣ .

(٦٧٥) انظر تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٥٠ .

(٦٧٦) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٩٣ .

جعفر بن سليمان

أبو سليمان البصري جعفر بن سليمان الضبعي المتوفى سنة (١٧٨ هـ) وهو من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) (٦٧٧).

خرّج حديثه البخاري في الأدب المفرد، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

روى عنه هلال بن بشر، وبشر بن آدم، والحكم بن ظبيان، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه، وأبو حاتم الرازي، وابن المبارك، وأبو الوليد الطيالسي، والحسن بن الربيع، ومسدد، وعبيد الله القواريري وعبد السلام بن مطهر وغيرهم (٦٧٨).

قال أحمد بن حنبل: جعفر بن سليمان لا بأس به. فقليل له: إنّ سليمان بن حرب يقول لا يكتب حديثه.

فقال أحمد: إنّما كان جعفر يتشيع. وأهل البصرة يغفلون في علي (عليه السلام) (٦٧٩). ولما قدم جعفر بن سليمان إلى صنعاء حدثهم حديثاً كثيراً، وكان عبد الصمد ابن معقل يجيء فيجلس إليه.

وقد وثقه ابن معين، وأحمد بن حنبل، وابن سعد وغيرهم. وحمل بعضهم عليه لتشيعه أو ميله لأهل البيت (عليهم السلام).

قال ابن حبان: كان جعفر بن سليمان من الثقات في الروايات غير أنّه ينحل الميل إلى أهل البيت، ولم يكن بداعية إلى مذهبه، وليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلاف أن الصدوق المتقن إذا كانت فيه بدعة ولم يكن يدعو إليها الاحتجاج بخبره جائز (٦٨٠).

* * *

أقول: من هذا يتّضح لنا أنّ الشيعة إنّما وسموا بالبدعة لأنّهم مع أهل البيت (عليهم السلام)، وهذه الكلمة التي ذكرها ابن حبان بمنتهى الغرابة، وذلك بأن يكون مطلق الميل إلى أهل البيت بدعة، ومفهومه أنّ عدم الميل إليهم يكون سنة! ومن هنا تغذت آفة التعصّب ونمت سموم الفرقة.

وأيّ جريمة ترتكب بحقّ الإسلام والعلم عندما تترك أقوال الثقات أو يغفل شأن العلماء لتشيع فيهم. ولو تساءلنا: إذا كان المرء على ورع وتقوى يشهد بهما الناس ويجمعون ولهم

(٦٧٧) رجال الشيخ الطوسي ص ١٦٢ / ١٩.

(٦٧٨) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٩٥، والجرح والتعديل ج ١ ص ٤٨١ ق ١.

(٦٧٩) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٩٥.

(٦٨٠) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٩٧.

في الصدق منزلة فما الضير في الأخذ عنهم؟ أليس مصدر علمهم هو القرآن ومنبع صدقهم هو الاتصال بمدرسة أهل البيت والأخذ بمبادئهم؟
ولا ندري ما نقول حول هذه الأمور، وكيف نتصور الحالة التي بلغ إليها المسلمون من الخلاف الذي هو خلاف تعاليم الإسلام ونظمه؟
وقال الذهبي في ترجمة جعفر بن سليمان: روى عنه سيار بن حاتم وعبدالرزاق، وعنه أخذ بدعة التشيع^(٦٨١).
وعبدالرزاق هو ابن همام المحدث أحد الأعلام، وهو شيعي كما سيأتي في ترجمته، فهو في نظر الذهبي مبتدع لأنه شيعي أخذ التشيع عن جعفر، لأنه من تلامذته.
وستقف على ترجمة عبدالرزاق بن همام، وأقوال العلماء في مدحه.
وعلى أي حال فإن جعفر بن سليمان إنما جرحه البعض لأنه ممن يحب أهل البيت، وهو أحد رواة حديث الطير المشهور الذي رواه جماعة من الحفاظ.
ولأن حب أهل البيت والميل إليهم كان بدعة فإن الشيعة تفتخر بهذه البدعة التي جرت في عروقهم، وانطبعت في قلوبهم، وقد اتبعوا فيها صاحب الرسالة النبي الأعظم محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) فهم يحبون آله لحب الله وحب الله عليه وآله وسلم، وقد تقدّم بيان ذلك في ثنايا أجزاء هذا الكتاب.

جميع بن عمير

أبو الأسود جميع بن عمير التميمي الكوفي من بني تميم الله بن ثعلبة من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)^(٦٨٢).
خرج حديثه الترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه. وروى عنه: الأعمش، والعوام بن حوشب، والعلاء بن صالح، وصدقة بن سعيد الحنفي، وكثير النواء، وحكيم بن جبير، وابنه محمد بن جميع، وأبو إسحاق الشيباني^(٦٨٣).

(٦٨١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٢٢.

(٦٨٢) قاموس الرجال ج ٢ ص ٧١٢ / ١٥٧٩.

(٦٨٣) الجرح والتعديل: ج ١، ص ٥٣٢ ق ١، وتهذيب التهذيب: ج ١: ص ١٣٣.

قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن جميع، فقال: هو من عتق الشيعة ومحلّه الصدق، صالح الحديث، كوفي من التابعين .

وقال العجلي: تابعي ثقة، وقال الساجي: له أحاديث مناكير وفيه نظر وهو صدوق .
أقول: إنهم أنكروا على جميع روايته في فضائل علي (عليه السلام) منها ما رواه علي ابن صالح. عن حكيم بن جبير عن جميع عن ابن عمر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام): أنت أخي في الدنيا والآخرة^(٦٨٤) .

ولهذا حملوا عليه. قال فيه ابن نمير: إنه كان من أكذب الناس وقالوا فيه: كان رافضياً يضع الحديث إلى غير ذلك.

جميع العجلي

أبو بكر جميع بن عمير بن عبدالرحمن العجلي الكوفي.
خرج حديثه مسلم والترمذي وروى عنه عمرو بن محمد العنقري، ومالك ابن إسماعيل، ومحمد بن يزيد الرفاعي، وعبدالله بن إسماعيل الهباري، وأبو غسان النهدي، وسفيان بن وكيع بن الجراح، ويحيى بن عبدالحميد الحماني، وعدة^(٦٨٥) .
قال ابن حجر: جميع - بالتصغير - بن عمير - كذلك - أبو بكر الكوفي ضعيف رافضي، وأشار إلى تخريج مسلم والترمذي لحديثه^(٦٨٦) .
وقال العجلي: جميع لا بأس به يكتب حديثه، وليس بالقوي، وذكره ابن عدي في الكامل، وابن حبان في الثقات .

جابر بن يزيد

أبو زيد جابر بن يزيد بن الحارث بن عديغوث الجعفي الكوفي المتوفى سنة (١٢٨ هـ).
خرج حديثه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.
وروى عنه: الثوري، وشعبة، وإسرائيل، والحسن بن حي^(٦٨٧)، وشريك، ومسعر، ومعمر، وأبو عوانة، وزهير، وإسرائيل وغيرهم .
وقد تقدمت الإشارة إليه في هذا المجلد ص ٤١٠ - ٤١١ في اتهام الذهبي له بالوضع.

(٦٨٤) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٩٥ .

(٦٨٥) انظر الجرح والتعديل ج ١ ص ٥٣٢ ق ١، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ١١١ .

(٦٨٦) التقريب ج ٢ ص ١٣٣ .

(٦٨٧) تهذيب الكمال ج ٤ ص ٤٦٥ / ٨٧٩ .

جرير بن عبد الحميد

أبو عبدالله جرير بن عبد الحميد بن قرط - بالضم - الضبي الكوفي المتوفى سنة (١٨٨ هـ)، من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) (٦٨٨).

احتج به البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائي .
وروى عنه: إسحاق بن راهويه، وابن أبي شيبة، وقتيبة، وعبدان المروزي، وأبو خيثمة، ومحمد بن قدامة الطوسي، ومحمد بن قدامة السلمي، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، ويحيى بن يحيى، ويوسف بن موسى القطان، وأبو الربيع الزهراني، وعلي بن حجر وجماعة (٦٨٩).

قال ابن حجر: جرير أجمعوا على ثقته، وقال ابن سعد: كان ثقة يرحل إليه، وقال ابن معين وأحمد: هو أثبت من شريك، وثقة العجلي والنسائي، وأبو حاتم، وقال يحتج بحديثه، ونسبه قتيبة إلى التشيع المفرط (٦٩٠).

وقال ابن حبان في الثقات: كان جرير من العباد الخشن. وقال أبو أحمد الحاكم: هو عندهم ثقة. وقال قتيبة: حدثنا جرير الحافظ المقدم لكن سمعته يشتم معاوية علانية (٦٩١).

الحارث الهمداني

أبو زهير الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني الخارقي الكوفي المتوفى سنة (٦٥ هـ) .
خرج حديثه الترمذي، والنسائي، وأبو داود وابن ماجه، وروى عنه الشعبي، وإسحاق السبيعي، وأبو البختري والطائي، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك بن مزاحم وغيرهم (٦٩٢).

كان الحارث من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، ومن رجال الشيعة، وقد وثقه ابن معين، والنسائي، وأحمد بن صالح وابن أبي داود وغيرهم .
وكان يحيى بن سعيد القطان يحدث من حديث الحارث، وكان أبو إسحاق يصلي خلف الحارث وكان إمام قومه وكان أبو إسحاق السبيعي يقول: ليس بالكوفة أعلم بفريضة من عبدة والحارث (٦٩٣).

(٦٨٨) قاموس الرجال ج ٢ ص ٥٨٣ / ١٣٩٢ .

(٦٨٩) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٧٥ .

(٦٩٠) هدى الساري ص ٣٩٢ .

(٦٩١) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٧٧ .

(٦٩٢) انظر الجرح والتعديل ج ١ ص ٧٨ ق ٢ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٥ .

وقال محمد بن سيرين: كان من أصحاب ابن مسعود خمسة يؤخذ عنهم فأدركت منهم أربعة، وفاتني الحارث وكان يفضل عليهم.

وقد حمل عليه الشعبي فكذبه بدون حجة إلا أنه شيعي كما أشار لذلك الحافظ بن عبد البر إذ يقول: وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني: أحد الكذابين. ولم يبين من الحارث كذب وإنما نقم عليه إفراطه في حبّ علي(عليه السلام) وتفضيله له على غيره، ومن هنا والله أعلم كذبه الشعبي، لأنّ الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنه أول من أسلم، والشعبي كذبه إبراهيم النخعي عندما ذكر عنده، فقال إبراهيم: الشعبي ذاك الكذاب لم يسمع من مسروق^(٦٩٤).

ومن هذا يظهر أنّ الطعون على رجال الشيعة لم تكن مفسرة للجرح فيهم. وإنما جرحوهم للتشيع فقط.

والشعبي غير صادق فيما يدّعيه من التبعاد عن الشيعة، واطهاره عدم الميل لأهل البيت، لأنه كان يخشى الدولة، ويرجو نوالها في آن واحد وهو القائل: ماذا نقول في آل أبي طالب: ان أحببناهم قتلنا، وان بغضناهم دخلنا النار؟

لأنّ حبّ آل البيت في تلك العصور فيه خطر على النفس والأهل والمال.

قال الرياشي: سمعت محمد بن عبد الحميد قال: قلت لابن أبي حفص، الشاعر: ما أغراك ببني علي؟ قال: ما أحد أحبّ إليّ منهم، ولكن لم أجد شيئاً أنفع عند القوم منه: أي من بغضهم، والتحامل عليهم^(٦٩٥).

وكان ابن أبي حفص يهجو آل علي(عليه السلام) وقد هجاهم بقصيدة فأجازه المهدي العباسي مائة ألف دينار لكل بيت ألف دينار.

الحارث بن حصيرة

أبو النعمان الحارث بن حصيرة الكوفي .

خرّج حديثه البخاري في الأدب المفرد، والنسائي في سننه وخصائص الإمام علي(عليه

السلام) .

(٦٩٣) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٦٨ ط ٢ .

(٦٩٤) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٥٤ .

(٦٩٥) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٨٧ .

وروى عنه: عبدالواحد بن زياد، والثوري، ومالك بن مغول، وعبدالسلام ابن حرب، وعبدالله بن نمير، وأبو إسرائيل الملائي، ومحمد بن كثير الكوفي، وجعفر بن زياد الأحمر، وعلي بن عابس^(٦٩٦).

قال يحيى بن معين: الحارث بن حصيرة ليس به بأس. وقال أبو غسان سألت جرير بن عبد الحميد، فقلت له الحارث بن حصيرة لقيته؟ فقال نعم شيخ طويل السكوت يصر على أمر عظيم^(٦٩٧)، وقال الدارقطني: الحارث بن حصيرة شيخ للشيعة يغلو في التشيع. وقال أبو داود: شيعي صدوق ووثقه العجلي، وابن نمير وذكره ابن حبان في الثقات^(٦٩٨).

ولما كان الحارث من رجال الشيعة فقد وصفه المتعصبون بأنه: زائغ أو مذموم وسيئ المذهب، ويعنون بذلك: مذهب التشيع. ومعنى قول الدارقطني إنه يغلو، يريد أنه يقدم علماً على الخلفاء الثلاثة كما هو مذهب الشيعة، ولهذا وصفوهم بالغلو في الخلافة.

حبيب بن أبي ثابت

أبو يحيى حبيب بن قيس أبو ثابت بن دينار الكوفي المتوفى سنة (١١٩ هـ).

خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن ماجه.

وروى عنه: عطاء بن أبي رباح، ومنصور، والأعمش، وحسين وابن عون، ومسعر، والثوري، وشعبة، والعوام، وحوشب، وإسماعيل بن سالم، وأبو بكر ابن عياش، وزيد بن أبي أنيسة، والمسعودي وابن جريح، وحكيم بن حزام، ومطرف بن طريف، وأبو الزبير وغيرهم^(٦٩٩) وهو من تلامذة الإمام الباقر وولده الإمام الصادق (عليهما السلام) وثقه العجلي والنسائي وابن معين.

نصّ الشهرستاني على تشييعه^(٧٠٠) وكذلك ذكره ابن قتيبة في معارفه من رجال الشيعة. ومما يثبت تشيع حبيب بن أبي ثابت ما ذكره ابن أبي حاتم عن شعبة بن الحجاج لما ورد البصرة قالوا له: حدثنا عن ثقات أصحابك.

فقال: أحدثكم عن ثقات أصحابي فإنما أحدثكم عن نفر يسير من هذه الشيعة (وهم): الحكم بن عتيبة، وحبيب بن أبي ثابت وسلمة بن كهيل، ومنصور بن المعتمر^(٧٠١).

(٦٩٦) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ١ ص ٧٣ - ٢، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٠.

(٦٩٧) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٠٣.

(٦٩٨) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٠.

(٦٩٩) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٧٨، والجرح والتعديل ج ١ ص ١٠٧ ق ٢.

(٧٠٠) انظر الملل والنحل ج ١ ص ٣٢٥.

(٧٠١) مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ص ١٣٩.

وذكره الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق (عليهم السلام) (٧٠٢) .

الحسن بن صالح

أبو عبدالله الحسن بن صالح بن حيّ الكوفي الفقيه العابد المتوفى سنة (١٦٧ هـ).
خرج حديثه مسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي وابن ماجه .
وروى عنه: وكيع بن الجراح، ويحيى بن آدم، ويحيى بن فضيل وعبيدالله ابن موسى،
وقبيصة، وأحمد بن يونس، وعلي بن الجعد وابن المبارك، وعبدالله بن داود الحريبي، وأبو
أحمد الزبيري، وطلق بن غنام، وحמיד بن عبدالرحمن الرواسي، والأسود بن عامر
وغيرهم (٧٠٣) .
قال العجلي: كان الحسن حسن الفقه من أسنان الثوري أو أفقه من الثوري، ثقة ثباتاً متعبداً
وكان يتشيع إلا أنّ ابن المبارك كان يحمل عليه لمحل التشيع (٧٠٤) .
وقال ابن حبان: كان الحسن بن صالح فقيهاً، ورعاً من المتقشفة الخشن، وممن تجرّد
للعادة ورفض الرياسة على تشيع فيه (٧٠٥) .
وقال ابن سعد: كان الحسن ثقة صحيح الحديث كثيره، وكان متشيعاً (٧٠٦) .
وقال أبو نعيم: ما كان (الحسن) بدون الثوري في الورع والقوة ما رأيت إلا من غلط في
شيء إلا الحسن بن صالح (٧٠٧) .
وقال أبو زرعة: اجتمع في الحسن بن حيّ اتقان، وفقه، وعبادة (٧٠٨) .
وقال ابن قتيبة: الحسن بن صالح يكنى أبا عبدالله، وكان يتشيع وزوج عيسى بن زيد
ابنته، واستخفى معه حتى مات عيسى، وكان المهدي قد طلبهما فلم يقدر عليهما، ومات
الحسن بعد عيسى بستة أشهر (٧٠٩) .

(٧٠٢) رجال الشيخ الطوسي ص ٨٧ / ٧ و ١١٦ / ٣٠ و ١٧٢ / ١١٤ .

(٧٠٣) انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠١، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٨٤ .

(٧٠٤) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٧٠٥) المصدر السابق .

(٧٠٦) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٧٥ .

(٧٠٧) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠١ .

(٧٠٨) المصدر السابق .

(٧٠٩) المعارف ص ٢٢٢ ط ١ .

حماد بن عيسى

حماد بن عيسى بن عبيدة بن الطفيل الجهني، وقيل: البصري غريق الجحفة المتوفى سنة (٢٠٨ هـ).

خرّج حديثه الترمذي، وابن ماجّة، وروى عنه الحسن بن علي الحلواني، وأحمد بن سعيد الدارمي، وعبد بن حميد، وأبو موسى، ومحمّد بن إسحاق الصنعاني، والدوري، وإبراهيم الجوزجاني، ومحمّد بن بكار، ومحمّد بن المثنى وغيرهم^(٧١٠).

قال ابن معين: حماد بن عيسى شيخ صالح، وضعّفه أبو حاتم والدارقطني^(٧١١). ولعلّ تضعيفهم له إنّما كان لتشيعه وانتمائه لمدرسة الإمام الصادق، وله مؤلفات على مذهب الشيعة منها: كتاب النوادر وكتاب الزكاة وكتاب الصلاة، ذكر ذلك الشيخ الطوسي في الفهرست^(٧١٢).

الحكم بن ظهير

أبو محمّد الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي المتوفى سنة (١٨٠ هـ). خرّج حديثه الترمذي. وروى عنه الثوري، وهو أكبر منه وابنه إبراهيم بن الحكم، وأبو معمر القطيعي، ووهب بن بقية، ويوسف بن عدي، وأبو توبة، وإسماعيل بن موسى، وإسحاق بن شاهين الواسطي، ومحمّد بن حاتم الزمي، والحسن بن عرفة وجماعة آخرون^(٧١٣).

قال ابن حجر: الحكم بن ظهير - بالمعجمة مصغراً - الفزاري متروك، رمي بالرفض^(٧١٤).

وقال ابن معين: ليس بثقة وقال البخاري: منكر الحديث تركوه. وكذبه يحيى بن معين وقال ابن حبان: كان يشتم الصحابة إلى غير ذلك من الأقوال، وكلّ هذه الأمور تعود لتشيعه، وأنه حدّث عن عاصم عن زر عن عبدالله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: إذا رأيتم معاوية

(٧١٠) تهذيب ج ٣ ص ١٩، والجرح والتعديل ج ١ ص ١٤٥ ق ٢.

(٧١١) تهذيب الكمال: ج ٧ ص ٢٨١ / ١٤٨٦.

(٧١٢) الفهرست ص ١١٥ / ٢٤١.

(٧١٣) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٢٨.

(٧١٤) التقريب ج ١ ص ٢٩١.

على منبري فاقتلوه^(٧١٥). فليس من الغريب أن تقوم حوله ضجة الأكاذيب والاتهامات فإنّ التشييع في ذلك العصر يرهب السلطة وأعدائهم لهذا سلكوا طريق التشويه والتهويل .

حكيم بن جبير

حكيم بن جبير الأسدي الكوفي ويقال: مولى الحكم بن أبي العاص الثقفي الكوفي. خرج حديثه الأربعة وروى عنه: الاعمش، والسفيانان، وزائدة، وفطر بن خليفة، وشعبة، وشريك، وعلي بن صالح، وإسرائيل^(٧١٦). قال عبدالرحمن: سألت ابا زرعة عن حكيم بن جبير، فقال: في رأيه شيء. قلت: ما محله؟ قال: الصدق .

قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي حكيم بن جبير أحب إليك أو ثوير؟ - يعني ابن أبي فاختة. قال: ما فيهما إلا ضعيف غال في التشييع، وهما متقاربان^(٧١٧) .

وقال أبو حاتم: حكيم بن جبير ضعيف الحديث، منكر الحديث له رأي غير محمود - نسأل الله السلامة - غال في التشييع^(٧١٨) إلى آخر ما قال فيه، وأنّ القصد من سؤال السلامة لم يكن سلامة الدين بل سلامة النفس، والأهل والمال والولد، فإنّ من يعرف بالتشييع في ذلك العصر يكون عرضة للخطر. وأنّ حكيماً لم يكن من الغلاة وإنّما كان محباً لأهل البيت ونسبة الغلو إليه لأجل ما يرويه من الأحاديث في فضل علي(عليه السلام).

منها: ما رواه حكيم عن إبراهيم عن علقمة عن علي(عليه السلام) أنّه قال: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين، والمارقين^(٧١٩) .

ومنها ما رواه محمد بن عبد الحميد، عن سلمة بن إسحاق، عن حكيم بن جبير عن سفيان، عن عبدالعزيز بن هارون، عن أبي هريرة عن سلمان الفارسي قال: قلت يا رسول الله، لم يبعث نبيّ إلا بين له من يلي بعده فهل بيّن لك؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): نعم، علي^(٧٢٠).

(٧١٥) انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٦٨ .

(٧١٦) الجرح والتعديل ج ١ ص ٢٠١، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٤٥ .

(٧١٧) المصدر السابق.

(٧١٨) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ / ١٥٤٣ .

(٧١٩) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٥١ / ٢٢١٨ .

(٧٢٠) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧٤ .

وقد طعنوا في هذا الحديث لا من جهة رجاله بل استبعدوا أن يكون أحد رواته عبدالعزيز بن مروان، وهو منحرف عن علي(عليه السلام)، فكيف يروي مثل هذا؟

الحكم بن عتيبة

أبو محمد الحكم بن عتيبة الكندي الكوفي المتوفى سنة (١١٥ - ١١٤ هـ).
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن ماجه، وروى عنه:
مسعر، والأوزاعي، وحزمة الزيات، وشعبة، وأبو عوانة، ومنصور وخلق.
ذكره ابن قتيبة من رجال الشيعة ونصّ على ذلك شعبة بن الحجاج^(٧٢١).
وذكره سيدنا شرف الدين من رواة الشيعة^(٧٢٢).

خالد بن طهمان

أبو العلاء خالد بن طهمان السلوكي الخفاف الكوفي.
خرج حديثه الترمذي وروى عنه: ابن المبارك، وأبو نعيم، ويحيى بن عباد، وسفيان الثوري، ووكيع، وأحمد بن عبدالله بن يونس، وأبو أحمد الزبيري والفريري، وعبيدالله بن موسى، ويحيى بن هاشم السمسار وهو خاتمة أصحابه وغيرهم^(٧٢٣).
قال الخزرجي: كوفي شيعي. وقال أبو حاتم: خالد بن طهمان من عتق الشيعة وذكره ابن حبان في الثقات، ولم يذكره أبوداود إلا بخير.

خالد بن مخلد

أبو الهيثم خالد بن مخلد القطواني البجلي الكوفي المتوفى سنة (٢١٣ هـ).
خرج حديثه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وروى عنه البخاري وروى له مسلم، وأبو داود في مسند مالك، ومحمد بن عثمان بن كرامة، وأبو كريب، وابن نمير، والقاسم بن زكريا وعبد بن حميد، وأبو بكر ابن أبي شيبة، وأحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، وصالح بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، وعلي بن عثمان النفيلي، وعباس

(٧٢١) مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ص ١٣٩ .

(٧٢٢) المراجعات ص ٥٥ .

(٧٢٣) الجرح والتعديل ج ١ ص ٣٣٧ ق ٢، والخلاصة ٨٦، وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ٩٨ .

الدوري، وإبراهيم ابن عبدالرحمن بن مهدي، وأحمد بن فضالة النسائي، وأحمد بن الخليل، وعباس بن عبدالعظيم العنبري، ومعاوية بن صالح الأشعري، وأحمد بن يوسف السلمي .
وحدّث عنه أيضاً عبيدالله بن موسى وهو أكبر منه، وأبو أمية الطرسوسي، وإسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة، ويوسف بن موسى القطان وغيرهم .
وقال أبو داود صدوق شيعي. وقال يحيى بن معين: صدوق لا بأس به. وقال ابن عدي: هو من المكثرين لا بأس به إن شاء الله. وقال ابن سعد: منكر الحديث مفرط في التشيع^(٧٢٤) .
وقال ابن حجر: خالد بن مخلد القطواني الكوفي أبو الهيثم من كبار شيوخ البخاري، روى عنه. وروى عن واحد عنه. قال العجلي: ثقة فيه تشيع. وقال ابن سعد: كان متشيعاً مفرطاً. وقال صالح جزرة: خالد بن مخلد ثقة إلا أنه كان متهماً بالغلو في التشيع وقال أحمد: له مناكير .

يقول ابن حجر: أما التشيع فقد قدمنا أنه إذا كان ثبت الأخذ والأداء لا يضره. لا سيما ولم يكن داعية إلى رأيه. وأما المناكير فقد تتبعها أبو أحمد بن عدي في حديثه، وأوردها في كامله. وليس فيها شيء مما أخرجه له البخاري. بل لم أر له عنده من أفراد سوى حديث واحد، سوى حديث أبي هريرة: من عادى لي ولياً. وروى له الباقر سوى أبي داود^(٧٢٥) .
وقال الجوزجاني: وكان خالد شتّاماً معلناً سوء مذهبه أي التشيع توفي سنة (٢١٣ هـ) (٧٢٦)

وهذه هي لهجة الجوزجاني في سوء تعبيره. وأما قوله شتّاماً فإنهم يقصدون مطلق ذكر أحد الصحابة بشيء أو رواية قضية أو حديث فيها حمل عليهم. لأنهم لا بد أن يتأولوا ذلك. وهذا أوضح شيء في ادعاء العصمة مع ظهور ما ينافيها .

خلف بن سالم

أبو محمد خلف بن سالم المخرمي المتوفى سنة (٢٣١ هـ) .
خرج حديثه النسائي ووثقه، وروى عنه إسماعيل بن أبي الحارث، وحاتم ابن الليث، ويعقوب بن شيبة، وأحمد بن خيثمة، وجعفر الطيالسي وعباس الدوري، ويعقوب بن يوسف المطوعي، والحسن بن علي المعمرى، وأحمد ابن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، ويحيى بن

(٧٢٤) ميزان الاعتدال ص ٢٩٧ وغيرها .

(٧٢٥) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١١٦ - ١١٧ .

(٧٢٦) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٠٠ .

عبدك القزويني، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وأحمد بن علي المروزي. وأحمد بن علي الأبار، وأبو القاسم البغوي وغيرهم^(٧٢٧).

قال علي بن سهل البزاز: سمعت أحمد بن حنبل - وسئل عن خلف بن سالم - فقال: لا يشك في صدقه. وقال عبد الخالق بن منصور: سألت يحيى بن معين عن خلف المخرمي، فقال: صدوق. فقلت له: يا أبا زكريا، أنه يحدث بمساوئ أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: قد كان يجمعها وأما أن يحدث بها فلا^(٧٢٨).

وقال ابن سعد: كان قد صنف المسند، وكان كثير الحديث. وقال حمزة الكناني: خلف بن سالم ثقة مأمون. من نبلاء المحدثين. وقال ابن حجر: ابن سالم ثقة حافظ صنف المسند. عابوا عليه التشيع^(٧٢٩).

داود بن أبي عوف

أبو الجحاف داود بن أبي عوف سويد التميمي البرجمي. خرج حديثه الترمذي. والنسائي. وابن ماجه، وروى عنه الثوري، وتليد بن سليمان، وعبد السلام بن حرب، وسفيان بن عيينة، وشريك وإسرائيل^(٧٣٠). قال عبد الله بن داود: كان سفيان يوثق داود ويعظمه، وقال ابن حجر: داود ابن أبي عوف التميمي هو صدوق شيعي ربما أخطأ، من الطبقة السادسة^(٧٣١). وقال الذهبي: داود وثقه أحمد ويحيى. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وأما ابن عدي فقال: ليس هو عندي ممن يحتج به شيعي، عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت^(٧٣٢). وذكره الشيخ الطوسي في رجاله من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)^(٧٣٣).

الربيع بن أنس

الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي المتوفى سنة (١٣٩ - ١٤٠ هـ).

(٧٢٧) انظر تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٢٨، وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٥٢، والجرح والتعديل ج ١ ص ٣٧١ ق ٢.
(٧٢٨) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٢٩.
(٧٢٩) التقريب ج ١ ص ٢٢٦.
(٧٣٠) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٩٦.
(٧٣١) التقريب ج ١ ص ٢٣٣.
(٧٣٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٢٣.
(٧٣٣) رجال الشيخ ص ١٨٩.

خرّج حديثه: الترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجّة .
وروى عنه: سليمان التيمي، ويعقوب بن القعقاع، وأبو جعفر الرازي، وكتب عنه بمرور
عبد العزيز بن مسلم، وأخوه المغيرة بن مسلم، وابن المبارك، وسليمان بن عامر، وحسين بن
واقد، والأعمش، وسليمان بن عامر البزري، وعيسى بن عبيد الكندي، ومقاتل بن حيان
وغيرهم (٧٣٤) .
قال ابن حجر: الربيع بن أنس البكري أو الحنفي بصري نزل خراسان صدوق، له أوهام
رمي بالتشيع من الطبقة الخامسة (٧٣٥) .

زبيد بن الحارث

أبو عبد الرحمن زبيد - بموحدة مصغراً - بن الحارث بن عبد الكريم الياامي ويقال: الأياامي
الكوفي المتوفى سنة (١٢٢ - ١٢٣ هـ) .
خرّج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجّة، وروى عنه:
مالك بن مغول، والعوام بن حوشب، والثوري، وشعبة، ومحمد بن طلحة بن مصرف، وابن
شبرمة، والحريش بن سليم، والحسن بن صالح، وزهير بن معاوية، وشريك، وقيس بن
الربيع (٧٣٦) .
وثقه أبو حاتم، والنسائي والعجلي وابن حبان وغيرهم (٧٣٧) .
وقال يعقوب بن سفيان: زبيد ثقة خيار إلا أنه كان يميل إلى التشيع، وقال ابن سعد: كان
زبيد ثقة وكان في عداد الشيوخ .
وقال العجلي: زبيد ثقة ثبت في الحديث وكان علويّاً (٧٣٨) - أي محبّاً لعلي (عليه السلام) في مقابل
العثماني - .

وحكى ابن أبي خيثمة عن شعبة قال: ما رأيت بالكوفة شيخاً خيراً من زبيد. وقال سعيد بن
جبير: لو خيرت عبداً ألقى الله في مسلاخه اخترت زبيداً الياامي. وقال ابن حبان: كان زبيد
من العباد الخشن، مع الفقه في الدين ولزوم الورع الشديد. وقال البخاري: قال عمرو بن مرة
كان زبيد صدوقاً (٧٣٩) .

(٧٣٤) أنظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٣٩ .

(٧٣٥) تحرير تقريب التهذيب ج ١ ص ٣٩٢ / ١٨٨٢ .

(٧٣٦) الجرح والتعديل ج ١ ص ٦٢٣ ق ٢ .

(٧٣٧) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٦٨ / ٥٧٨ .

(٧٣٨) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣١١ .

(٧٣٩) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٦٨ / ٥٧٨ .

ونصّ الذهبي على تشيعه ثم قال - بعد أن نقل توثيقه - : وقال أبو إسحاق الجوزجاني - كعوائده في فضاظة عبارته - : كان بالكوفة قوم لا يحمد الناس مذاهبهم، هم رؤوس محدثي الكوفة مثل أبي إسحاق، ومنصور، وزبيد اليامي، وغيرهم من أقرانهم احتملهم الناس لصدق ألسنتهم في الحديث وتوقفوا عندما أرسلوا^(٧٤٠) .
ويقصد الجوزجاني أنّ مذهبهم التشيع وهو أنّ الناس لا يحمدونها ولا ندري أيّ ناس هم؟ نعم هم من تعاون مع أعداء أهل البيت طمعاً في الدنيا وزهداً في الآخرة .

زياد بن المنذر

أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني ويقال النهدي توفي سنة (١٥٠ هـ) تقريباً .
خرج حديثه الترمذي، وروى عنه مروان بن معاوية الفزاري ويونس ابن بكير، وعلي بن هاشم بن البريد، وعمار بن محمد بن أخت سفيان، ومحمد ابن بكر البرساني، ومحمد بن سنان العوفي وغيرهم^(٧٤١) .
قال أبو حاتم: كان زياد رافضياً يضع الحديث في مثالب الصحابة، ويروي في فضائل أهل البيت رضي الله عنهم ما لها وصول، لا يحل كتب حديثه .

وقال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة، وعامة ما يرويه في فضائل أهل البيت، وهو من المعدودين من أهل الكوفة المغالين^(٧٤٢) .
أقول: قد أشرنا فيما سبق بأننا لن نتعرض لأقوال الشيعة حول ما نذكره من أحوال هؤلاء الرجال من حيث الوثاقة وغيرها .

وإن أبا الجارود مهما كانت حالته فقد نقموا عليه تحامله على الصحابة الذين لم يقوموا بحق الصحبة ورواياته في فضل أهل البيت (عليهم السلام) كثيرة. ولكنهم نقموا عليه ذلك لأنّ الأمر يدعو لمخالفة السلطة الحاكمة التي حاولت ان تطفئ شعلة فضائل آل محمد ويأبى الله لها إلا الظهور والانتشار.

ومن المتيقن أنّ نقده والأقوال فيه وهو على الحال الأول من الولاء لأهل البيت والقرب من الشيعة وقبل أن يتغير ويعرف عنه الحال الثاني الذي يبعده عن أسماء الرجال الشيعة

(٧٤٠) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٤٥ .

(٧٤١) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٨٦ .

(٧٤٢) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٣٣ / ٧٠٤ .

المعتمدين، وقد ترجمنا له هنا لأنّ ما كان عليه من علم الرواية لحاله الأوّل في التشيع وقبل أن يضعف ويتغير، وكان سلوكه مسلك الشيعة هو سبب اشتهاره ووثاقته.

سالم العجلي

أبو يونس سالم بن أبي حفصة العجلي المتوفى سنة (١٤٠ هـ) .
خرّج حديثه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي في صحيحه، وروى عنه: إسرائيل، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الواحد بن زياد، ومحمد بن فضيل^(٧٤٣).
قال أحمد بن حنبل: سالم بن أبي حفصة أبو يونس كان شيعياً. ما أظن به بأساً في الحديث. وقال أبو حاتم: سالم بن أبي حفصة من عتق الشيعة صدوق .
وقال ابن عدي: إنّما عيب عليه الغلو وأما حديثه فأرجو أنّه لا بأس به^(٧٤٤).
ومعنى الغلو الذي يقصده ابن عدي هو كثرة رواياته عن أهل البيت (عليهم السلام)، كما نقل ابن حجر عن ابن عدي أنّه قال: سالم له أحاديث، وعامة ما يرويه في فضائل أهل البيت. وقال الجوزجاني زائع وبالع في كعادته في أمثاله^(٧٤٥).
وقد نسبوا له أنّه كان من رؤوس من ينتقص أبا بكر وعمر، وأنّه كان أحقق طويل اللحية إلى غير ذلك. ومع هذا فقد روى له الترمذي والبخاري في الأدب المفرد .

سعيد بن خثيم

أبو معمر سعيد بن خثيم بن رشد الهلالي الكوفي المتوفى سنة (١٨٠ هـ) .
خرّج حديثه الترمذي والنسائي، وروى عنه: أحمد بن حنبل، وعبد الله بن أبي شيبه، ومحمد بن عمران بن أبي ليلى، وخالد بن يزيد الأسدي، وعمر بن محمد الناقد، وعثمان بن أبي شيبه، وأبو سعيد الأشج، وإسحاق بن موسى، وإسماعيل بن موسى الفزاري ; ومحمد بن عبيد المحاربي، وابن أخيه أحمد بن رشد بن خثيم وغيرهم^(٧٤٦) .

(٧٤٣) الجرح والتعديل ج ٢ ص ١٨٠ ق ١، وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٤٣٣ .

(٧٤٤) الخلاصة لصفي الدين ص ١١١ .

(٧٤٥) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٣٤ .

(٧٤٦) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٢ والجرح والتعديل .

وهو من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) وثقه ابن معين، وابن حبان والعجلي. وقال النسائي وأبو زرعة: لا بأس به^(٧٤٧).

قال ابن حجر: سعيد بن خيثم بمعجمة ومثلثة - بن رشد - بفتح الراء الهلالي الكوفي صدوق رمي بالتشيع له أغاليط^(٧٤٨).

وقيل ليحيى بن معين: خثيم هو شيعي، فقال: وشيعي ثقة^(٧٤٩). لأنهم أنكروا عليه توثيقه له فأجابه بأنه ثقة مع تشييعه.

أقول: أما قول ابن حجر له أغاليط فلم يثبت ذلك، ولعلهم يعدون أحاديثه عن أهل البيت وفضائلهم من الاغلاط نظراً للظروف القاسية التي عاش فيها، فإن عصره كان يقضي على كل مفكر أن يكون جامداً لا يتحرك إلا في الدائرة التي تسير عليها سياسة الدولة، ومن البين أنهم يقاومون أهل البيت بشتى الوسائل، فكان ذكر فضائلهم خرقاً لأوامر الدولة، وانحرافاً عن خطتها المرسومة.

سعيد بن عمرو

سعيد بن عمرو بن أشوع الهمداني الكوفي المتوفى سنة (١٢٠ هـ).
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي. وروى عنه: سعيد بن مسروق الثوري وولده سفيان، وخالد الحذاء، وزكريا بن أبي زائدة، وليث بن أبي سليم، وحبيب بن أبي ثابت، وسلمة بن كهيل، وأبو إسحاق الهمداني وأشعث بن سوار وغيرهم^(٧٥٠).
وحدث عنه أبو إسحاق السبعي، وعبد الملك بن عمير، وهما أكبر منه.
قال البخاري في التاريخ الأوسط: رأيت إسحاق بن راهويه يحتج بحديثه^(٧٥١).
وقال ابن حجر: سعيد بن عمرو بن أشوع الهمداني الكوفي قاضيه ثقة رمي بالتشيع^(٧٥٢).

وقال الحاكم: سعيد بن عمرو هو شيخ من ثقات الكوفيين يجمع حديثه. وذكره ابن حبان في الثقات وقال النسائي ليس به بأس، ولكن الجوزجاني يصفه بقوله: سعيد بن عمرو: غال زائع زائد التشيع^(٧٥٣).

(٧٤٧) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٠ / ٢٣.

(٧٤٨) التقريب ج ١ ص ٢٩٤.

(٧٤٩) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٧٨.

(٧٥٠) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦٧ والجرح والتعديل.

(٧٥١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦٠ / ١١٣.

(٧٥٢) التقريب ج ١ ص ٣٠٢.

(٧٥٣) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٧٥.

قال ابن حجر: سعيد بن عمرو بن أشوع الكوفي من الفقهاء، وثقه ابن معين والنسائي والعجلي، وإسحاق بن راهويه، وأما أبو إسحاق الجوزجاني فقال: كان زائغاً غالباً يعني في التشيع، والجوزجاني غال في النصب، واحتج به - أي بسعيد - الشيخان والترمذي^(٧٥٤).

سعيد بن فيروز

أبو البختری سعيد بن فيروز بن أبي عمران الكوفي المقتول بدير الجماجم بدجيل سنة (٨٣ هـ).

أخرج له البخاري، واحتج به الباقر. وروى عنه: عمرو بن مرة وعبدالأعلى بن عامر، وعطاء بن السائب، وسلمة بن كهيل، ويونس بن خباب، وحبيب بن أبي ثابت، ويزيد بن أبي ذياب، ومسلم البطين^(٧٥٥).

وثقه أبو زرعة وأبو حاتم وابن معين، قال العجلي: تابعي ثقة فيه تشيع، ونقل ابن خلفون توثيقه عن ابن نمير.

وقال ابن حجر: سعيد بن فيروز أبو البختری - بفتح الموحدة - ثقة ثبت فيه تشيع قليل^(٧٥٦).

سعيد بن محمد

أبو محمد سعيد بن محمد بن سعيد الجرمي الكوفي.

حدث عنه البخاري، ومسلم، وخرج له أبو داود، وابن ماجه بواسطة الذهلي.

وروى عنه: أبو زرعة، وعبدالله بن أحمد، وعبدالأعلى بن واصله وابن أبي الدنيا، وعباس الدوري^(٧٥٧).

قال ابن حجر: سعيد بن محمد بن سعيد الجرمي صدوق، رمي بالتشيع من كبار الحادية عشرة^(٧٥٨).

وقال ابن أبي حاتم: سئل أحمد بن حنبل عنه فقال: ثقة، وأثنى عليه ابن نمير، وابن أبي شيبة، وقال أبو حاتم: سعيد بن محمد الجرمي شيخ^(٧٥٩).

(٧٥٤) هدى الساري ص ٤٠٤.

(٧٥٥) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٧٢.

(٧٥٦) التقريب ج ١ ص ٣٠٣.

(٧٥٧) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٧٦.

(٧٥٨) التقريب ج ١ ص ٣٠٤.

(٧٥٩) الجرح والتعديل ج ٢ ص ٥٩ ق ١.

سعيد بن كثير

أبو عثمان سعيد بن كثير بن عفير المصري المتوفى سنة (٢٢٦ هـ) .
خرج حديثه البخاري في الأدب المفرد ومسلم، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائي، وهو من
شيوخ البخاري (٧٦٠) .

وحدث عنه البخاري، وروى له في الأدب المفرد، ومسلم، وأبو داود في القدر، والنسائي
بواسطة أحمد بن عاصم البلخي. ومحمد بن إسحاق الصغاني ومحمد وزير المصري،
وعبدالرحمن بن عبدالله بن الحكم، وبكار بن قتبة، وعبدالله بن حماد الأملي، ويونس بن
عبدالأعلى وغيرهم (٧٦١) .

قال ابن حجر: سعيد بن كثير بن عفر رمي بالتشيع (٧٦٢) .
وقد تحامل عليه الجوزجاني وقال: سعيد بن كثير فيه غير لون من البدع وكان مخطئاً
غير ثقة (٧٦٣) .

وبالطبع إنه يقصد ببدعه ما نسب إليه من التشيع، وأما أنه غير ثقة فذلك في نظر
الجوزجاني، أما غيره فقد وصفوه بالصدق والوثاقة، وكان من أعلم الناس بالأنساب،
والأخبار الماضية، وأيام العرب ومآثرها ووقائعها، والمناقب والمثالب، وكان في ذلك كله
شيئاً عجباً، وكان أديباً فصيحاً اللسان، حسن البيان لا تملّ مجالسته ولا ينزف علمه (٧٦٤) .

سعاد

سعاد بن سليمان الجعفي الكوفي

خرج حديثه ابن ماجه، وروى عنه: علي بن ثابت الدهان، وأبو عتاب الدلال، والحسن بن
عطية القرشي، وجبارة بن المغلس وغيرهم .
وثقه ابن حبان، وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: سعاد كان من عتق الشيعة، وليس
بقوي في الحديث (٧٦٥) .

(٧٦٠) هدى الساري ص ٤٠٤ .

(٧٦١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٧٤ .

(٧٦٢) هدى الساري ص ٤٠٦ .

(٧٦٣) انظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٤ . وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٧٤ .

(٧٦٤) انظر تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٧٥ .

(٧٦٥) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٨٦٣ / ٤٠١ .

وقال ابن حجر: سعاد بن سليمان كوفي صدوق يخطئ وكان شيعياً من الطبقة الثامنة^(٧٦٦)

وذكره الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)^(٧٦٧).

سلمة بن كهيل

أبو يحيى سلمة بن كهيل الحضرمي المتوفى سنة (١١٣ هـ).

خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن ماجه. وروى عنه: سعيد بن مسروق الثوري، وابنه سفيان، والأعمش، وشعبة، والحسن وعلي وصالح بنو حي، وزيد بن أنيسة، وإسماعيل بن أبي خالد، وعقيل بن خالد، وأبو المحياة يحيى بن يعلى التميمي ومنصور ومسعر، وحماة بن سلمة وغيرهم^(٧٦٨). وذكره الشيخ الطوسي في تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)^(٧٦٩).

قال الثوري: سلمة بن كهيل كان ركناً من الأركان - وشد قبضته.

وقال عبدالرحمن بن المهدي، أربعة في الكوفة لا يختلف في حديثهم فمن اختلف عليهم فهو يخطئ، منهم سلمة بن كهيل. وقال أحمد بن حنبل: سلمة متقن الحديث. ووثقه ابن معين وأبو حاتم، وأبو زرعة^(٧٧٠) وقال يعقوب بن أبي شيبة: سلمة بن كهيل ثقة ثبت على تشيعه. وقال أبو داود: سلمة يتشيع^(٧٧١).

سلمة بن الفضل

أبو عبدالله سلمة بن الفضل الأبرشي الأنصاري المتوفى سنة (١٩١ هـ).

خرج حديثه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه في التفسير، وروى عنه: كاتبه عبدالرحمن بن الرازي، ويحيى بن معين، وعبد بن محمد المسندي، وعثمان بن أبي شيبة، ومحمد بن حميد الرازي، ومحمد بن عمرو زنيح، ووثيمة بن موسى المصري، ويوسف بن موسى القطان، وعلي بن بحر، وعلي بن هاشم بن مرزوق، ومقاتل بن محمد وغيرهم^(٧٧٢).

(٧٦٦) التقريب ج ١ ص ٢٨٥.

(٧٦٧) رجال الشيخ الطوسي ص ٢٠٦ / ٦٨.

(٧٦٨) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٥٦.

(٧٦٩) رجال الشيخ الطوسي ص ٢١١ / ١٤٦.

(٧٧٠) انظر الجرح والتعديل ج ٢ ص ١٧٠ ق ١.

(٧٧١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٥٧.

(٧٧٢) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٥٣، والجرح والتعديل ج ٢ ص ١٣٩ ق ١، وميزان الاعتدال وغيرها.

قال ابن معين: كتبنا عنه وليس به بأس، وكان يتشيع وكان يحيى يقول: ليس من لدن بغداد إلى أن يبلغ خراسان أثبت في ابن إسحاق من سلمة^(٧٧٣).

سليمان بن قرم

أبو داود سليمان بن قرم بن معاذ التميمي ومنهم من ينسبه إلى جدّه. خرج حديثه البخاري، ومسلم، وأبو داود والترمذي والنسائي. وكان تخريج البخاري تعليقا.

روى عنه: سفيان الثوري وهو من أقرانه، وأبو الجواب، وحسين بن محمد المروزي، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، ويونس بن محمد المؤدب وأبو الأحوص، وبكر بن عياش، وأبو داود الطيالسي، ويحيى بن آدم، وسلمة بن الفضل^(٧٧٤). وذكره الشيخ الطوسي في رجاله من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)^(٧٧٥).

قال ابن حجر: سليمان سيئ الحفظ يتشيع^(٧٧٦).

قال عبدالله بن أحمد: كان أبي يتتبع حديث قطبة بن عبدالعزيز، وسليمان بن قرم، ويزيد بن سياه وقال: هؤلاء قوم ثقات. وهم أتمّ حديثاً من سفيان وشعبة وهم أصحاب كتب. وقال أحمد أيضاً: لا أرى به بأساً لكنه كان يفرط في التشيع^(٧٧٧).

وقال الحاكم - في باب من عيب على مسلم اخراج حديثهم - : سليمان غمزوه في الغلو والتشيع وسوء الحفظ جميعاً^(٧٧٨) وقال ابن حبان كان رافضياً غالياً^(٧٧٩).

ولعلّ تحامل بعض الحفاظ عليه أنّه كان يروي عن الأعمش عن عمر بن مرة، عن عبدالله بن الحارث، عن زهير بن الأقرم عن عبدالله بن عمر قال: كان الحكم بن أبي العاص يجلس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وينقل حديثه إلى قريش، فلعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يخرج من صلبه إلى يوم القيامة^(٧٨٠).

(٧٧٣) تهذيب الكمال ج ١١ ص ٣٠٧ / ٢٤٦٤ .

(٧٧٤) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢١٣، والجرح والتعديل ج ٢ ص ١٣٦ ق ١ .

(٧٧٥) رجال الشيخ الطوسي ص ٢٠٧ / ٧٧ .

(٧٧٦) التقريب ج ١ ص ٢٢٦ .

(٧٧٧) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢١٣ .

(٧٧٨) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٨٨ / ٣٦٧ .

(٧٧٩)

(٧٨٠) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٢١ .

أقول: لم ينفرد سليمان برواية هذا الحديث فقد ورد من طرق متعددة أشهرها ما رواه ابن أبي خيثمة عن عائشة بأنها قالت لمروان بن الحكم: أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعن أباك وأنت في صلبه^(٧٨١) .

وأخرج ابن عبد البر بسند عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يدخل عليكم رجل لعين^(٧٨٢) .

قال عبدالله: وكنت قد تركت عمراً يلبس ثيابه ليقتل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل. فدخل الحكم ابن أبي العاص^(٧٨٣) .

سليمان بن مهران

أبو محمد سليمان بن مهران الكوفي الأعمش المتوفى سنة (١٤٨ هـ) .

خرج حديثه البخاري، ومسلم والترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن ماجه.

وروى عنه: أبو إسحاق السبيعي، وسليمان التميمي، والحكم بن عتيبة، وزبيد الياامي، وسهيل بن أبي صالح، وسفيان الثوري، وشعبة وزائدة، وشيبان ابن عبدالرحمن، وعبدالواحد بن زياد، وسفيان بن عيينة، وعلي بن مسهر، وأبو معاوية، وحفص بن غياث، ووكيع وجريير ابنا عبدالحميد، وعبدالله بن إدريس، وعيسى بن يونس، وعبدالرحمن المحاربي، وعبد بن سليمان، ويحيى بن سعيد القطان، وعمر ويعلى ومحمد بنو عبيد الطنافسي، وأبو أسامة، وعبدالله بن نمير وغيرهم^(٧٨٤) .

وهو من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) وقد ذكرناه سابقاً. وكان من أقرأ الناس للقرآن، وأعرفهم بالفرائض، وأحفظهم للحديث، ووثقه ابن معين والعجلي والنسائي.

قال العجلي: كان الأعمش ثقة ثبتاً في الحديث، وكان محدث أهل الكوفة في زمانه، يقال إنه ظهر له أربعة آلاف حديث، ولم يكن له كتاب وكان رأساً في القرآن عسراً سيئ الخلق عسراً عالمياً بالفرائض، وكان لا يلحن حرفاً وكان فيه تشيع^(٧٨٥) .

(٧٨١) الإصابة ج ١ ص ٣٤٦ والاستيعاب ج ١ ص ٢١٨ بهامش الإصابة .

(٧٨٢)

(٧٨٣) الاستيعاب ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٩ .

(٧٨٤) انظر تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣ .

(٧٨٥) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٢٣، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٥ .

وعده الشهرستاني في رجال الشيعة^(٧٨٦) وكذلك ابن قتيبة ذكره في معارفه من الشيعة^(٧٨٧).

وقد تقدّم في ترجمة زبيد اليامي أنّ الجوزجاني قال: كان من أهل الكوفة قوم لا تحمد مذاهبهم، هم رؤوس محدثي الكوفة مثل زبيد، وأبي إسحاق، ومنصور، والأعمش، وغيرهم... إلخ^(٧٨٨). وزبيد كان من الشيعة والجوزجاني يقصد بسوء المذهب هو التشيع لا غير كما ذكر الذهبي.

وأراد هشام بن عبد الملك امتحانه في تشييعه فكتب إليه: أكتب لي فضائل عثمان، ومساوي علي.

فأخذ الكتاب ولقمه شاة عنده فقال للرسول: هذا جوابك. فألح عليه الرسول فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد: فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي مساوي أهل الأرض ما ضرتك. فعليك بخويصة نفسك^(٧٨٩).

وكان الأعمش قوياً لا يعبأ بالسلطين، قال عيسى بن يونس: ما رأيت الأغنياء والسلطين أحقر منهم عند الأعمش.

وقال أبو هشام سمعت عمّي يقول: قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى: أجمع الفقهاء، فجمعهم فجاء الأعمش في جبة فرو، وقد ربط وسطه بشريط، فأبطأوا فقام الأعمش فقال: إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبيلنا.

فقال عيسى: يابن أبي ليلى قلت لك تأتي بالفقهاء تجيء بهذا؟! قال هذا سيدنا هذا الأعمش^(٧٩٠).

وكان الأعمش يقال له علامة الإسلام. وكان يُسمّى المصحف لصدقه^(٧٩١).

سوار

أبو أدريس سوار المرهبي الكوفي وقيل اسمه مساور.

(٧٨٦) الملل والنحل ج ١ ص ٣٧٥.

(٧٨٧) المعارف ص ٢٦٨.

(٧٨٨) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٤٥.

(٧٨٩) شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢١.

(٧٩٠) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٨.

(٧٩١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٢٣.

خرّج حديثه الترمذي، وابن ماجة، وروى عنه: سلمة بن كهيل والأجلح، وحكيم بن جبير. وغيرهم .

قال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبي إدريس المرهبي فقال: هو من عتق الشيعة^(٧٩٢). وقال ابن حجر: أبو إدريس المرهبي - بضم أوله وكسر الهاء بعدها موحدة - الكوفي اسمه سوار أو مساور صدوق يتشيع^(٧٩٣). وقال الذهبي: سوار أبو أدريس المرهبي الكوفي شيعي جلد يكتب حديثه^(٧٩٤).

سليمان بن طرخان

أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري المتوفى سنة (١٤٣ هـ). خرّج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن ماجة. وروى عنه: ابنه معتمر، وشعبة، والسفيانان. وزائدة، وزهير، وحamad بن سلمة، وابن علية، وابن المبارك، وعبدالوارث بن سعيد، وإبراهيم بن سعد... وغيرهم^(٧٩٥). قال الربيع بن يحيى عن سعيد: ما رأيت أحداً أصدق من سليمان التيمي. ووثقه أحمد، والعجلي، وابن معين، والنسائي. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث وكان من العباد المجتهدين وكان يصلي الليل كله بوضوء العشاء، وكان مائلاً إلى علي بن أبي طالب^(٧٩٦). ونصّ ابن قتيبة على تشيعه^(٧٩٧). وذكره سيدنا شرف الدين من رواة الشيعة^(٧٩٨).

شريك بن عبدالله

أبو عبدالله شريك بن عبدالله بن أبي شريك النخعي الكوفي المتوفى سنة (١٧٧ هـ). خرّج حديثه مسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، والبخاري تعليقاً.

(٧٩٢) الجرح والتعديل ج ٢ ص ١٧٠ ق ١ .

(٧٩٣) التقريب ج ٢ ص ١٧٠ .

(٧٩٤) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٣٣ .

(٧٩٥) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٠١ .

(٧٩٦) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٧٦ / ٣٤١ .

(٧٩٧) المعارف لابن قتيبة ص ٣٤١ .

(٧٩٨) المراجعات ص ٦٣ .

وروى عنه: ابن أبي مهدي، ووكيع، ويحيى بن آدم، ويونس بن محمد المؤدب، والفضل بن موسى السيناني، وعبد السلام بن حرب، وهشيم، وأبو النظر هاشم بن القاسم، وأبو أحمد الزبيري، وإسحاق الأزرق، وابنا أبي شيبة، وقتيبة بن سعيد، وخلق كثير^(٧٩٩). وذكر له الخطيب عدداً آخر ممن روى عنه. وكذلك ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل^(٨٠٠).

وقد وثقه غير واحد. قال يحيى بن معين: شريك ثقة. وقال العجلي: شريك كوفي ثقة، وكان حسن الحديث، وكان أروى الناس عنه إسحاق الأزرق، وقال الطبري: كان فقيهاً عالماً. وقال أبو داود: ثقة. وقال ابن سعد: كان شريك ثقة مأموناً وكان يغلط^(٨٠١). وقال ابن العماد: سمع منه إسحاق الأزرق تسعة آلاف حديث^(٨٠٢).

وقال ابن المبارك: شريك أعلم بحديث أهل الكوفة من سفيان، ومثله عن إسحاق بن إسرائيل.

وقال محمد بن عيسى: رأيت شريكاً وقد أثر السجود في جبهته. وقال الساجي كان ينسب إلى التشيع المفرط^(٨٠٣).

وعده ابن قتيبة من رجال الشيعة^(٨٠٤) وذكر الذهبي قول عبدالله بن إدريس بأنه أقسم بالله أن شريكاً لشيعة^(٨٠٥) ووصفه الجوزجاني بأنه مائل. وهذا هو تعبيره عن الشيعة. ولا جدال بأن شريكاً كان يروي فضائل علي(عليه السلام) ويراه أفضل الخلق بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

روى أبو داود الرهاوي أنه سمع شريكاً يقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر. وجاء إليه عتاب ورجل آخر فقال له: الناس يقولون: إنك شاك... فقال شريك: يا أحمق، كيف أكون شاكاً؟ لوددت أني كنت مع علي(عليه السلام) فخضبت يدي بسيفي من دمائهم!!^(٨٠٦).

(٧٩٩) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٣٤ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٧٩.

(٨٠٠) الجرح والتعديل ج ٤ ص ١٦٠٢ / ٣٦٥.

(٨٠١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٣٤، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٧٩.

(٨٠٢) الشذرات ج ١ ص ٢٨٧.

(٨٠٣) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٣٧.

(٨٠٤) المعارف «لابن قتيبة» ص ٣٤١.

(٨٠٥) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٤٦.

(٨٠٦) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٤٦.

وذكر قوم معاوية بن سفيان عند شريك ف قيل كان معاوية حليماً. فقال: ليس بحليم من سقه الحق^(٨٠٧).

وروى الخطيب قال: استأذن شريك على يحيى بن خالد، وعنده رجل من ولد الزبير بن العوام، فقال الزبيري ليحيى: أصلح الله الأمير إئذن لي في كلام شريك. فقال، إنك لا تطيقه. قال: إئذن لي. قال: شأنك.

فلما دخل شريك وجلس، قال له الزبيري: يا أبا عبدالله، إن الناس يزعمون أنك تسبّ أبا بكر وعمر.

قال: فأطرق شريك ملياً، ثم رفع رأسه فقال: والله ما استحللت ذاك من أبيك، وكان أول من نكث في الإسلام^(٨٠٨).

تولى شريك القضاء بواسطة سنة (١٥٥ هـ) وعزله المهدي العباسي، كما ذكر الخطيب قال: دخل شريك على المهدي فقال له: ما ينبغي أن تقلد الحكم على المسلمين. فقال شريك: ولم؟

قال: لخلافك على الجماعة، وقولك بالإمامة.

قال شريك: أمّا قولك بخلافك على الجماعة فعن الجماعة أخذت ديني فكيف أخالفهم، وهم أصلي وديني؟! وأمّا قولك: وقولك بالإمامة فما أعرف إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم). وأمّا قولك مثلك ما يقلد الحكم بين المسلمين فهذا شيء أنتم فعلتموه فإن كان خطأ فاستغفروا الله منه، وإن كان صواباً فامسكوا عليه.

قال المهدي: ما تقول في علي بن أبي طالب؟

قال شريك: أقول ما قال فيه جدك العباس وعبدالله.

قال المهدي: ما قالاً فيه؟

قال: فأما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة، وقد كان يرى كبار المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل، وما احتاج هو إلى أحد حتى لحق بالله.

وأما عبدالله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين وكان في حروبه رأساً متبعاً، وقائداً مطاعاً، فلو كانت إمامته على جور كان أول من يقعد عنها أبوك، لعلمه بدين الله، وفقهه في أحكام الله. فسكت المهدي ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عزل شريك^(٨٠٩).

(٨٠٧) المصدر السابق.

(٨٠٨) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٨٧.

(٨٠٩) تاريخ بغداد ج ٢٩ ص ٣٩.

وعلي أيّ حال فإنّ شريكاً من العلماء، ووثقه جماعة وحمل عليه آخرون لتشيعه، وكان من أوعية العلم، حمل عنه إسحاق الأزرق تسعة آلاف حديث^(٨١٠).

شعبة بن الحجاج

أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الواسطي ثم البصري المتوفى سنة (١٦٠ هـ).

خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه. وروى عنه: خلق كثير، منهم أيوب السخيتاني، والأعمش، ومحمد بن إسحاق، وإبراهيم بن سعد، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك، وابن علية، ووكيع، وخالد بن الحرث ويزيد بن هارون وغيرهم. ذكر منهم الخطيب أكثر من عشرين^(٨١١) وذكر ابن حجر جماعة آخرين لا يمكن ذكرهم لكثرتهم^(٨١٢).

قال أحمد بن حنبل: كان شعبة أمة وحده. وقال الشافعي: لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق، وقال سفيان الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث. وقال حماد بن سلمة: إذا أردت الحديث فالزم شعبة. وقال حماد بن زيد: ما أبالي بمن خالفني إذا وافقني شعبة فإذا خالفني شعبة في شيء تركته^(٨١٣) إلى غير ذلك من أقوال العلماء فيه.

وكان شعبة من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)^(٨١٤) وذكره ابن قتيبة في معارفه من رجال الشيعة^(٨١٥) وكذلك الشهرستاني^(٨١٦) ويقول يزيد بن زريع: قدم علينا شعبة ورأيه رأي سوء خبيث يعني الرفض^(٨١٧) ومعنى ذلك أنه كان يفضل عليّاً على جميع الصحابة، وهذا عندهم رفض جرياً على ما سنته السياسة وابتدعه علماء السوء.

(٨١٠) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٤٦.

(٨١١) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٥٥.

(٨١٢) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٤٠ - ٣٤٣.

(٨١٣) المصدر السابق.

(٨١٤) رجال الشيخ الطوسي ص ٢١٨ / ١٧.

(٨١٥) المعارف ص ٢٦٨.

(٨١٦) الملل والنحل ص ٣٢٤.

(٨١٧) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٦٠.

عائذ بن حبيب

أبو أحمد عائذ بن حبيب بن الملاح العبسي المتوفى سنة (١٩٠ هـ) .
خرج حديثه النسائي، وابن ماجه، وروى عنه: أحمد بن حنبل، وإسحاق، ومحمد بن الصباح الجرجرائي، وأبو كريب، ومحمد بن طريف، ومحمد بن يحيى بن كثير الحراني، وأبو خيثمة، وأبو سعيد الأشج وغيرهم^(٨١٨) .
قال الخزرجي وثقه ابن حبان وقال الجوزجاني: غال زائغ^(٨١٩) .
وقال الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل ذكره فأحسن الثناء عليه، وقال كان شيخاً جليلاً عاقلاً.
وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو زرعة: عائذ بن حبيب صدوق في الحديث^(٨٢٠) .

عباد بن العوام

أبو سهل عباد بن العوام بن عمر بن عبدالله بن المنذر الكلابي المتوفى سنة (١٨٥ هـ) .
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والباقون، واحتجوا به، وروى الحديث عنه أحمد بن حنبل، وابنا أبي شيبة، وسعيد بن سليمان الواسطي، وأبو الربيع الزهراني، وعلى بن مسلم، وعمران بن ميسرة، ومحمد بن عيسى الطباع، ومحمود بن خدّاش، ومحمد بن الصباح الدولابي، وأحمد بن منيع، وغيرهم .
وحدّث عنه ابن عليّة، وهو من أقرانه، ووثقه ابن معين، والعجلي، وأبوداود، والنسائي، وأبو حاتم، وقال ابن خراش: عباد صدوق .
وقال ابن سعد: كان عباد يتشيع فأخذه هارون فحبسه وكان ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات^(٨٢١) .

عباد بن يعقوب

أبو سعيد الكوفي عباد بن يعقوب الرواجيني المتوفى سنة (٢٥٠ هـ) .

(٨١٨) انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٨٨.

(٨١٩) الخلاصة ص ١٥٧ .

(٨٢٠) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٨٨ .

(٨٢١) انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٩٩ - ١٠٠، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١٠٦، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٤١.

خرّج حديثه البخاري والترمذي وابن ماجة. وروى عنه: أبو حاتم، وأبو بكر بن البراز، وعلي بن سعيد بن بشر الرازي، ومحمد بن علي بن حكيم الترمذي، وصالح بن محمد جزرة، وابن خزيمة، والقاسم بن زكريا^(٨٢٢).

وقال ابن حجر: عباد بن يعقوب الرواجيني الكوفي أبو سعيد رافضي مشهور إلا أنه كان صدوقاً، وثقه أبو حاتم^(٨٢٣).

وقال ابن العماد: عباد بن يعقوب الأسدي الرواجيني الكوفي الحافظ الحجة، قال ابن حبان: كان داعية للرفض^(٨٢٤).

وقال الذهبي في الميزان: عباد بن يعقوب من غلاة الشيعة ورؤوس البدع، ولكنه صادق في الحديث^(٨٢٥).

وقال ابن عدي: وعباد فيه غلو في التشيع، وروى أحاديث أنكرت عليه في الفضائل والمثالب، وقال صالح بن محمد: كان يشتم عثمان قال: وسمعتة يقول: الله أعدل أن يدخل طلحة والزبير الجنة لأنهما بايعا علياً ثم قاتلاه^(٨٢٦).

وكان ابن خزيمة إذا حدث عنه يقول: حدثنا الثقة في روايته المئهم في رأيه^(٨٢٧). وأياً كان فإنّ عباداً كان من الثقات وأهل الصدق، إلا أنه شيعي أو رافضي، والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فإن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في التشيع أو رافضي. كما يقول ابن حجر^(٨٢٨).

وبدون شك أنّ عباداً كان يقدم علياً على جميع الصحابة، فلهذا وسم بالرفض، ونسبه ابن حبان إلى أنه يروي المناكير عن المشاهير، وليس له حجة في هذه الدعوى إلا ما رواه عباد عن شريك، عن عاصم عن زر عن عبدالله عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه^(٨٢٩).

(٨٢٢) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٠٩.

(٨٢٣) هدى الساري ص ١٤٠.

(٨٢٤) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١.

(٨٢٥) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤٤ / ٤١٥٤.

(٨٢٦) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٠٩.

(٨٢٧) هدى الساري ص ٤١١.

(٨٢٨) هدى الساري ص ٤٦٠.

(٨٢٩) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١١٠.

وكل هؤلاء الرواة من أهل الصدق والوثاقة، ولم ينفرد عباد بهذه الرواية، فقد رواها غيره، وبسبب هذه الرواية قالوا إنه يستحق الترك، وإن كان ثقة صدوقاً.

وقد وضعوا عليه حكايات لا تتناسب ومقامه ومنزلته بين المحدثين لأجل أن يضعوا من مقامه عندما أعلن بصراحة البراءة من أعداء آل محمد؛ وأن من لم يتبرأ يحشر مع أعداء آل محمد.

عبدالله بن عمر

أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح بن عمير الأموي مولاهم المتوفى سنة (٢٣٩ هـ) الكوفي ويقال له الجعفي نسبة إلى خاله حسين الجعفي. ويعرف - بمشكدانه - وهو وعاء المسك.

خرج حديثه مسلم، وأبو داود، والنسائي في خصائص علي. وروى عنه: أحمد بن علي المروزي، وزكريا بن يحيى خياط السنة^(٨٣٠) وأحمد بن بشير الطيالسي، وابن أبي الدنيا، ومحمد بن أبي إسحاق السراج، والبغوي، وأبو حاتم، وأبو زرعة سماعاً^(٨٣١). قال ابن حجر: عبدالله بن عمر بن محمد صدوق فيه تشيع من الطبقة العاشرة^(٨٣٢). وقال في التهذيب: وذكره ابن حبان في الثقات. وقال صاحب حماه: كان غالباً في التشيع، فكان يمتحن كل من يجيئه من أهل الحديث، وحكى العقيلي عن بعض مشايخه أنه كان فيه سلامة، يروي عنه مسلم اثني عشر حديثاً^(٨٣٣).

عبدالله بن زريق

عبدالله بن زريق الغافقي المصري المتوفى سنة (٨٣ هـ).

خرج حديثه أبو داود، والنسائي وابن ماجة. وروى عنه: أبو الخير البزني، وأبو أفلح الهمداني، وأبو علي الهمداني، وبكر بن سودة الجذامي، وعبدالله بن الحارث، وعبدالله بن هبيرة، وغيرهم.

(٨٣٠) زكريا بن يحيى المتوفى سنة ٢٨٩ هـ المعروف بخياط السنة، لأنه كان يخطط أكفان الموتى من السنة.

(٨٣١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٣٣.

(٨٣٢) التقريب ج ١ ص ٤٢٥.

(٨٣٣) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٩١ / ٥٦٨.

قال العجلي: مصري تابعي ثقة. وقال ابن يونس: كان من شيعة علي (عليه السلام) والوافدين إليه من مصر، وقال ابن سعد: شهد مع علي صفين. وقال البرقي نسب إلى التشيع ولم يضعف. وذكره ابن حبان في الثقات^(٨٣٤).

قال عبدالله: قال لي عبدالملك بن مروان: ما حملك على حبّ أبي تراب ألا أنك أعرابي جاف؟ قال: فقلت له: والله لقد قرأت القرآن قبل أن يجتمع أبواك. في قصة ذكرها ابن سعد^(٨٣٥).

وعن يزيد بن أبي حبيب قال: بعث عبدالعزيز بن مروان إلى عبدالله بن زريق فسأله عن عثمان، فأعرض عنه، فقال له عبدالعزيز: والله إني لأراك جافاً لا تقرأ القرآن. فقال: بلى، والله إني لأقرأ القرآن، وأقرأ منه ما لا تقرأ قال: وما هو؟ قال: القنوت، أخبرني علي بن أبي طالب إنه من القرآن^(٨٣٦).

عبدالله بن شداد

أبو الوليد عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي المدني المتوفى سنة (٨١ هـ) قتل بدجيل.

خرج حديثه أصحاب الصحاح وروى عنه: سعد بن إبراهيم، ومعبد بن خالد والحكم بن عتيبة، وذو بن عبدالله المرهبي، وربيع بن خراش، وطاووس، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو جعفر الفراء، ومحمد بن عبدالله بن أبي يعقوب الضبي، والشعبي، وعبدالله بن شبرمة، وأبو عون الثقفي وغيرهم^(٨٣٧).

قال الواقدي: خرج مع القراء أيام ابن الأشعث على الحجاج فقتل يوم دجيل، وكان ثقة فقيهاً كثير الحديث متشيعاً، وقال يعقوب بن أبي شيبة في مسند عمر، كان عبدالله بن شداد يتشيع.

(٨٣٤) كتاب الثقات ج ٥ ص ٢٤.

(٨٣٥) انظر تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٣٢٧٢ / ٥١٧.

(٨٣٦) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٦ - ٢١٧ والخلاصة ١٦٧.

(٨٣٧) تاريخ بغداد: ج ٩ ص ٤٧٣، وتهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٢٥٢.

وقال ابن سعد: كان ثقة فقيهاً كثير الحديث متشيعاً^(٨٣٨) وقد وقع من الغلط أنه عثمانى كما جاء في خلاصة الخزرجي ص ١٧٠ نقلاً عن ابن سعد أنه قال: وكان عبدالله عثمانياً. فإن عبارة ابن سعد: وكان شيعياً كما نقلناها، وكذلك وقع الخطأ في تهذيب الكمال، ولهذا قال ابن حجر: وما في الأصل عن ابن سعد كان عثمانياً فيه نظر. ونقل ابن حجر اقوال القائلين في تشيعه^(٨٣٩).

وقد ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام علي (عليه السلام)^(٨٤٠).
وقال الخطيب: وكان عبدالله ممن نزل الكوفة وورد المدائن في صحبة الإمام علي لما خرج إلى الخوارج.
وعلى كلِّ فإنَّ ما ذكره صفى الدين الخزرجي بأنه كان عثمانياً خطأ؛ ولهذا تعرضنا لذكره هنا لأننا لم نلتزم بذكر التابعين من الشيعة ولا الصحابة، لأنَّ ذلك شيء يدعو إلى التوسع في الموضوع لكثرتهم.

عبدالله بن شريك

عبدالله بن شريك العامري الكوفي.
خرج حديثه النسائي، وروى عنه: إسرائيل، وفطر بن خليفة، وشريك، واجلح بن عبدالله الكندي، وجابر النخعي، وأبو الأحوص. والسفيانان.
وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة، وقال البرقاني عن الدارقطني: لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العقيلي: أسدي كوفي كان يغلو، وقال أيضاً: كان غالباً في التشيع. وقال يعقوب بن سفيان: عبدالله بن شريك ثقة من كبراء أهل الكوفة يميل إلى التشيع^(٨٤١).

أما الجوزجاني فيقول: مختاري كذاب. ومعنى قوله مختاري أنه كان مع الجيش الذي سار لمحمد بن الحنفية لخلاصه من ابن الزبير، وبهذا استحق أن يوصف بالكذب، ويتوقف عنه بعض المحدثين^(٨٤٢).

(٨٣٨) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٢٦ ط ٢.

(٨٣٩) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٢٢ / ٤٤٢.

(٨٤٠) رجال الشيخ الطوسي ص ٤٧.

(٨٤١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٢٣ / ٤٤٤.

(٨٤٢) تهذيب الكمال ج ١٥ ص ٨٨ / ٣٣٣٢.

عبدالله بن الجهم

أبو عبدالرحمن عبد الله بن الجهم الرازي.

خرّج حديثه الترمذي في صحيحه، وروى عنه: أحمد بن أبي شريح، ويوسف بن موسى القطان، ونوح بن أنس، وأبو هارون الخزاز، وعلي بن شهاب، ومحمد بن بكير الحضرمي وجماعة.

قال أبو زرعة: رأيت ولم أكتب عنه، وكان صدوقاً. وقال أبو حاتم: رأيت ولم أكتب عنه، وكان يتشيع.

قال ابن حجر: عبدالله بن الجهم الرازي صدوق فيه تشيع^(٨٤٣).

عبدالله بن عبدالقدوس

أبو محمد عبدالله بن عبدالقدوس التميمي السعدي.

خرّج حديثه الترمذي، والبخاري تعليقاً، وروى عنه: عباد بن يعقوب، ومحمد بن حميد الرازي، ومحمد بن عيسى بن الطباع، وعبادة بن زياد الأسدي، والوليد بن صالح النخاس، وسعيد بن سليمان، وأبو موسى الهروي وغيرهم.

قال البخاري في تأريخه: عبدالله بن عبدالقدوس صدوق. وثقه ابن حبان. وقال ابن معين: خبيث رافضي ليس بشيء^(٨٤٤).

وقال ابن حجر: صدوق رمي بالرفض^(٨٤٥). وقال أبو داود: ضعيف الحديث يرمى بالرفض. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت^(٨٤٦).

عبدالله بن أبي عيسى

أبو محمد عبدالله بن أبي عيسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى الكوفي المتوفى سنة (١٣٦ هـ).

خرّج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه.

(٨٤٣) انظر الجرح والتعديل ج ٢ ص ٢٧ ق ٢، وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٧٧، والتقريب ج ١ ص ٤٠٧.

(٨٤٤) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٠٣، والجرح والتعديل ج ٢ ص ١٠٤ ق ٢، والخلاصة ص ١٧٤.

(٨٤٥) التقريب ج ١ ص ٤٣٠.

(٨٤٦) التقريب ج ١ ص ٤٣٩.

وروى عنه: إسماعيل بن خالد، والسفيانان وشعبة، وشريك، وعمار بن زريق الضبي، والحسن بن صالح، وزهير بن معاوية، وأبو فروة مسلم بن سالم الجهني، وأبو جناب الكلبي وغيرهم، وكان من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) ^(٨٤٧).
قال ابن حجر: عبدالله بن أبي عيسى ثقة فيه تشيع ^(٨٤٨) وقال النسائي: ثقة ثبت. وقال ابن خراش والحكم: هو أوثق آل بيته. وقال العجلي وابن معين: ثقة. وزاد ابن معين وكان يتشيع ^(٨٤٩) وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: صالح ^(٨٥٠).

عبدالله بن لهيعة

أبو عبدالرحمن عبدالله بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر وعالمها المتوفى سنة (١٧٠ هـ) - (١٧٤ هـ).

خرج حديثه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه وروى عنه: الثوري، وشعبة، والأوزاعي، والليث بن سعد، وهو من أقرانه وآخرون، ذكر منهم ابن حجر أكثر من خمسة وعشرين من الحفاظ. وثقه أحمد بن صالح. وكان ابن وهب يقول: حدثني الصادق البار عبدالله بن لهيعة. وقال سفيان: عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع ^(٨٥١).
قال ابن عدي: إنه مفرط في التشيع. وذكره ابن قتيبة في رجال الشيعة، وقال الجوزجاني: لا ينبغي أن يحتج به، ولا يغتر بروايته. ولعل الجوزجاني يشير إلى ما رواه ابن لهيعة بسند عن ابن عمر: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في مرضه: أدعوا لي أخي. فدعي له أبو بكر فأعرض عنه، ثم قال: ادعوا لي أخي. فدعي عثمان فأعرض عنه، ثم دعي له علي (عليه السلام) فستره بثوبه وأكب عليه، فلما خرج (عليه السلام) قيل له: ما قال لك؟ قال علي (عليه السلام): علمني ألف باب يفتح لي من كل باب ألف باب ^(٨٥٢).

وقد روى له مالك في الموطأ ولم يذكر اسمه، بل قال عنه الثقة، قال ابن عبد البر: هو ابن لهيعة وكذلك البخاري روى له ولم يصرح باسمه ^(٨٥٣).

(٨٤٧)

(٨٤٨) التقريب ج ١ ص ٤٣٠.

(٨٤٩) هدى الساري ص ٤١٤.

(٨٥٠) تهذيب الكمال ج ١٥ ص ٤١٥ / ٣٤٧٣.

(٨٥١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٧٦، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٤.

(٨٥٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٧.

(٨٥٣) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٧٦.

عبيد الله

أبو محمّد عبيدالله بن موسى بن أبي المختار العبسي المتوفى سنة (٢١٣هـ).
خرّج حديثه البخاري ومسلم في الصحيح والأربعة، وروى عنه: البخاري وهو من كبار
شيوخه، وإسحاق الحنظلي، وابن أبي شيبة وغيرهم ذكر منهم في تهذيب التهذيب أكثر من
أربعين من الحفاظ.

قال الذهبي: عبيدالله بن موسى الحافظ الثبت المقرئ العابد من كبار علماء الشيعة^(٨٥٤)
وقال الياضي: عبيدالله بن موسى كان إماماً في الفقه والقرآن، موصوفاً بالعبادة والصلاح
لكنه من رؤوس الشيعة^(٨٥٥). وقال أبو داود: عبيدالله كان شيعياً محترقاً. وقال أحمد بن
يوسف كتبت عن عبيدالله ثلاثين ألف حديث^(٨٥٦). وقال ابن حجر: عبيدالله بن موسى من
كبار شيوخ البخاري وثقه ابن معين، وأبو حاتم، والعجلي وابن أبي شيبة وآخرون^(٨٥٧).

عبدالجبار

عبدالجبار بن العباس الشبامي الكوفي.

خرّج حديثه الترمذي في صحيحه، والبخاري في الأدب المفرد، وروى عنه: الحسن بن
صالح، وأبو أحمد الزبيري، وعبيدالله بن موسى، وأبو نعيم، وابن المبارك وسلمة بن قتيبة
وغيرهم.

وقال عبدالله بن أحمد: سألت أبي عن عبدالجبار بن العباس، فقال هو رجل من أهل الكوفة
لا يكون به بأس، حدثنا عنه وكيع وأبو نعيم لكنه كان يتشيع. وقال ابن معين: عبدالجبار ليس
به بأس ووثقه أبو حاتم^(٨٥٨).

وقال الجوزجاني: كان غالباً في سوء مذهبه يعني التشيع^(٨٥٩) وقال ابن حجر صدوق
يتشيع من الطبقة السابعة^(٨٦٠).

عبدالرحمن

(٨٥٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٢٢.

(٨٥٥) مرآة الجنان ج ٢ ص ٤٣.

(٨٥٦) تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٣٢٢.

(٨٥٧) هدى الساري ص ٤٢٣.

(٨٥٨) الجرح والتعديل ج ٣ ص ٣١ ق ١.

(٨٥٩) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩١.

(٨٦٠) تهذيب الكمال ج ١٦ ص ٣٨٥ / ٣٦٩٤.

أبو محمّد عبدالرحمن بن أبي الموالي المدني المتوفى سنة (١٧٣ هـ).
خرج حديثه البخاري والأربعة، وروى عنه: سفيان الثوري، وأبو عامر العقدي،
والقعنبي، ويحيى بن صالح الوضاحي، وابن المبارك، والنسائي، وأبوزرعة .
وكان من تلامذة الإمام الباقر والإمام الصادق (عليهما السلام) وممن ناصر محمّد بن عبدالله ذا
النفس الزكية، وضربه المنصور اربعمائة سوط على أن يدلّه على عبدالله بن الحسن فلم
يفعل، وتحمل العذاب والسجن^(٨٦١) .
وثقه أحمد وابن معين، والنسائي وأبو زرعة، وقال ابن خراش: صدوق وقال ابن عدي:
مستقيم الحديث. وقال في المغني: عبدالرحمن بن أبي الموالي مشهور ثقة خرج مع ابن
حسن - أي ذي النفس الزكية - .
وقال الذهبي: عبدالرحمن بن أبي الموالي ثقة مشهور لكنّه خرج مع محمّد ابن عبدالله بن
حسن^(٨٦٢) .
وهذا الاستدراك من الذهبي فيه ما يدل على أن خروج عبدالرحمن كان مخالفاً في نظره
لوثاقته كأنه ليس من الدين الإسلامي الخروج على الظالمين والانتصار لدعوة الإصلاح،
وقد كان عبدالرحمن يحدث بسند عن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ستة لعنهم
الله، وكلّ شيء مجاب الدعوة: الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت
ليذل ما أعز الله، والمستحل لحرم الله ومن عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي^(٨٦٣) .
وقال الخطيب: وكان عبدالرحمن قد حمل من المدينة إلى بغداد هو ومحمّد بن عبدالله
الديباج وبعض الطالبين فحبسوا ببغداد، وقيل بل حبسوا بالهاشمية.
وقال أحمد بن حنبل: وكان ابن أبي الموالي عندنا محبوساً في المطبق ثم خلي عنه ورجع
إلى المدينة^(٨٦٤) .

عبدالرحمن بن صالح

أبو محمّد عبدالرحمن بن صالح الأزدي العتكي الكوفي نزيل بغداد المتوفى سنة (٢٣٥ هـ).
(هـ) .

(٨٦١) شذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٣ .

(٨٦٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١١٦ .

(٨٦٣) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٢٢ / ٤٩٩٠ .

(٨٦٤) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

خرّج حديثه النسائي، وروى عنه: أبو حاتم وأبو زرعة، وعباس الدوري وأبو قلابة الرقاشي، وعبدالله بن أحمد الدورقي، وأبو بكر بن أبي الدنيا وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، وعمر بن أيوب السقطي، وعبدالله ابن محمّد البغوي وغيرهم^(٨٦٥).
قال ابن حجر: عبدالرحمن بن صالح صدوق يتشيع من الطبقة العاشرة^(٨٦٦). وقال يحيى بن معين: يقدم عليكم رجل من أهل الكوفة يقال له عبدالرحمن بن صالح ثقة صدوق شيعي، لأنّ يخرّ من السماء أحبّ إليه من أن يكذب في نصف حرف^(٨٦٧). وقال ابن أبي حاتم: روى عنه أبي وأبو زرعة، وسئل أبي عنه فقال: صدوق^(٨٦٨).
وقال يعقوب بن يوسف المطوعي: كان عبدالرحمن بن صالح رافضياً، وكان يغشى أحمد بن حنبل فيقرّبه ويدنيه. ف قيل له: يا أبا عبدالله، إن عبدالرحمن رافضي! فقال أحمد: سبحان الله رجل أحبّ قوماً من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نقول له لا تحبهم!! هو ثقة^(٨٦٩).
وقال محمّد بن موسى، رأيت يحيى بن معين غير مرة جالساً في دهليز يكتب عنه. وقال ابن عدي، عبدالرحمن معروف مشهور في الكوفيين، لم يذكر بالضعف في الحديث ولا اتهم فيه، إلا أنّه محترق فيما كان فيه من التشيع^(٨٧٠).

عبدالرزاق

أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني المتوفى سنة (٢١١ هـ).
خرّج حديثه البخاري، ومسلم والجماعة، وروى عنه: ابن عيينة، ومعتمر وهما من شيوخه، وأحمد، وإسحاق، وأحمد بن صالح، وآخرون ذكر منهم ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣١١ أكثر من ثلاثين رجلاً وهو من كبار شيوخ أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وابن المدني، وابن معين.
قال ابن عدي: رحل إليه أئمة المسلمين وثقاتهم ولم نر بحديثه بأساً إلا أنّهم نسبوه للتشيع، وهو أعظم ما ذمّوه به.
وقال ابن حجر: عبدالرزاق أحد الحفاظ الأثبات صاحب التصانيف وثقه الأئمة كلهم^(٨٧١).

(٨٦٥) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٦١.

(٨٦٦) تقريب التهذيب ج ١ ص ٤٨١.

(٨٦٧) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٦٢.

(٨٦٨) تهذيب الكمال ج ١٧ ص ٣٨٥١ / ١٧٧.

(٨٦٩) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٦٢.

(٨٧٠) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٩٨.

(٨٧١) هدى الساري ص ٤١٨.

وقال الذهبي: وثقه غير واحد، وحديثه مخرج في الصحاح، وله ما ينفرد به، ونقموا عليه الشيعة وما كان يغلو بل كان يحبّ علياً (رضي الله عنه) ويبغض من قاتله^(٨٧٢). وقال العجلي: عبدالرزاق ثقة يتشيع. وقال إبراهيم بن عباد: وكان عبدالرزاق يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث^(٨٧٣).

وقال ابن ناصر: وثقه غير واحد لكن نقموا عليه التشيع، وذكره ابن حبان في الثقات^(٨٧٤).

وعلى أي حال فإنّ عبدالرزاق كان من أئمة الحديث وأوعية العلم، رحل إليه العلماء ووثقوه، منهم يحيى بن معين وأحمد بن حنبل^(٨٧٥). وكان شيعياً يحبّ علياً ويبغض من قاتله؛ وبهذا استحق أن يطعن به العباس العنبري ولم يوافقه أحد على ذلك^(٨٧٦).

عبدالسلام

أبو الصلت عبدالسلام بن سليمان الهروي نزيل نيسابور المتوفى سنة (٢٣٦ هـ). خرج حديثه ابن ماجه، وروى عنه: ابنه محمد، ومحمد بن إسماعيل الأحمسي، وسهل بن زنجلة، ومحمد بن رافع النيسابوري، والدوري، وابن أبي داود، وأحمد بن منصور الرمادي، وأحمد بن سيار المروزي وعلي بن حرب الموصلي وعمار بن رجاء، ومحمد بن عبدالله الحضرمي وآخرون^(٨٧٧).

قال يحيى بن معين وقد سئل عن أبي الصلت، فقال: صدوق إلا أنه يتشيع. وقال الحاكم: وثقه إمام أهل الحديث يحيى بن معين^(٨٧٨).

وقال الحاكم: أبو الصلت ثقة مأمون، وسئل صالح بن حبيب الحافظ عن أبي الصلت الهروي، فقال: دخل يحيى بن معين ونحن معه على أبي الصلت فسلم عليه فلمّا خرج تبعته فقلت له: ما تقول رحمك الله في أبي الصلت؟ فقال: هو صدوق. فقلت إنّه روى حديث أنا

(٨٧٢) تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٣٣١.

(٨٧٣) تهذيب التهذيب ج ٦، ص ٣١٤.

(٨٧٤) كتاب الثقات ج ٨، ص ٤١٢.

(٨٧٥) أنظر قصة رحلتها في طبقات الحنابلة ج ١، ص ١٧٥.

(٨٧٦) حذفنا في ترجمة عبدالرزاق الشيء الكثير حباً للاختصار كما حذفنا من تراجم غيره المثبتة في أصل الكتاب. كما تركنا أسماء

كثير من الرواة.

(٨٧٧) تهذيب التهذيب ج ٦، ص ٣٢٩.

(٨٧٨) المصدر السابق.

مدينة العلم وعلي بابها. فقال ابن معين: قد روى هذا الحديث ذاك الفيدي عن أبي معاوية عن الأعمش كما رواه أبو الصلت^(٨٧٩).

وروى الخطيب عن العباس بن محمد الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يوثق أبا الصلت عبدالسلام بن صالح فقلت له: إنه يحدث عن أبي معاوية بحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها.

فقال ابن معين: ما تريدون من هذا المسكين؟ أليس قد حدث به محمد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية هذا ونحوه^(٨٨٠)؟

أقول

وهذا الحديث الشريف قد رواه أبو الصلت الهروي عن أبي معاوية عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب».

أخرجه الحاكم في المستدرك وقال هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه - أي البخاري ومسلم - لأنه على شرطهما^(٨٨١).

وأخرجه الطبراني بسند عن أبي الصلت عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس.

ورواه عمر بن إسماعيل بن مجاهد عن أبي معاوية عن مجاهد عن ابن عباس، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها... الحديث^(٨٨٢).

ورواه الذهبي عن إسحاق بن يحيى بسند عن أبي الصلت عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت علياً. قال الذهبي هذا الحديث صحيح^(٨٨٣).

وسئل يحيى بن معين عن هذا الحديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها... الحديث. فقال يحيى بن معين هو صحيح^(٨٨٤).

(٨٧٩) المصدر السابق.

(٨٨٠) تهذيب الكمال ج ١٨ ص ٧٩ / ٣٤٢٠.

(٨٨١) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣٧ ح ٤٦٣٧.

(٨٨٢) الجرح والتعديل ج ٣ ص ٩٩ ق ١.

(٨٨٣) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٨.

(٨٨٤) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٢٠.

وقد اشتهر هذا الحديث شهرة عظيمة ورواه جماعة من الحفاظ من طرق متعددة، منها ما أخرجه الحاكم عن عبدالرحمن بن بهمان التميمي قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي يقول: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله - يمدّ بها صوته - أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب (٨٨٥).

كما أنّ هذا الحديث ورد متابعة عن أبي معاوية من غير طريق أبي الصلت من طرق متعددة، وقد أرسله ابن عبدالبر في الاستيعاب ارسال المسلمات (٨٨٦).

وقال ابن حجر في شرح الهمزية في تعداد فضائل الإمام علي (عليه السلام): منها العلوم التي أشار إليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وفي رواية: فمن أراد العلم فليأت الباب. وفي أخرى عند الترمذي: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وقال ابن حجر أيضاً: تنبيه - مما يدلّ على أنّ الله سبحانه وتعالى اختصّ علياً من العلوم ما تقتصر عنه العبارة قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أقضاكم علي، وهو حديث لا نزاع فيه وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (٨٨٧).

وعلى أيّ حال فإنّ هذا الحديث الشريف قد ورد من طرق متعددة واشتهر شهرة عظيمة، وقد ألف فيه جماعة رسائل خاصة منها: فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي لأحمد بن محمد بن صديق المغربي نزيل القاهرة (٨٨٨).

ولا مجال هنا إلى التوسّع في ذكر طرق هذا الحديث وبيان شهرته حتى أنّ بعض الحنفية جعل الأخذ بمذهب أبي حنيفة أولى؛ لأنّ أبا حنيفة كان يعتمد على قول علي (عليه السلام) وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (٨٨٩).

ولم يكن هذا الحديث منحصراً في طريق أبي الصلت فطره متعددة. وقد كان أبو الصلت يناظر أهل الأهواء في مجلس المأمون، قال الخطيب: وكان عبدالسلام يردّ على أهل الأهواء من المرجئة والجهمية والزنادقة والقدرية، وكلم بشر المريسي غير مرة بين يدي المأمون مع غيره من أهل الكلام وكل ذلك كان الظفر له وكان يعرف بكلام الشيعة (٨٩٠).

(٨٨٥) المستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٣٨ ح ٤٦٣٩ .

(٨٨٦) الاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٨٨٧) انظر شرح همزية البوصيري لابن حجر ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٨٨٨) طبع الكتاب في القاهرة ب ١٠٢ صفحة سنة ١٣٥٤ هـ .

(٨٨٩) أحسن التقاسيم لمقدسي ص ١٢٧ .

(٨٩٠) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٧ .

ولهذا حمل عليه أهل الأهواء المنحرفة كالجوزجاني وغيره فوصفوه بما لا يليق به، وكان أبو الصلت من تلامذة الإمام الرضا (عليه السلام) ومن أهل الصدق^(٨٩١).

عبدالعزیز

عبدالعزیز بن سیاه الأسدي الحماني الكوفي .
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وروى عنه: ابنه يزيد، وعبدالله بن نمير، وأبو معاوية، ويعلى بن عبيد، ويونس بن بكير، وعبيدالله بن موسى، ووکیع، وغيرهم .
وثقه ابن معين، وأبو داود، والعجلي، وابن نمير، ويعقوب بن سفيان، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أبو زرعة: وهو من كبار الشيعة وقال أبو حاتم: صدوق^(٨٩٢) .
ولعبد العزیز هذا ولد اسمه قطبة هو من العلماء والمحدثين
ورجال الصحاح، وكذلك ولده يزيد أيضاً كان من الحفاظ ورجال الصحاح^(٨٩٣) .

عبدالمك

عبدالمك بن أعين الكوفي الشيباني.
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والأربعة، وروى عنه: ابن إسحاق وعبدالرحمن بن المهدي، وإسماعيل بن سميع، وعبدالمك بن سليمان، وسفيان الثوري، وابن عيينة وغيرهم. وهو من تلامذة الإمام الباقر وولده الإمام الصادق (عليهما السلام) وتوفي في عهده ودعا له وترحم عليه.
قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول: عبدالمك بن أعين من عتق الشيعة محله الصدق، وقال ابن حجر في التقریب: عبدالمك بن أعين صدوق شيعي^(٨٩٤) وقال في هدى الساري: عبدالمك بن أعين الكوفي وثقه العجلي. وقال أبو حاتم: شيعي محله الصدق^(٨٩٥) وذكره ابن حبان في الثقات وقال: وكان يتشيع. وقال الساجي: كان يتشيع ويحمل في الحديث^(٨٩٦) .

(٨٩١) رجال الشيخ الطوسي ص ٣٨٠ / ١٤ .

(٨٩٢) انظر الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٨٣ ق ٢ وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٤٠ .

(٨٩٣) تهذيب الكمال ج ١٨ ص ١٤٥ / ٣٤٥١ .

(٨٩٤) انظر التقریب ج ٢ ص ٦٢٦ و ٦٣٨ .

(٨٩٥) هدى الساري ص ٤٢٠ .

(٨٩٦) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٤٣ / ٧٢٩ .

عبد الملك بن مسلم

أبو سلام عبد الملك بن مسلم بن سلام الحنفي الكوفي.

خرّج حديثه الترمذي والنسائي، وروى عنه: الثوري وهو من أقرانه، وعبد الرحمن بن المحاربي، ووكيع، وأبو قتيبة، وعلي بن نصر الجهضمي، وزيد بن هارون، وعبد الله بن موسى، وأبو نعيم وغيرهم^(٨٩٧).

قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول: لا بأس به. وكذلك قال أبو داود، وقال ابن معين ثقة، وقال ابن خراش: ليس به بأس كان من الشيعة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: روى عنه ابن المبارك^(٨٩٨).

عثمان

أبو اليقظان عثمان بن عمير الكوفي البجلي الثقي المتوفى سنة (١٢٥ هـ) تقريباً. خرج حديثه: أبو داود والترمذي، وابن ماجه، وروى عنه: الأعمش، وسفيان، وشعبة، وشريك، وحجاج بن أرطاة، وليس بن أبي سليم، ومهدي بن ميمون وغيرهم^(٨٩٩). قال الخزرجي: عثمان بن عمير كوفي يتشيع يؤمن بالرجعة. وقال ابن حجر: يغلو في التشيع وقال ابن عدي: رديء المذهب يؤمن بالرجعة؛ على أن الثقات رَوَوْا عنه^(٩٠٠).

عدي بن ثابت

عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي المتوفى سنة (١١٦ هـ).

خرّج حديثه البخاري، ومسلم والأربعة، وروى عنه: أبو إسحاق السبيعي، وأبو إسحاق الشيباني، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والأعمش، وزيد بن أبي أنيسة، وحجاج بن أرطاة، وإسماعيل السدي، وشعبة، ومسعر، وفضيل بن مرزوق وغيرهم من الحفاظ. وثقه أحمد، والعجلي، والنسائي، والدارقطني وغيرهم. قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عدي بن ثابت، فقال: هو صدوق وكان إمام مسجد الشيعة وقاضيه^(٩٠١). وقال في المغني: عدي بن ثابت هو كوفي شيعي جلد ثقة مع ذلك، وكان قاضي الشيعة وإمام مسجدهم. قال: المسعودي: ما أدركنا أحداً أقول بقول الشيعة من عدي بن ثابت^(٩٠٢).

(٨٩٧) الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٦٨ ق ٢، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٢٤.

(٨٩٨) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٢٥.

(٨٩٩) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٤٥.

(٩٠٠) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٨٧.

(٩٠١) الجرح والتعديل ج ٣ ص ٢ ق ٢.

(٩٠٢) شذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٢.

وقال ابن حجر: عدي بن ثابت وثقه أحمد والنسائي، والدارقطني إلا أنه كان يغلو في التشيع وكذا قال ابن معين. وقال أبو حاتم: صدوق وكان إمام مسجد الشيعة وقاضيههم، وقال الجوزجاني مائل عن القصد. وقال عفان عن شعبة: كان من الرفاعين، قلت: احتج به الجماعة... (٩٠٣).

علي بن بزيمة

أبو عبدالله علي بن بزيمة الجزري الكوفي المتوفى سنة (١٣١ هـ).
خرج حديثه الترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، وروى عنه: الأعمش، وشعبة، والمسعودي، والثوري، وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر، وعبدالرحمن بن يزيد بن تميم، ويونس بن راشد الجزري، وأبو سعيد المؤدّب، ومعمر، وإسرائيل وغيرهم (٩٠٤).
وثقه ابن معين والنسائي وأبو زرعة وابن سعد وابن عمار، وقال ابن حجر: ثقة رمي بالتشيع، وقال أحمد بن حنبل: علي بن بزيمة صالح الحديث ولكن كان رأساً في التشيع، وقال أيضاً: ثقة وفيه شيء. وقال الجوزجاني: زائع عن الحق. بمعنى أنه شيعي يحب علي بن أبي طالب (٩٠٥).

علي بن الجعد

أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي المتوفى سنة (٢٣٠ هـ).
خرج حديثه البخاري وأبو داود، وروى عنه: أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إسرائيل، والحسن بن محمد الزعفراني، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وخلق ذكر منهم الخطيب في تاريخه ما يقارب العشرين من الحفاظ (٩٠٦) وزاد ابن حجر في تهذيب التهذيب بأكثر من ذلك (٩٠٧).
وهو من كبار شيوخ البخاري، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين. قال صعب الخالق بن منصور: سمعت يحيى بن معين يقول: كتبت عن علي بن الجعد أكثر من ثلاثين سنة (٩٠٨).

(٩٠٣) هدى الساري ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٩٠٤) الجرح والتعديل ج ٣ ص ١٧٥ ق ١.

(٩٠٥) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٤٤ / ٤٨٥٧.

(٩٠٦) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٠ / ٦٢١٥.

(٩٠٧) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٤٨ / ٤٨٦٣.

(٩٠٨) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦١.

قال ابن حجر: علي بن الجعد ثقة ثبت رمي بالتشيع^(٩٠٩) وقال أبو حاتم: لم أر من المحدثين من يحدث بالحديث على لفظ واحد لا يغيره سوى علي ابن الجعد^(٩١٠).
وقال الذهبي: قال ابن معين: هو اثبت البغداديين في شعبه وهو صدوق، وقيل إنه مكث ستين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان عالماً نبيلاً متمولاً، فيه ابتداع نال من بعض السلف^(٩١١) وذلك أنه ذكر عنده حديث ابن عمر: كنا نفاضل على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنقول خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان فقال علي بن الجعد: انظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته^(٩١٢) يقول: كنا نفاضل^(٩١٣). وكان علي بن الجعد من حفاظ الحديث واعلام الأمة ورباني العلم كما يقول ابن معين^(٩١٤).
وكان من شيوخ أحمد بن حنبل، ولكنه تركه بعد ذلك من أجل التشيع ومن أجل وقوفه في القرآن^(٩١٥) وذلك أنه قال: من قال إن القرآن مخلوق لم أعنفه.

علي بن زيد

أبو الحسن علي بن زيد بن عبدالله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله البصري المتوفى سنة (١٢٩ هـ).

خرج حديثه مسلم في صحيحه، والأربعة، والبخاري في الأدب المفرد، وروى عنه: قتادة، والحمادان، وزائدة، وزهير بن مرزوق، والسفيانان، وسفيان بن حسين، وشعبة، وهمام بن يحيى، ومبارك بن فضالة، وابن عون، وابن علية وآخرون. قال العجلي: علي بن زيد يتشيع لا بأس به يكتب حديثه. وقال ابن عدي: لم أر من البصريين وغيرهم امتنع من الرواية عنه. وقال ابن العماد: كان علي بن زيد أحد أوعية العلم، قال في العبر: كان أحد علماء الشيعة^(٩١٦).

علي بن غراب

-
- (٩٠٩) التقريب ج ٢ ص ٣٣.
(٩١٠) هدى الساري ص ٤٢٩.
(٩١١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦١.
(٩١٢) يشير إلى حديث ابن عمر أنه طلق امرأته في الحيض فأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عمر بن الخطاب أن يأمره أن يراجعها. أخرجه البخاري ج ٥ ص ٢٠١١ ح ٤٩٥٤.
(٩١٣) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٣.
(٩١٤) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٦.
(٩١٥) هدى الساري ص ٤٢٩.
(٩١٦) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٢٢، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٣، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٧٦ وغيرها.

أبو الحسن علي بن غراب الفزاري، ويقال أبو الوليد الكوفي المتوفى سنة (١٨٤ هـ) .
خرج حديثه النسائي، وابن ماجه، وروى عنه: مروان بن معاوية وهو من أقرانه، وعمار
بن خالد الواسطي، وأبو الشعثاء علي بن الحسن، وإبراهيم بن موسى الرازي، ومحمد بن
عبدالله بن شابور، وأحمد بن حنبل وغيرهم.

قال المروزي عن أحمد: كان حديث علي بن غراب حديث أهل الصدق، وقال ابن معين:
هو المسكين صدوق لم يكن به بأس ولكنه كان يتشيع. وقال: إنه ثقة. وقال ابن أبي حاتم عن
أبيه: لا بأس به. وقال أبو زرعة: علي بن غراب هو صدوق عندي وأحب إلي من علي بن
عاصم^(٩١٧).

وقال الجوزجاني: علي بن غراب ساقط. قال الخطيب البغدادي بعد نقله لقول الجوزجاني:
قلت: أحسب أنّ إبراهيم الجوزجاني طعن عليه لأجل مذهبه، فإنّه كان يتشيع، وأما روايته
فقد وصفوه بالصدق^(٩١٨).

علي بن قادم

أبو الحسن علي بن قادم الخزاعي الكوفي سنة (٢١٣ هـ) .
خرج حديثه أبو داود، والترمذي، والنسائي في الخصائص. وروى عنه: أبوقريب، وأحمد
بن الفرات، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبدالله بن أبي الثلج، ووهب الفامي، والمنذر
بن شاذان، والقاسم بن زكريا وغيرهم^(٩١٩).
وثقه العجلي، وقال أبو حاتم: محله الصدوق. وقال ابن سعد: كان شديد التشيع وذكره ابن
حبان في الثقات^(٩٢٠) وقال ابن حجر: علي بن قادم صدوق يتشيع من الطبقة التاسعة^(٩٢١).

علي بن المنذر

أبو الحسن علي بن المنذر بن زيد الأودي، ويقال الأسدي الكوفي الطريقي المتوفى سنة
(٢٥٦ هـ) .

(٩١٧) الجرح والتعديل ج ٣ ص ٢٠٠ ق ١، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٧١ .

(٩١٨) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٦ .

(٩١٩) انظر الجرح والتعديل ج ٣ ص ٢٠١ ق ١ .

(٩٢٠) كتاب الثقات ج ٨ ص ٤٧٤ .

(٩٢١) التقريب ج ٢ ص ٤٢ .

خرَج حديثه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وهو من شيوخهم. وروى عنه: الهيثم بن خلف، واحمد بن الحسين، وخلق كثير ذكر منهم ابن حجر أكثر من عشرين من الحفاظ^(٩٢٢)

قال ابن أبي حاتم: سمعت منه مع أبي وهو صدوق ثقة، سئل عنه أبي فقال: محله الصدق. وقال النسائي: شيعي محض ثقة. وقال ابن نمير: هو ثقة صدوق، وقال ابن ماجة: سمعت علي بن المنذر يقول: حجبت ثمانياً وخمسين حجة أكثرها راجلاً وقال ابن قاسم: كان يتشيع^(٩٢٣).

علي بن هاشم

أبو الحسن علي بن هاشم بن البريد العائدي الكوفي الخزاز المتوفى سنة (١٨١ هـ). خَرَج حديثه مسلم والأربعة، والبخاري في الادب المفرد، وروى عنه: أحمد بن حنبل وابن معين، وأبو معاوية، وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهم. قال ابن حجر: علي بن هاشم صدوق يتشيع. وقال علي بن المديني: كان صدوقاً وكان يتشيع. وقال الجوزجاني: هاشم بن البريد وابنه علي بن هاشم غاليلان في سوء مذهبهما. يعني أنهما شيعيان حسب تعبير الجوزجاني. قال أبو حاتم: وكان علي يتشيع ويكتب حديثه، وقال أبو داود: علي من أهل بيت يتشيع^(٩٢٤).

عطية بن سعد

أبو الحسن عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي المتوفى سنة (١١١ هـ). خَرَج حديثه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، وروى عنه: ابنه الحسن وعمر، والاعمش، والحجاج بن أرطاة، وآخرون، وثقه ابن سعد، وقال ابن معين: صالح الحديث. وقال أبو داود: ليس بالذي يعتمد عليه. قال أبو بكر البزار: كان يعدّه في التشيع. وقال الساجي: ليس بحجة، وكان يقدّم علياً على الكل؛ ولهذا قال الجوزجاني: مائل^(٩٢٥).

(٩٢٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٦.

(٩٢٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٦، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٣٩.

(٩٢٤) ترجمته في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١١٦، والجرح والتعديل ج ٣ ص ١٧٥ ق ١، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٩٢، وتقريب التهذيب ج ١ ص ٤٥ وغيرها.

(٩٢٥) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٩٥ / ٤٧٨١.

وقد امتحن عطية في حبّه لعلي(عليه السلام) فإنّ الحجاج كتب إلى محمّد بن القاسم الثقفي: أن أدع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب وإلا فاضربه اربعمائة سوط، واحلق رأسه ولحيته، فلم يفعل عطية فضربه اربعمائة سوط^(٩٢٦).

عمار بن زريق

أبو الأحوص عمار بن زريق الضبي التميمي الكوفي المتوفى سنة (١٥٩ هـ).
خرّج حديثه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجّة، وروى عنه: سلام بن سليم الكوفي، وأبو أحمد الزبيري، وزيد بن الحباب، ويحيى بن آدم، ومعاوية بن هاشم وغيرهم.
وثقه ابن معين وأبو زرعة، وابن المديني، وذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو حاتم: لا بأس به^(٩٢٧) قال الذهبي: عمار ثقة ما رأيت فيه تلييناً إلا قول السليمان أنّه من الرافضة فالله أعلم بصحة ذلك^(٩٢٨).

أقول: لم يجد الذهبي طعناً في عمار من أحد إلا من السليمانى فإنّ نسبته إلى الرفض، والتشيع والرفض شيء واحد في أكثر الموارد عندهم، وهذه النسبة من السليمانى غير بعيدة عن عمار فإنّ عمار بن زريق كان من تلامذة الإمام الصادق(عليه السلام)^(٩٢٩).

عمرو بن حماد

أبو محمّد عمرو بن حماد بن طلحة القناد الكوفي المتوفى سنة (٢٢٢ هـ).
خرّج حديثه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجّة، وروى عنه: عبدالله بن محمّد السندي، وسليمان بن عبدالرحمن الصلحي، وجعفر بن محمّد الدهلي، وأحمد بن عثمان بن حكيم، وإبراهيم الجوزجاني، وإسحاق بن راهويه، وأبو حاتم وغيرهم^(٩٣٠).
وثقه ابن معين، وابن سعد، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن أبي حاتم: صدوق كان من الرافضة، ذكر عثمان بشيء فهرب. وقال ابن حجر: صدوق رمي بالرفض^(٩٣١).

عمرو بن ثابت

(٩٢٦) انظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٠٤، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٤٤.

(٩٢٧) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٠.

(٩٢٨) ميزان الاعتدال ج ٥ ص ١٩٩ / ٥٩٩٢.

(٩٢٩) انظر منهج المقال ص ٣٤٣، ورجال الشيخ الطوسي ص ٢٥٠.

(٩٣٠) انظر تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٢ والخلاصة ص ٣٤٤، والجرح والتعديل ج ٣ ص ٢٢٨، والتقريب ج ٢ ص ٦٨.

(٩٣١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٠ / ٥٢٠٤.

أبو محمد بن ثابت بن هرمز البكري المعروف بعمر بن أبي المقدام المتوفى سنة (١٧٢ هـ).

خرج حديثه أبو داود، وابن ماجه في التفسير، وروى عنه، أبو داود الطيالسي، وعيسى بن موسى، ويحيى بن بكير، ويحيى بن آدم، وعبدالله بن صالح العجلي، وموسى بن داود الضبي وآخرون. وهو من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام).

قال أبو داود: هو رافضي خبيث، وكان رجل سوء ولكنه كان صدوقاً. وقال ابن سعد: كان متشيعاً مفرطاً^(٩٣٢) وقال ابن حجر: عمرو بن ثابت وهو ابن أبي المقدام، رمي بالرفض^(٩٣٣).

وقد كثرت حملة البعض عليه لأنهم يقولون: إنه ينال من عثمان، ويقدم علياً على الشيخين.

عمارة بن جوين

أبو هارون عمارة بن جوين العبدي البصري المتوفى سنة (١٣٤ هـ).

خرج حديثه الترمذي، وابن ماجه، والبخاري تعليقاً، وروى عنه:

عبدالله بن عون، وعبدالله بن شاذب، والثوري، والحمادان، والحكم بن عبده، وخالد بن دينار، وجعفر بن سليمان، وصالح المري، ونوح بن قيس، وهيثم وعلي بن عاصم^(٩٣٤).

قال ابن حجر: عمارة بن جوين أبو هارون العبدي مشهور بكنيته متروك ومنهم من كذبه،^(٩٣٥) وقد اوضح ابن عبدالبر أسباب تكذيبهم لعمارة بقوله: وقد تحامل بعضهم فنسبه إلى الكذب، روي ذلك عن حماد بن زيد، وكان في تشيع، وأهل البصرة يفرطون فيمن يتشيع بين اظهرهم لأنهم عثمانيون^(٩٣٦).

عمار بن معاوية

أبو معاوية عمار بن معاوية البجلي الكوفي المتوفى سنة (١٣٣ هـ).

(٩٣٢) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٩، التقريب ج ٢ ص ٦٦.

(٩٣٣) تقريب التهذيب ص ٣٥٦ / ٤٩٩٥.

(٩٣٤) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤١٢.

(٩٣٥) تقريب التهذيب ج ٢ ص ٤٩.

(٩٣٦) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٤٩ / ٥٠١٨.

خرج حديثه مسلم والأربعة، وروى عنه: ابنه معاوية، وشعبة والسفيانان وإسرائيل، وعبيدة بن حميد، وزهير بن معاوية، وعتبة بن سعيد قاضي الري، وأبو صخر حميد بن زياد وغيرهم^(٩٣٧).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم. وقال ابن حجر: صدوق يتشيع^(٩٣٨) وكان عمار من تلامذة الإمام الباقر (عليه السلام) وولده الإمام الصادق (عليه السلام)، وقد عذب لتشييعه^(٩٣٩). نقل ابن المديني عن سفيان: أنّ عماراً قطع بشر بن مروان عرقويه في التشيع.

الفضل بن دكين

أبو نعيم الفضل بن دكين - وهو عمر بن حماد ولقبه دكين - بن زهير التيمي المتوفى سنة (١١٨ - ١١٩ هـ).

خرج حديثه البخاري، ومسلم، والأربعة، وهو من كبار شيوخ البخاري وأحمد بن حنبل، روى عنه: جماعة من الحفاظ ذكر منهم ابن حجر أكثر من أربعين، وذكر الخطيب^(٩٤٠) منهم أكثر من عشرين كلهم من كبار المحدثين والحفاظ.

وكان أبو نعيم من رجال الشيعة وعلماء الأمة وأعلام المحدثين، وهو غاية في الإتقان والحفظ، وقال الذهبي: الفضل بن دكين حافظ حجة إلا أنه يتشيع^(٩٤١) وقال: أحمد بن حنبل: أبو نعيم صدوق ثقة موضع للحجة. وقال: إذا مات أبو نعيم صار كتابه إماماً إذا اختلف الناس في شيء فزعوا إليه^(٩٤٢) وقال ابن حجر: الفضل بن دكين أبو نعيم الكوفي أحد الأثبات، قرنه أحمد في التثبت بعبد الرحمن بن مهدي؛ إلا أن بعض الناس تكلم فيه بسبب التشيع ومع ذلك فقد صح عنه أنه قال: ما كتبت عليّ الحفظة أني سببت معاوية احتج به الجماعة^(٩٤٣) وقال أيضاً: الفضل بن دكين رمي بالتشيع^(٩٤٤).

وإنّ تشيع أبي نعيم لم يكن لسببه معاوية بل كان شيعياً واقعاً، وقد اشتهر عنه ذلك وعرف به مع شدة تكلمه.

لما قدم بغداد فنزل الرميّة ونصب له كرسي عظيم فجلس عليه ليحدث فقام إليه رجل فقال: يا أبا نعيم، أنتشيع؟ فصرف وجهه عنه وتمثل:

(٩٣٧) الجرح والتعديل ج ٣ ص ٣٩٠ ق ١.

(٩٣٨) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٠٦.

(٩٣٩) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٥٦ / ٦٦٢.

(٩٤٠) انظر تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٧٠، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٦.

(٩٤١) ميزان الاعتدال: ج ٢، ص ٣٢٦.

(٩٤٢) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٢٠.

(٩٤٣) هدى الساري: ج ٤٣٤.

(٩٤٤) هدى الساري ص ٤٦١.

وما زال بي حبك حتى كأنني *** برجع جواب السائلي عنك أعجم
لأسلم من قول الوشاة وتسلمي *** سلمت وهل حي من الناس يسلم
فلم يفقه الرجل مراده، فعاد سائلاً فقال: يا أبا نعيم، أنتشيع؟
فقال أبو نعيم: يا هذا كيف بليت بك؟ وأي ريح هبت إلي منك! سمعت الحسن بن صالح
يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: حبّ علي عبادة وأفضل العبادة ما كنتم^(٩٤٥).
وحدّث الخطيب: أنّ أبا نعيم جاءه ولده يبكي فقال: مالك؟ فقال الولد: الناس يقولون أنّك
تتشيع^(٩٤٦).

وهنا يتّضح لنا ما بلغت إليه الحالة من الخطر على من يعرف بالتشيع؛ لأنّ التشيع كان
طريقاً للمحنة وشدة الابتلاء من مجتمع غذته روح السياسة بيبغض أهل البيت حتى أصبح
حبّهم من أعظم الأخطار، والنفوس تبتعد عن الخطر وتسعى لحبّ السلامة، إلا من امتحن
الله قلبه بالإيمان.

وقد ضويق أبو نعيم فاعلن بأنه: ما كتبت عليه الحفظة أنّه سبّ معاوية. وهو صادق في
ذلك.

ولأبي نعيم حفيد هو من كبار علماء الشيعة ومصنفيهم وهو: أحمد بن ميثم بن أبي نعيم،
قال الشيخ الطوسي: كان من ثقات أصحابنا وفقهائهم، وله مصنّفات منها: كتاب الدلائل،
وكتاب المتعة، وكتاب النوادر وكتاب الملاحم، وكتاب الشراء والبيع^(٩٤٧).

فضيل بن مرزوق

أبو عبدالرحمن فضيل بن مرزوق الرقاشي الكوفي المتوفى سنة (١٦٠ هـ).
خرّج حديثه مسلم والأربعة والبخاري، في رفع اليدين، وروى عنه: سفيان الثوري
ويحيى بن آدم، ويزيد بن هارون، وقبيصة وعبدالله بن صالح بن مسلم والحسن بن عطية،
وعلي بن الجعد وغيرهم وهو من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)^(٩٤٨).
وثقه الثوري وأبو حاتم، وابن معين، وقال: إنّ شديداً التشيع^(٩٤٩).
وقال ابن حجر: فضيل بن مرزوق رمي بالتشيع^(٩٥٠) وقال الهيثم: كان من أئمة الهدى
زهداً وفضلاً. وقال العجلي: كان فيه تشيع^(٩٥١).

(٩٤٥) تاريخ بغداد للخطيب ج ١٢ ص ٣٥١.

(٩٤٦) المصدر السابق.

(٩٤٧) الفهرست للشيخ الطوسي ص ٧٠ / ٧٧.

(٩٤٨) رجال الشيخ الطوسي ص ٢٧١ / ١٧.

(٩٤٩) الجرح والتعديل ج ٣ ص ٧٥ ق ٢.

(٩٥٠) التقريب ج ٢ ص ١١٣.

فطر بن خليفة

أبو بكر فطر بن خليفة الحنات المخرومي المتوفى سنة (١٥٠ هـ) .
خرج حديثه البخاري والأربعة، وروى عنه: سعيد القطان، ووكيع، وأبو نعيم، وعبيدالله بن موسى، ومصعب بن المقدام وغيرهم. قال ابن حجر: وثقه أحمد، والدراقطني، وابن معين والنسائي وقال العجلي: كان فيه تشيع^(٩٥٢) وقال الجوزجاني: إنه زائع غير ثقة. وقال ابن حجر، صدوق رمي بالتشيع^(٩٥٣) وكان فطر من رواية حديث الإمام الباقر وولده الإمام الصادق (عليهما السلام)^(٩٥٤) .

عبدالمك بن مسلم

أبو سلامة عبدالمك بن مسلم بن سلام الحنفي الكوفي.
خرج حديثه الترمذي والنسائي، وروى عنه: الثوري وهو من أقرانه وعبدالرحمن بن المحاربي، ووكيع، وأبو قتيبة، وعلي بن نصر الجهضمي وزيد بن هارون، وعبدالله بن موسى، وأبو نعيم النظر الرقاشي، وعلي بن نصر وغيرهم^(٩٥٥) .
قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول: لا بأس به. وكذلك قال أبو داود، وقال ابن معين: ثقة وقال ابن خراش: ليس به بأس كان من الشيعة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال روى عنه ابن المبارك^(٩٥٦) .

محمد بن عبدالله

أبو أحمد محمد بن عبدالله بن الزبير بن عمر بن درهم المعروف بالزبيري المتوفى سنة (٢٠٣ هـ) .
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، والباقون. وروى عنه: محمود بن غيلان، وأحمد بن الفرات، ومحمد بن رافع، ومحمد بن عبدالله بن نمير، وابن أبي شيبه، وعمر الناقد، ونصر بن علي، والقواريري، وغيرهم^(٩٥٧) .

(٩٥١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٩٩ .

(٩٥٢) هدى الساري ص ٤٣٤ .

(٩٥٣) تقريب التهذيب .

(٩٥٤) رجال الشيخ الطوسي ص ٢٧٣ / ٣٨ .

(٩٥٥) الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٦٨ ق ٢، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٢٤ .

(٩٥٦) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٢٥ .

(٩٥٧) انظر الجرح والتعديل ج ٣ ص ٢٩٧ ق ٢ .

وهو من كبار شيوخ أحمد بن حنبل، قال ابن حجر: محمد بن عبدالله الزبيري أحد الاثبات المشهورين من شيوخ أحمد بن حنبل^(٩٥٨) ووثقه ابن نمير وابن معين، وقال العجلي: ثقة يتشيع. وقال بNDAR: ما رأيت احفظ منه^(٩٥٩) وقد ذكر ابن حجر القول في تشييعه عند ذكره لشيوخ البخاري^(٩٦٠)، وكذلك ابن الاثير في تهذيب الأنساب^(٩٦١).

محمد بن جحادة

محمد بن جحادة الأودي الأيامي الكوفي المتوفى سنة (١٣١ هـ).
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن ماجه وروى عنه: ابنه إسماعيل، وشعبة، وإسرائيل، وهمام، وعمران القطان والسفيانان، وزهير بن معاوية، وشريك وغيرهم.
وقال أحمد بن حنبل: جحادة من الثقات. ووثقه النسائي، والعجلي، وابن أبي شيبة، وقال يعقوب بن أبي سفيان، قال أبو عوانة: كان يغلو في التشيع^(٩٦٢).
وقال ابن حجر في هدى الساري: محمد بن جحادة الكوفي رمي بالتشيع^(٩٦٣).

محمد بن فضيل

أبو عبدالرحمن محمد بن فضيل بن غزوان بن جرير الضبي المتوفى سنة (١٩٥ هـ)
خرج حديثه البخاري، ومسلم والترمذي والباقون، وهو من شيوخ أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وروى عنه: الثوري - وهو أكبر منه -، وأحمد بن أشكاب الصفار، وأبو خيثمة وغيرهم من الحفاظ، ذكر منهم ابن حجر في تهذيب التهذيب أكثر من ثلاثين كلهم من رجال الصحاح.
قال أحمد بن حنبل: محمد بن فضيل كان شيعياً حسن الحديث. وقال أبو زرعة: صدوق من أهل العلم لا بأس به^(٩٦٤) وقال في المغني: محمد بن فضيل ثقة مشهور لكنه يتشيع^(٩٦٥).

(٩٥٨) هدى الساري ص ٤٣٩ .

(٩٥٩) تذكرة الحفاظ: ص ٣٢٥ .

(٩٦٠) هدى الساري ص ٦١٤ .

(٩٦١) اللباب في تهذيب الأنساب ج ١ ص ٤٩٦ .

(٩٦٢) انظر تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٩٢ .

(٩٦٣) هدى الساري: ص ٦١٢ .

(٩٦٤) هدى الساري ص ٤٢٣ - ٤٤١ .

(٩٦٥) المغني في الضعفاء ج ٢ ص ٣٦٢ / ٥٩١٠ .

وقال ابن سعد: محمد بن فضيل كان ثقة صدوقاً كثير الحديث وبعضهم لا يحتج به. وقد رد ابن حجر على ابن سعد بقوله: إنه احتج به الجماعة^(٩٦٦).

وكان محمد بن فضيل من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) ورواة حديثه وكان أبوه فضيل بن غزوان من الحفاظ ورجال الصحاح، خرّج حديثه البخاري ومسلم والأربعة وكذلك جدّه غزوان من رجال أبي داود خرّج حديثه وروى عنه جماعة.

محمد بن موسى

أبو عبدالله محمد بن موسى الفطري المدني .
خرّج حديثه مسلم والأربعة، وروى عنه: ابن أبي فديك وقتيبة، وابن مهدي، وأبو عامر العقدي، وأبو المطرف وغيرهم .
قال أبو حاتم: صدوق يتشيع، ووثقه الترمذي، وأحمد بن صالح وذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات^(٩٦٧) وقال ابن حجر: محمد بن موسى الفطري - بكسر الفاء وسكون الطاء - المدني صدوق رمي بالتشيع^(٩٦٨).

مالك بن إسماعيل

أبو غسان مالك بن إسماعيل الكوفي المتوفى سنة (٢١٧ هـ) .
خرّج حديثه مسلم، والبخاري، وأبو داود، والترمذي والنسائي وابن ماجه وروى عنه: البخاري وهو من كبار شيوخه^(٩٦٩) وأبو حاتم، وأبو زرعة، وخلق كثير. قال ابن معين: ليس بالكوفة اتقن من أبي غسان. وقال أبو حاتم: كان أبو غسان يملئ علينا من أصله، ولا يملئ حديثاً حتى يقرأه، ولم أر بالكوفة أتقن من أبي غسان لا أبو نعيم ولا غيره، وأبو غسان أوثق من أبي إسحاق منصور السلولي وهو متقن ثقة، وكان له فضل وصلاح وعبادة، وصحة حديث واستقامة، وكانت عليه سجدتان، كنت إذا نظرت إليه كأنه خرج من قبر^(٩٧٠) وقال ابن ناصر الدين: مالك بن إسماعيل النهدي مولا هم الكوفي ثقة متقن، ذو فضل وأمانة، وعبادة

(٩٦٦) انظر تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٠٦، والجرح والتعديل ج ٤ ص ٨٢ ق ١، والخلاصة ص ٣٩٤ .

(٩٦٧) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٨٠ .

(٩٦٨) التقريب ج ٢ ص ٢١١ .

(٩٦٩) هدى الساري ص ٤٤٢ .

(٩٧٠) الجرح والتعديل: ج ٤، ص ٤٠٧ ق ١ .

واستقامة على تشييع فيه. وقال أبو داود: مالك بن إسماعيل كان شديد التشييع^(٩٧١) وقال ابن حجر: مالك بن إسماعيل: من كبار شيوخ البخاري مجمع على ثقته، ذكره ابن عدي في الكامل من أجل قول الجوزجاني إنه كان خبيثاً يعني شيعياً وقد احتج به الأئمة^(٩٧٢).

مخول بن راشد

أبو راشد مخول - على وزن محمد - النهدي المتوفى سنة (١٤١ هـ).
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وروى عنه: سفيان الثوري، وشعبة، وشريك، وغيرهم وهو من تلامذة الإمام الباقر (عليه السلام)^(٩٧٣).
قال ابن حجر: أبو راشد النهدي ثقة نسب إلى التشييع^(٩٧٤) وثقه ابن معين وابن سعد، وقال أحمد: ما علمت منه إلا خيراً، وسئل عنه أبو حاتم فقال: يكتب حديثه^(٩٧٥).

منصور بن المعتمر

أبو عتاب منصور بن المعتمر السلمي أحد الحفاظ الكوفي المتوفى سنة (١٣٢ هـ).
خرج حديثه البخاري، ومسلم، والأربعة، وروى عنه: سليمان التيمي، وأبو أيوب وحجاج بن دينار وإسرائيل وزائدة، وحماد بن زيد وغيرهم.
وقال عبدالرحمن بن المهدي: أربعة بالكوفة لا يختلف أحد في حديثهم، فمن اختلف عليهم فهو يخطئ؛ منهم منصور بن المعتمر، ولم يكن بالكوفة أحفظ من منصور^(٩٧٦) وقال ابن العماد: منصور بن المعتمر الحافظ أحد الأعلام، وكان أحفظ أهل الكوفة، صام أربعين سنة وقامها وعمي من البكاء. وقال في العبر: يقال فيه يسير تشييع^(٩٧٧) وقد نص ابن قتيبة على تشييعه^(٩٧٨)، وكذلك الجوزجاني، وقال العجلي: وفيه تشييع قليل^(٩٧٩).

منصور الليثي

منصور بن أبي الأسود الليثي - ويقال اسم أبيه حازم - الكوفي .

(٩٧١) شذرات الذهب ج ٢ ص ٤٦ .

(٩٧٢) هدى الساري ص ٤٤٢ .

(٩٧٣) تهذيب الكمال ج ٢٧ ص ٣٤٨ / ٥٨٤٦ .

(٩٧٤) التقريب ج ٢ ص ٣٣٦ .

(٩٧٥) الجرح والتعديل ج ٤ ص ٣٩٨ ق ١ .

(٩٧٦) الجرح والتعديل ج ٤ ص ١٧٧ .

(٩٧٧) شذرات الذهب ج ١ ص ١٨٩ .

(٩٧٨) المعارف «لابن قتيبة» ص ٣٤١ .

(٩٧٩) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٥ .

خرّج حديثه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وروى عنه: عبدالرحمن بن مهدي، وأبو نعيم، وأبو غسان، ومحمد بن الصلت وأبو الربيع الزهراني ومعن بن عيسى القزاز وغيرهم وهو من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) (٩٨٠).

قال يحيى بن معين: منصور بن أبي الأسود ثقة شيعي (٩٨١) وقال الخزرجي: منصور وثقه ابن معين ورماه بالتشيع. وقال ابن حجر: صدوق رمي بالتشيع (٩٨٢).

نوح بن قيس

أبو روح نوح بن قيس بن رباح الأزدي البصري المتوفى سنة (١٨٤ هـ).
خرّج حديثه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، وروى عنه: عفان بن مسلم، ومسلم بن إبراهيم، وموسى بن إسماعيل، ونصر بن علي، ومسدد، وغيرهم.
قال الخزرجي: نوح بن قيس روى عنه سعيد بن منصور وطائفة، وثقه ابن معين وقال أبو داود، ثقة وكان يتشيع (٩٨٣) وقال ابن حجر: نوح بن قيس أخو خالد صدوق رمي بالتشيع (٩٨٤) ووثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين (٩٨٥).

يعقوب بن سفيان

يعقوب بن سفيان بن حران الفارسي أو الفسوي المتوفى سنة (٢٧٧ هـ).
خرّج حديثه النسائي وابن ماجه، وروى عنه: أبو بكر بن داود، والحسن بن سفيان، وابن خراش، وابن خزيمة، وأبو عوانة الاسفرائيني وغيرهم.
قال الحاكم النيسابوري: يعقوب بن سفيان الفارسي هو إمام أهل الحديث بفارس، قدم نيسابور، وسمع منه مشايخنا، وقد نسبته بعضهم إلى التشيع. وقال ابن الأثير في تاريخه في حوادث سنة ٢٧٧، وفيها مات يعقوب بن سفيان الفسوي، وكان يتشيع (٩٨٦). وقال ابن كثير: وبلغ يعقوب بن الليث صاحب فارس عنه أنه يتكلم في عثمان فأمر بإحضاره فقال له وزيره:

(٩٨٠) الجرح والتعديل ج ٤ ص ١٧٠ ق ١.

(٩٨١) الجرح والتعديل ج ٤ ص ١٧٠ ق ١.

(٩٨٢) التقريب: ج ٢ ص ٥٧٢.

(٩٨٣) الخلاصة ص ٣٤٧.

(٩٨٤) التقريب ج ١ ص ٣٠٨.

(٩٨٥) الجرح والتعديل ج ٤ ص ٤٨٣ ق ١.

(٩٨٦) تهذيب الكمال ج ٣٢ ص ٣٣١ / ٧٠٨٨.

أيها الأمير إنّه لا يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السنجري وإنّما يتكلم في عثمان الصحابي فقال الأمير دعوه ما لنا وللصحابي إنّما حسبته يتكلم في عثمان السنجري^(٩٨٧).

يزيد بن أبي زياد

أبو عبدالله يزيد بن أبي زياد القرشي الكوفي المتوفى سنة (١٣٧ هـ).
خرج حديثه مسلم، والأربعة، وروى عنه: إسماعيل بن خالد، وشعبة، وأبو عوانة وغيرهم قال ابن فضيل: كان من كبار الشيعة وقال ابن عدي: يكتب حديثه وقال الذهبي: صدوق رديء الحفظ^(٩٨٨).

يحيى بن عثمان

أبو زكريا يحيى بن عثمان بن صالح المصري السهمي المتوفى سنة (٢٢٨ هـ).
خرج حديثه ابن ماجه، وروى عنه: أبو غسان، وموسى بن إسماعيل، ومسلم بن إبراهيم وغيرهم. قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه وكتب عنه أبي وتكلموا فيه^(٩٨٩) قال ابن حجر: صدوق رمي بالتشيع^(٩٩٠).

يحيى بن عيسى

يحيى بن عيسى التميمي الكوفي نزيل الرملة المتوفى سنة (٢٠١ هـ).
خرج حديثه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والبخاري، في الأدب المفرد، وروى عنه: ابنا أبي شيبه ومهدي بن جعفر الرملي، وسعيد بن أسد وغيرهم، وثقه العجلي وأحسن الثناء عليه أحمد بن حنبل وقال ابن حجر، صدوق يتشيع^(٩٩١).

يونس بن خباب

أبو حمزة يونس بن خباب الأسدي ويقال أبو الجهم الكوفي.

(٩٨٧) البداية والنهاية ج ١١ ص ٥٩.

(٩٨٨) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٣٠ والخلاصة ص ٣٧١.

(٩٨٩) الجرح والتعديل ج ٤ ص ١٧٥ ق ٢.

(٩٩٠) الجرح والتعديل ج ٤ ص ١٧٨ ق ٢، والتقريب ج ٢ ص ٣٥٥.

(٩٩١) الجرح والتعديل ج ٤ ص ١٧٨ ق ٢، والتقريب ج ٢ ص ٣٥٥.

خرّج حديثه الترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والبخاري في الأدب المفرد، وروى عنه، ابنه محمد ومنصور بن المعتمر وأبو الزبير وهما من أقرانه، وحماة بن زيد، ومعتمر بن سليمان وغيرهم. حدّث عنه سفيان الثوري. قال الساجي: تكلموا فيه من جهة رأيهم السوء ووثقه ابن معين وابن أبي شيبة. وقال الدارقطني: رجل سوء فيه شيعية مفرطة وقال العجلي: شيعي غال، وقال الجوزجاني: كذاب مفتر، وقال أبو داود، ليس في حديثه نكارة إلا أنه زاد في حديثه عذاب القبر وعلي (عليه السلام) ولي^(٩٩٢) وذكره الشيخ الطوسي في رجال الباقر (عليه السلام)^(٩٩٣).

يونس بن أبي يعفور

يونس بن أبي يعفور العبدي الكوفي.

خرّج حديثه مسلم في صحيحه وابن ماجه، وروى عنه، محمد بن سعيد الأصبهاني، وعثمان بن أبي شيبة وسعد بن منصور وجماعة، قال أبو حاتم: صدوق ووثقه الدارقطني وقال العجلي: لا بأس به وقال الساجي: فيه ضعف وكان ممن يفرط في التشيع^(٩٩٤).

* * *

ولضيق المجال نقف عند هذا الحد من ذكر حملة الحديث وأعلام الأمة من رجال الصحاح، والذين عرفوا بتشيعهم لأهل البيت (عليهم السلام) وأكثرهم كانوا من خريجي مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام).

ونودّ أن نوضّح هنا: أولاً: بأننا قد اقتصرنا على ذكر بعض رجال القرن الثاني، والثالث، ولم نتعرض للتابعين إلا من يتعلق لنا غرض بذكره؛ لأنّ ذكر التابعين من الشيعة الذين حملوا تراث الإسلام، فأصبحوا أعلاماً يُهتدى بهم، ومرجعاً يرحل إليهم، يدعو لوضع كتاب خاص فيهم.

كما أننا لم نتعرض لذكر أعلام الإسلام من أهل البيت (عليهم السلام) وهم زعماء الشيعة، وأعيان الأمة، ولهم المكانة والأثر العظيم في التشريع الإسلامي وأحاديثهم مشهورة، خرجها أصحاب الصحاح وغيرهم. ولضيق المجال تركنا ذلك.

ثانياً: إنّنا لم نستوعب جميع الرواة من رجال الشيعة في الصحاح، وقد تركنا الكثير منهم: أمثال: علي بن صالح الهمداني المتوفى سنة (١٥١ هـ) وهشام بن سعد المدني المتوفى سنة

(٩٩٢) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٣٨.

(٩٩٣) رجال الشيخ الطوسي ص ١٤١ / ١٨.

(٩٩٤) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٢٨.

(١٦٠ هـ)، وهارون بن سعيد العجلي المتوفى سنة (١٥١ هـ)، وعلي بن عاصم الواسطي المتوفى سنة (٢٠١ هـ)، وعمر بن عبدالله أبو إسحاق السبيعي الهمداني المتوفى سنة (١٢٧ هـ)، ومعاوية بن عمار الدهني المتوفى سنة (١٧٥ هـ) وموسى بن قيس الحضرمي، وهاني بن هاني الهمداني .

كذلك نفيح بن الحارث، ومحمد بن السائب بن بشر الكلبي النسابة المتوفى سنة (١٤٦ هـ)، وغالب بن الهذيل الكوفي، وغيرهم ممن تعمدنا تركهم لضيق المجال. كما أنّ هناك جماعة من الحفاظ قد نسبوهم إلى التشيع ولكننا لم نتعرض لذكرهم؛ لأننا لا نأخذ بمطلق النسبة ومن هؤلاء الحفاظ :

محمد بن إدريس الرازي المعروف بأبي حاتم المتوفى سنة (٢٧٧ هـ)، وكذلك ولده شيخ الإسلام عبدالرحمن صاحب الجرح والتعديل المتوفى سنة (٣٣٧ هـ) وهو أشهر من أبيه في نسبة التشيع^(٩٩٥)، وكذلك الحافظ علي بن عمر بن أحمد الدارقطني المتوفى سنة (٣٧٦ هـ)^(٩٩٦)، وأبو عروبة محدث حران المتوفى سنة (٣١٧ هـ)^(٩٩٧)، وغير هؤلاء من حفاظ الحديث ممن قالوا عنهم بأنهم شيعة، ولكننا لا نأخذ بمجرد القول في ذلك. نعم كان ابن أبي حاتم يئهم بالميل للإسماعيلية وقد ذكروه في كتبهم وأنه من فلاسفتهم وكبار علمائهم ولهذا نسبوه للتشيع، لأنّ فرقة الإسماعيلية تعدّ من فرق الشيعة وإن خرجت عن تعاليمهم وتكررت لمبادئهم .

ولا بدّ لنا من القول هنا: بأنّ هذا العرض لرجال الصحاح من الشيعة لم يكن على سبيل الحصر للموضوع، وإنّما كان من باب إقامة الحجة على من يدعي أو يحكم على الشيعة بأنه لا أثر لهم في الحياة العلمية، أو أنّهم صفر الأكف من تراث الإسلام، أو أنّ أبناء السنة لا يروون عن الشيعة إلى غير ذلك من تلك الادعاءات الكاذبة، والاقوال الفارغة، كما رأينا قريباً من تهجم الأستاذ الذهبي، ووصفه للشيعة بما يتنافى مع الحقيقة، وقد استدل بأسطورة الجاحظ مما لا فائدة في إعادة القول في ذلك، وهو بهذا قد ظلم العلم حقّه، وحجب عن العقل نوره.

وقد رأينا فيما قدّمناه من الحديث عن رجال الصحاح من الشيعة بأنّهم حملة علم، وحفاظ حديث، ومنهم من كان من كبار شيوخ البخاري، ومسلم، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من حفاظ الحديث، واعلام الأئمة كسفيان الثوري، وابن عيينة، وعبدالرحمن بن

(٩٩٥) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٤ .

(٩٩٦) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٨٦ .

(٩٩٧) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٩٤ .

المهدي، وابن معين، والقطان، وابن المديني، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وآخرون كما تقدّم بيانه ممن أخذوا عن رجال الشيعة، واحتجّوا بهم .

ولا يفوتني أن أشير إلى وجود جماعات من الحفاظ واعلام الأمة من الشيعة لم تكن لهم رواية في الصحاح لتأخرهم في الزمن، ومنهم:

الحافظ المسند أحمد بن محمد بن السري محدّث الكوفة المتوفى سنة (٣٥١ هـ)؛ سمع منه جماعة من الحفاظ كالحاكم، وابن مردويه، وأبو بكر الحيري^(٩٩٨) .

* * *

والحافظ أحمد بن محمد بن عمران بن موسى بن عروة المتوفى سنة (٣٩٦ هـ) المعروف بابن الجندي، أخذ عنه جماعة من المحدثين، كالحسين بن محمد الخلال ومحمد بن علي ابن مخلد الوراق، والبرذعي، والعتيقي. وعدة غيرهم قال العتيقي: كان يرمى بالتشيع وله أصول حسان^(٩٩٩) .

* * *

والحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة المتوفى سنة (٣٣٢ هـ)، فقد كان إليه المنتهى في قوة الحفظ، وكثرة الحديث، وصنف وجمع وألف في الأبواب والتراجم^(١٠٠٠) وكان يحفظ مائة ألف حديث بإسنادها ويذكر بثلاثمائة ألف حديث ويجيب بثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت وبني هاشم، ولم ير بالكوفة من زمن ابن مسعود إلى زمنه أحفظ منه^(١٠٠١) وهو الذي جمع من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) أربعة آلاف من ثقاتهم .

* * *

والحافظ المحدث محمد بن إبراهيم بن حنون المتوفى سنة (٣٠٥ هـ). محدث الأندلس، ولم يكن فيها قبله أبصر بالحديث منه، حدث عنه جماعة منهم: قاسم بن أصبغ، وأحمد بن سعيد بن حزم، وخالد بن سعد.

رحل إلى العراق والحجاز واليمن، قال الذهبي: وكان من كبار عصره لكنه فيه تشييع. قال خالد بن سعد: لو كان الصدوق إنساناً لكان ابن حنون^(١٠٠٢) .

(٩٩٨) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٩٤ .

(٩٩٩) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٧٧ .

(١٠٠٠) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٥٥ .

(١٠٠١) شذرات الذهب ج ٣ ص ٩٤ .

(١٠٠٢) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٤ .

وقال ابن العماد: محمد بن إبراهيم بن حنون الأندلسي الحجازي أبو عبدالله ثقة صدوق^(١٠٠٣).

والحسن بن أحمد بن صالح الهمداني السبيعي الحلبي المتوفى سنة (٣٧١ هـ). روى عنه الدارقطني، وعبدالغني الأزدي، وأبو طالب بن بكير، والشيخ المفيد محمد بن النعمان وغيرهم. قال ابن أسامة الحلبي: لو لم يكن للحلبيين من الفضيلة إلا الحسن بن أحمد السبيعي لكفاهم. وكان وجيهاً عند الملك سيف الدولة، فكان يزور السبيعي في داره، وصنف له «كتاب التبصرة في فضل العترة المطهرة» وإليه ينسب درب السبيعي الذي بحلب، قال الذهبي: هو من أئمة هذا الشأن على تشييع فيه. وثقه أبو الفتح بن أبي الفوارس^(١٠٠٤).

* * *

وأحمد بن عبدالله بن جليني المروزي البغدادي المتوفى سنة (٣٧٩ هـ)، روى عنه القاضي أبو القاسم التنوخي وكان مشهوراً بالتشييع أو الرفض كما يقولون^(١٠٠٥).

والحافظ المتجول أبو محمد الفضل بن المسيب المعروف بالشعراني المتوفى سنة (٣٢٠ هـ)، وروى عنه خزيمة ومحمد بن المؤمل، وحفيده إسماعيل وغيرهم، وكان كثير التجول للإفادة والاستفادة. قال ابن المؤمل: كنا نقول: ما بقي بلد لم يدخله الفضل الشعراني في طلب الحديث إلا الأندلس^(١٠٠٦).

والحافظ عبدالرحمن بن يوسف المعروف بابن خراش المتوفى سنة (٢٨٣ هـ) صاحب الجرح والتعديل، قال أبو نعيم بن عدي: ما رأيت أحفظ منه، ورحل في طلب العلم ما بين مصر وخراسان، ولقي متاعب في ذلك، وقد حملوا عليه لأنه صنف جزئين في المثالب، وكان ينفي صحة حديث «ما تركناه صدقة» ويحتج على ذلك.

وغير هؤلاء من رجال القرون المتأخرة، ممن كانت لهم مكانة علمية. وقد أفرد الشيعة عدة معاجم وفهارس، تتضمن تراجم أولئك الأعلام، وما لهم من نشاط في الحياة الفكرية، وصفاتهم التي يتحلون بها.

وما دما نحرص على الاختصار في الموضوع فلنكتف بما قدّمناه على سبيل المثال لا على سبيل الحصر كما بينت ذلك.

(١٠٠٣) شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٦.

(١٠٠٤) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٥٢.

(١٠٠٥) اللباب لابن الأثير ج ١ ص ٢٣٤.

(١٠٠٦) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٦٣٨ / ٢٣٦٥.

وبعد هذا نقول :

إنّ ما قدمناه من تراجم أولئك الرجال من أعلام القرون الأولى، وأهل السبق في تدوين الكتب، قبل أن يولد الجاحظ - يرينا أنّ فيما ذهب إليه الاسفرائيني وتبعه الأستاذ محمّد حسين الذهبي وغيره محاولة مكشوفة لطمس مكانة رجال الشيعة، وما لهم من أثر في النهضة العلمية .

وليست محاولة الأستاذ الذهبي هي الأولى؛ فقد وقفنا على كثير من أمثالها ممن يحاولون التمويه على عقول البسطاء في تلك المغالطات، التي لا تقف أمام الأبحاث العلمية، إذ ليس لأيّ كاتب يلتزم بشروط البحث، ويتجرّد عن التحيز والتعصّب، أن ينكر ما للشيعة من آثار دوّنها التاريخ، وهي مصادر تستقي منها الأجيال رغم الحملات الظالمة التي يشنّها دعاة الفرقة من ذوي الآراء المنحرفة عن الواقع، خدمة لسلطة الاستبداد التي تحاول القضاء على أبطال المعارضة من دعاة الحقّ. وقد لاحظنا ما انطوت عليه عبارات أهل الجرح والتعديل من تناقض يفضح أسباب ما استسلمت له الأذهان وتقلدته الأفكار، فقد طبقوا قواعد علم الحديث وأصول مصطلحاته وتحروّوا الطرق ووجدوا كتب الصحاح الستة مليئة برجال الشيعة ولا يملكون إنكار صلة أئمة المذاهب الأربعة وتلقيهم عن علماء الشيعة فأرغمهم ذلك على الإتيان بخصائص هؤلاء العلماء من الشيعة لكنهم أسأوا ولم يتمكنوا من التخلص من العقلية الضيقة فألصقوا بهم الزيف أو البدع.

نقول هذا والواقع التاريخي يقرر ذلك، وقد تطرقنا للبحث حول مناهضة الشيعة لسلطان الأمويين وغيرهم انتصاراً لأهل البيت، الذين وقفوا أمام تلك السلطات الجائرة، موقف البطولة، فبذلوا كلّ إمكانياتهم في سبيل اعلاء كلمة الإسلام .

كما تطرقنا في كثير من أبحاثنا لبيان خطر ذلك الانقسام، وما تكمن من ورائه أهداف يحاول أعداء الدين تحقيقها لنيل مآربهم .

وإنّ الواجب يدعو بأن نوحّد صفوفنا، ونعمل بوحى من مبادئ ديننا، ونوجّه شبابنا بتعاليم الإسلام، وإنّنا مسؤولون أمام الله عن ذلك وإن فتح باب الخلافات، وتوسيع شقّة الفرقة يفسح المجال أمام أعداء الدين لتدخلهم في صفوف المسلمين للعمل على تصديق وحدة الصف .

إنّ دعوتنا إلى وحدة الصف، والتحلي بمبادئ الإسلام التي تحقق التكافل الاجتماعي، هي من متطلبات ظروفنا الحاضرة؛ فهي أخطر مرحلة يجتازها المسلمون اليوم، فعلينا أن نصغي لنداء الإسلام: وكونوا جميعاً ولا تفرقوا، ولننزع من قلوبنا كل حقد، ونزيل كل

ضغن، ونرفع عن طريقنا عقبات خلفتها أحقاد سالفة، وأهواء منحرفة، وبذلك نحقق مبادئ ديننا في الإخاء والمحبة، والتعاون على البرّ والتقوى .

إننا اليوم في مرحلة تتطلب منا أن ننظر إلى الواقع، ونلتزم بحدود البحث العلمي المتجرد من كل تحامل وتحيز، لنرتفع بأبحاثنا إلى المستوى الذي تتطلبه طلائع الجيل المسلم، فليس أضرّ على العلم، ولا أضيع للحقّ من الانقياد وراء العاطفة .

وأملنا في الوصول إلى ما نطلبه ينعقد على حملة رسالة الفكر الإسلامي من ذوي الأقلام الحرة، ومرّبي جيلنا الحاضر، الذين يشعرون بمسؤولية أمانة التاريخ، وتحمل أعبائها ومصاعبها .

ولا تصيبنا الخيبة، أو يعترينا الفشل عندما نقف على بعض ما يكتبه أساتذة أساءوا لأمتهم، في استذواقهم لما دبجته أقلام المستشرقين أو جمودهم على نقل عبارات سلف خضع لظروفه الخاصة، وبيئته المتفككة، فتخلّى عن شروط البحث، وأصول التحقيق العلمي، فإنّ أملنا - ومن الله نطلب تحقيق الآمال - بأن تزول غشاوة التمويه عن كثير من الحقائق، وأن يزول ذلك الركام عن طريق الوصول إلى الواقع، لتزول عوامل الخلافات، وتقلع جذور التفرقة، ليصبح المسلمون إخواناً كما أراد الله ورسوله، ودعا إليه المصلحون من هداة الأمة، ورجال الإصلاح. ومن الله نسأل أن يوفق المسلمين لاتباع أوامر الدين والسير على هدى الرسول الأعظم، وأن ينصرهم على أعدائهم - وما النصر إلا من عند الله - إنّه سميع مجيب وإلى اللقاء

والله ولي التوفيق .

الفهرس

تمهيد... ١١

أفعال الصلّاة واجباتها - مستحباتها - مبطلاتها

النية... ١٧

تكبيرة الاحرام... ١٩

القيام... ٢٣

القراءة... ٢٦

وجوب القراءة بالعربية... ٢٨

الركوع... ٣٤

السجود... ٣٨

التشهد... ٤١

التسليم... ٤٣

نية الخروج من الصلاة... ٤٤

الصلاة على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)... ٤٥

مستحبات الصلاة... ٤٨

الشيعة... ٤٨

المستحبات... ٤٩

الحنفية... ٤٩

الشافعية... ٥١

المالكية... ٥٢

الحنابلة... ٥٣

مبطلات الصلاة... ٥٤

الحنفية... ٥٥

الشافعية... ٥٦

المالكية... ٥٧

الحنابلة... ٥٨

الشيعة... ٥٩

تنبيه... ٦٠

صلاة المسافرين

- حجة الشافعي ... ٧٣
- حجة الحنابلة ... ٧٦
- المسافة ... ٧٨
- الإقامة ... ٨٣
- السفر المبيح للقصر ... ٨٩
- الجمع بين الصلاتين ... ٩٥
- أهمّ المراجع ... ١٠٧
- المصادر الشيعية ... ١٠٩

كُتّاب ومؤلفون

- من هم المستشرقون ؟ ... ١٢٢
- دراسة المستشرقين ... ١٢٤
- حديث عن المستشرقين ... ١٢٦
- والخلاصة ... ١٣٤
- التفسير والمفسرون ... ١٤٠
- آية المودّة في القرى ... ١٨٦
- أدب الشيعة ... ٢٠٥
- التاريخ السياسي للشيعة ... ٢٣٠

ابن سبأ مرة أخرى

- تمهيد ... ٢٣٩
- أبو زهو ... ٢٤٢
- محمد أبو زهرة ... ٢٤٣
- أحمد أمين ... ٢٤٥
- الخطيب ... ٢٤٦
- من أين وإلى أين ؟ ... ٢٤٩
- المدينة المنورة ... ٢٥٤
- أخبار الطبري ... ٢٥٩
- رجال السند ... ٢٦٣

- ١ - السري ... ٢٦٦
- ٢ - من هو شعيب ؟ ... ٢٦٨
- ٣ - من هو سيف ؟ ... ٢٦٨
- من هو عطية ؟ ... ٢٦٩
- سيف بن عمر في الميزان ... ٢٧٠
- من فمك أدينك ٢٧٨
- أبو ذر الغفاري ... ٢٨٢
- عمار بن ياسر ... ٢٨٤
- خلاصة البحث ... ٢٩٠

رجال الصحاح من الشيعة

- تمهيد ... ٢٩٥
- أبان بن تغلب ... ٣٠٤
- أحمد بن المفضل ... ٣٠٦
- إبراهيم بن يزيد ... ٣٠٧
- إبراهيم بن محمد ... ٣٠٨
- اجلح ... ٣١٠
- إسحاق بن منصور ... ٣١١
- إسماعيل بن أبان ... ٣١١
- إسماعيل السدي ... ٣١٤
- إسماعيل بن خليفة ... ٣١٦
- إسماعيل بن زكريا ... ٣١٧
- إسماعيل بن موسى ... ٣١٧
- إسماعيل بن عبدالله ... ٣١٩
- إسماعيل بن سلمان ... ٣١٩
- أصبغ بن نباتة ... ٣٢١
- بسام الصيرفي ... ٣٢٢
- تليد بن سليمان ... ٣٢٢
- ثابت بن أبي صفية ... ٣٢٤
- ثوير بن أبي فاختة ... ٣٢٥
- جعفر بن زياد ... ٣٢٦

- جعفر بن سليمان... ٣٢٧
جميع بن عمير... ٣٣٠
جميع العجلي... ٣٣١
جابر بن يزيد... ٣٣١
جرير بن عبد الحميد... ٣٣٢
الحارث الهمداني... ٣٣٢
الحارث بن حصيرة... ٣٣٤
حبيب بن أبي ثابت... ٣٣٥
الحسن بن صالح... ٣٣٦
حماد بن عيسى... ٣٣٧
الحكم بن ظهير... ٣٣٨
حكيم بن جبير... ٣٣٩
الحكم بن عتيبة... ٣٤٠
خالد بن طهمان... ٣٤١
خالد بن مخلد... ٣٤١
خلف بن سالم... ٣٤٣
داود بن أبي عوف... ٣٤٤
الربيع بن أنس... ٣٤٤
زبيد بن الحارث... ٣٤٥
زياد بن المنذر... ٣٤٦
سالم العجلي... ٣٤٨
سعيد بن خثيم... ٣٤٨
سعيد بن عمرو... ٣٥٠
سعيد بن فيروز... ٣٥١
سعيد بن محمد... ٣٥١
سعيد بن كثير... ٣٥٢
سعاد... ٣٥٣
سلمة بن كهيل... ٣٥٣
سلمة بن الفضل... ٣٥٤
سليمان بن قرم... ٣٥٥
سليمان بن مهران... ٣٥٧

- سوار ... ٣٥٩
- سليمان بن طرخان ... ٣٥٩
- شريك بن عبدالله ... ٣٦٠
- شعبة بن الحجاج ... ٣٦٤
- عائذ بن حبيب ... ٣٦٥
- عباد بن العوام ... ٣٦٥
- عباد بن يعقوب ... ٣٦٦
- عبدالله بن عمر ... ٣٦٨
- عبدالله بن زهير ... ٣٦٩
- عبدالله بن شداد ... ٣٧٠
- عبدالله بن شريك ... ٣٧١
- عبدالله بن الجهم ... ٣٧٢
- عبدالله بن عبدالقدوس ... ٣٧٢
- عبدالله بن أبي عيسى ... ٣٧٣
- عبدالله بن لهيعة ... ٣٧٣
- عبيد الله ... ٣٧٤
- عبدالجبار ... ٣٧٥
- عبدالرحمن ... ٣٧٦
- عبدالرحمن بن صالح ... ٣٧٧
- عبدالرزاق ... ٣٧٨
- عبدالسلام ... ٣٨٠
- عبدالعزیز ... ٣٨٣
- عبدالملك ... ٣٨٤
- عبدالملك بن مسلم ... ٣٨٥
- عثمان ... ٣٨٥
- عدي بن ثابت ... ٣٨٦
- علي بن بذيمة ... ٣٨٦
- علي بن الجعد ... ٣٨٧
- علي بن زيد ... ٣٨٩
- علي بن غراب ... ٣٨٩
- علي بن قادم ... ٣٩٠

- علي بن المنذر ... ٣٩٠
علي بن هاشم ... ٣٩١
عطية بن سعد ... ٣٩٢
عمار بن زريق ... ٣٩٢
عمرو بن حماد ... ٣٩٣
عمرو بن ثابت ... ٣٩٣
عمارة بن جوين ... ٣٩٤
عمار بن معاوية ... ٣٩٥
الفضل بن دكين ... ٣٩٥
فضيل بن مرزوق ... ٣٩٧
فطر بن خليفة ... ٣٩٨
عبد الملك بن مسلم ... ٣٩٨
محمد بن عبدالله ... ٣٩٩
محمد بن جحادة ... ٤٠٠
محمد بن فضيل ... ٤٠٠
محمد بن موسى ... ٤٠١
مالك بن إسماعيل ... ٤٠٢
مخول بن راشد ... ٤٠٢
منصور بن المعتمر ... ٤٠٣
منصور الليثي ... ٤٠٤
نوح بن قيس ... ٤٠٤
يعقوب بن سفيان ... ٤٠٥
يزيد بن أبي زياد ... ٤٠٥
يحيى بن عثمان ... ٤٠٦
يحيى بن عيسى ... ٤٠٦
يونس بن خباب ... ٤٠٦
يونس بن أبي يعفور ... ٤٠٧
وبعد هذا نقول : ... ٤١٣
الفهرس ... ٤١٧